أرني نايس

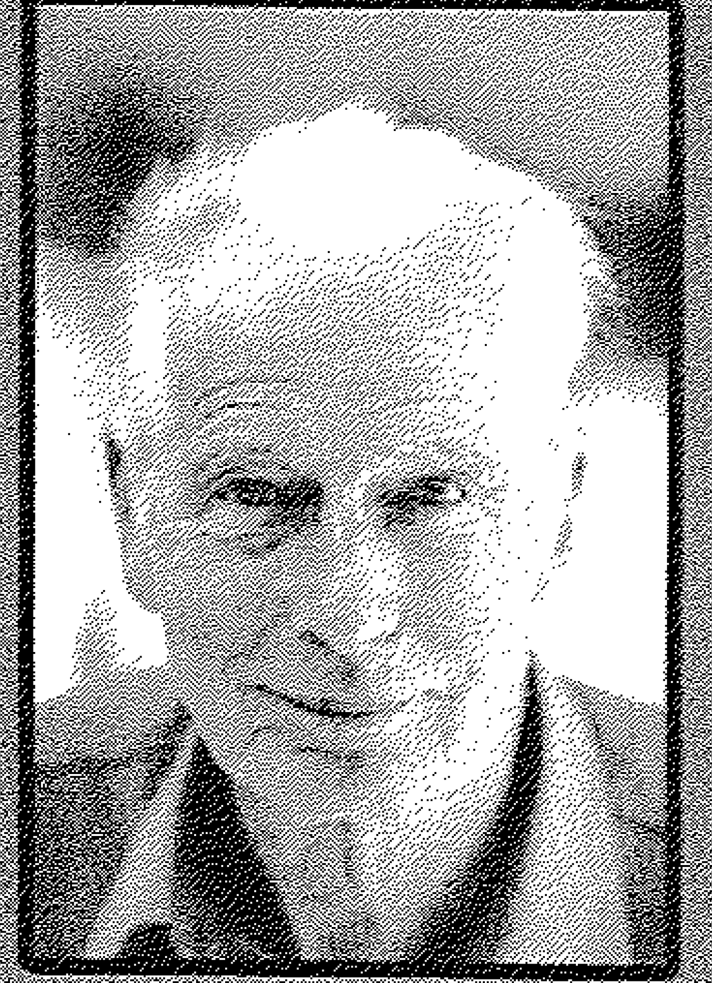
علم البيئة والجماعة وأسلوب الحياة

ترجمة: د. ليلى عبد الرازق



المــؤلف:

أرني نايس



ولد في 27/ يناير 1912 م - وتوفي في 12 / يناير 2009 م، وهو مؤسس علم البيئة العميقة .. كما أنه يعتبر أعظم فيلسوف نرويجى، ظهر في القرن العشرين.. تركزت أعماله الفلسفية حول سبينوزا والبوذية وغاندي .. كما كان أصغر مَنْ حصل على لقب أستاذ للتدريس في جامعة أوسلو.

يستشهد نايس بكتاب " الربيع الصامت - تأليف راشيل كارسون عام 1962م " بأنه المؤثر الحقيقي لرؤيته لعلم البيئة العميقة .. لقد مزج نايس رؤيته لهذا العلم بمبدأ " عدم العنف" لدى غاندي وعدة أحداث أخرى، ساهمت بفاعلية وبشكل مباشر في تشكيل هذه الرؤية.

في عام 1970 م، وبالتضامن مع عدد كبير من المتظاهرين، ربط نايس نفسه في سلسلة صخور "مارادالاسفوسين"، أحد شلالات المياه الشهيرة في النرويج، ورفض النزول مالم تتوقف الخطط المزمعة لبناء سد على الشلال .. ورغم أن الشرطة أجبرته بالقوة على النزول.. إلا أن تلك الفترة تعتبر من أكثر فترات علوم البيئة النرويجية ثراءً وفاعلية.. في عام 1958 م، أسس نايس جريدة " البحث الفلسفي "، كما كان عضوًا مشاركًا في " حزب الخضر النرويجي"..

إهـــــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

علم البيئة والجماعة
وأسلوب الحياة

الطبعة الأولى : 1430هـ ـ 2009 م
ردمك 977-427-474-1

كلمة

ص .ب 2380 أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
هاتف : 26314468 971 + فاكس : 26314462 971 +
www.kalima.ae

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة - تليفون: 23910250 202 +
فاكس : 23909618 202 + ـ ص.ب 2022
www.almasriah.com info@almasriah.com
رقم الإيداع : 5007 / 2009

يتضمن هذا الكتاب ترجمة عن النص النرويجي لكتاب :
Ecology, Community and Lifestyle

أرني نايس

علم البيئة والجماعة وأسلوب الحياة

ترجمة

د. ليلي عبد الرازق



كلمة
KALIMA

الإهداء

إلى پيتررِيد

(1961 - 1987)

«وأنتَ ، يا جبلي ، ألن تسير نحوي أبدًا؟»

كيڤورك إيمن

المحتويـات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

مقدمـة

الفلسفة البيئية T : من البديهية إلى النظام

يبدأ النظام بالمباشر... وبداية النظام هي البداية المطلقـة ... كيـف يبدأ النظام بالمباشر؟ هل يبدأ به مباشرة؟ والإجابة عن ذلك يجـب ألا تكون قاطعة.

سورين كيركجارد

الملحق النهائي غير العلمي

نحن نشعر أن عالمنا في أزمة، فنحن نسير هنا وهناك ونـشعر بفـراغ في طريقة حياتنا والمسار الذي نتبعه. والخبرة المباشرة التلقائية تخبرنا بـذلك : البديهة. وليـست البديهـة فقـط، ولكـن، إذا تحـدثنا عـن الأخطـار، فـإن المعلومات تأتي إلينا يوميًّا بكميات مذهلة.

كيف يمكن أن نستجيب؟ هل انفصلت الحـضارة ببـساطة يأسـا مـن وجود الكمال في الطبيعة؟ كل شيء يشير إلى استسلام منعزل وسلبي.

ولكن هذا نوع واحد من البديهة - إلا أن هناك أيضًا بداهة الابتهاج.

كان أرني نايس يلقـي محـاضرة في مكـان مـا في أوسـلو، وبعـد سـاعة يتوقف فجأة، ثم ينظر بسرعة حول المسرح، وفجأة يترك المنصة ويقـترب من نبات في أصيص فخاري إلى يساره فيجذب ورقة نبات ، ويعدو عائدًا إلى الميكروفون، ويحدق بصدق في الحاضرين ، بينما يمسك بالورقة ، رافعًا

إياها إلى الضوء حتى يستطيع الجميع رؤيتها ، ويعلق «يمكن أن تمضوا حياة كاملة تتأملون هذه. هذا كاف ، شكرًا.»

استقال نايس في عام 1969 من منصبه كأستاذ في الفلسفة ، بعد أكثر من ثلاثين عامًا قضاها في الاشتغال بعلم الدلالة ، وفلسفة العلوم والتفسير النظامي لفلسفات سبينوزا وغاندي. لقد أصبح التهديد من كارثة بيئية ظاهرًا جدًّا – كان هناك كثير من الصيحات العامة والاحتجاجات. ولقد اعتقد نايس أن الفلسفة يمكن أن تساعد في رسم مخرج من الفوضى ؛ لأنها كانت بالنسبة له دائمًا ليست فقط «حب الحكمة»، ولكن حب الحكمة المرتبط بالعمل ؛ فالعمل دون هذه الحكمة الضمنية يكون بلا جدوى.

تؤدي المعلومات إلى التشاؤم .. ولكن مازال من الممكن أن تجد السرور والعجب في الخبرة المباشرة. والمشكلة هي كيف تجعل من الأيسر على الناس أن «يبدأوا فورًا». ويقول مفكرًا : «لقد بدأت في الكتابة في كتاب «**علم البيئة، والجماعة ، وأسلوب الحياة**» لأنني كنت متشائمًا، وأردت أن أؤكد الإمكانية المستمرة للسرور في عالم تواجهه كارثة».

ويقدم نايس في هذا الكتاب أساس علم الوجود الجديد الذي يفترض أن الإنسانية لا تنفصل عن الطبيعة ؛ فإذا تم فهم علم الوجود بشكل كامل .. فلن يكون من الممكن بالنسبة لنا أن نجرح الطبيعة بشكل جائر ؛ لأن ذلك يعني جرح جزء لا يتجزأ من أنفسنا. ومن هذه البداية في علم الوجود، يحتل علم الأخلاق والفعل العملي مكانهما الصحيح.

لذلك .. فإن نظام نايس يبدأ بإعادة النظر الفوري «لما هو موجود» ، ولكيفية إدراك الأشياء حولنا. ليست هناك بداية أكثر تلقائية من هذه البداية ، ولكن المشكلة التي يشير إليها كيركجارد أعلاه (في إشارة

للأنظمة الفلسفية بشكل عام) تظهر على الفور- فقط كيف تبدأ؟ لا يمكن أن تبدأ فورا لأن المشكلة يجب أن تدرس ، وتؤخذ في الاعتبار، وربما تدمج في النفس .. عندئذ فقط يمكن أن نستخدمها بطريقة تلقائية.

سأحاول في هذه المقدمة أن أراجع خلفية نظام نايس، وبعض تفصيلاته، وأقدم نظرة شاملة لموقف هذا النظام بين فلسفات البيئة الأخرى ؛ من أجل تسهيل بدايته.

(1) البدء بالبديهة

إن نتيجة التي توصل إليها ليست بالعمل الجدلي أو الفلسفي أو المنطقي- بل إنها كما يقول «هي في الأساس البديهة ».وتكون هذه البديهة من خلال حياة طويلة قضاها في الطبيعة. ويتذكر أرني بداياتها ، فيقول:

«منذ أن كنت في حوالي الرابعة من العمر حتى سن البلوغ، كنت أستطيع الوقوف أو الجلوس لمدة ساعات، وأيام، وأسابيع في الماء الضحل على الساحل، أفحص وأتعجب للتنوع الغامر وثراء الحياة في البحر. إن الأشكال الجميلة بالغة الصغر التي لم يهتم بها «أحد»، أو التي كانوا غير قادرين حتى على رؤيتها، كانت جزءًا من عالم يبدو غير محدود ، ولكنه على الرغم من ذلك عالمي. ولشعوري بأنني منعزل عن كثير من العلاقات البشرية، فقد توحدت مع«الطبيعة»[1].

سيكتب نايس بعد ذلك ، عند التقدم في العمر ، أن عالم الطفل الصغير هو ذلك العالم الأقرب والأسهل للفهم لما حوله[2]. إنه هذا الزمن السهل حيث يشعر المرء بأن هويته مرتبطة بالطبيعة المباشرة. ولكن كانت خلال

---

(1) أرني نايس ، «كيف تطورت فلسفتي» ،فلاسفة في عملهم الخاص، مجلد 10 (نيويورك: بيتر لانج، 1982)، ص 270.

(2) انظر فصل 7 لمعرفة آراء نيس في عملية النمو وتوسع الذات .

فترة مراهقته هي التي اتسعت فيها وعي نايس ؛ ليشمل ارتباطه بهؤلاء الذين عاشوا حياتهم بالقرب من الطبيعة:

عندما كنت في الخامسة عشرة ، تمكنت عن طريق الإلحاح في التوسل من السفر بمفردي في أوائل يونيو إلى أعلى المنطقة الجبلية في النرويج - جوتنهيمن. عند سفح الجبل توقفت نتيجة الثلج الكثيف المرهق ، ولم أجد مكانا لأنام فيه ، وأخيرًا قابلت رجلًا عجوزًا ، كان مشغولا بالحفر لإزاحة الثلج المحيط بعيدا ، والذي كان يغطي جزءًا من كوخٍ مغلق خاص بجمعية لتسلق الجبال والسياحة. ومكثنا معًا لمدة أسبوع في كوخ قريب. وعلى قدر ما أذكر، كنا نتناول طبقًا واحدًا فقط: عصيدة من الشوفان مع خبز جاف ، وكان قد تم تخزينها في الثلج منذ الخريف السابق- هذا على ما أعتقد ما قاله الرجل العجوز. ولكن ، فيما بعد ، شككت في ذلك ، وأرجعت ذلك إلى سوء فهم من جانبي. لقد قدم العصيدة باردة، وإذا تبقى أي جزء في طبقي كان يأكله الرجل العجوز. وفي المساء ، كان يتحدث بشكل عرضي عن الجبال، وعن الأيائل، والصيد، ومهن أخرى في المناطق العليا. ولكنه في الأغلب كان يعزف الكمان ، وكان جزء من الثقافة المحلية متابعة الإيقاع بالقدم ، وأصر على مشاركته في ذلك. ولكن كم كان ذلك صعبًا! فإيقاع الرجل العجوز كان يبدو أكثر تعقيدًا من أي شيء سمعته من قبل!

ولكن كفى تفاصيل! إن تأثير هذا الأسبوع قد وضع الأساس لاقتناعي بأن هناك علاقة داخلية بين الجبال ورجال الجبل، هناك عظمة خاصة، ونقاء، وتركيز على ما هو جوهري، واكتفاء ذاتي، وبالتالي تجاهل للترف، والوسائل المعقدة من كل نوع . ومن الظاهر تبدو طريقة حياة الجبل صارمة، وخشنة وقاسية، ولكن عزف الكمان والولع بكل الأشياء، التي تقع في نطاق الحد الذي لا ينمو الشجر بعده، سواء أكان حيًّا أم «ميتًا» يشهد بالتأكيد على ملحق غني وحسي بالحياة، ومتعة كبيرة لما يمكن ممارسته بأعين وذهن متفتح.

هذه الأفكار غرست في داخلي فكرة التواضع- التواضع في علاقة الإنسان بالجبال والعالم الطبيعي بشكل محدد . بشكل عام ، فإن التواضع، في رأيي،

يكون ذا قيمة قليلة إذا لم يكن نتيجة طبيعية لمشاعر أعمق، ونتيجة لطريقة فهم أنفسنا كجزء من الطبيعة بمفهومها الواسع. وهذه الطريقة هي كلما شعرنا بالصغر مقارنة بالجبل، اقتربنا من المشاركة في عظمته ، وأنا لا أعرف سببا لذلك[1].

نحن في حاجة إلى أن نقارن أنفسنا بالجبل - لا يقصد بذلك مجازًا كبيرًا للبشرية المحتملة، مثل كتاب نيتشا ابرمينتش («ستة الآلاف قدم فوق الإنسان والزمن!») - ولكن جبل حقيقي، حي : نموذج للطبيعة حيث يمكن أن نحيا فيه بالكامل ، ولكن مع رهبة خرافية . وإمكانة التواضع هي من أكثر الخصائص البشرية، ولكن لماذا تكون العلاقة بين الناس والطبيعة بهذه المركزية ؟

يرغب نايس، مع الوقت، في محاولة اكتشاف «لماذا يكون ذلك على هذا النحو»من خلال تطوير فلسفة تؤدي من الذات المباشرة إلى العالم الفسيح للطبيعة ، وهو ما يقدمه هذا الكتاب. والقصد هو تشجيع القراء على إيجاد طرق لتطوير وإيضاح الحدث الأساسي والشائع للقيمة المطلقة للطبيعة ، التي ترجع الصدى مع خلفياتهم واتجاهاتهم.

إن إدراك المشكلة ودراستها اللاحقة باستخدام وسائل فلسفية تسمى الفلسفة البيئية ، وبالتحديد أكثر إنها استخدام المفاهيم الأساسية من علم البيئة ، مثل : التعقيد والاختلاف والتعايش ؛ لتوضيح مكان أجناسنا داخل الطبيعة ، من خلال عملية تجريب رؤية إجمالية.

وتؤدي الفلسفة البيئية إلى اتجاهين : فهي يمكن أن تستخدم في تنمية فلسفة بيئية عميقة، حيث يستمر الفلاسفة في توضيح هذه الأفكار

(1) أرني نايس 'Modesty and the consequent mountains'، في نسخة مايكل توبياس، *The Mountain Spirit* (نيويورك: مطبعة أوفرلوك، 1979) صفحات 16-13.

الأساسية وارتباطاتها ، كما أنها يمكن أن تدعم حركة دولية بيئية عميقة متزايدة ، والتي تشمل علماء وناشطين، ودارسين وفنانين ، وكل هؤلاء الذين يعملون بشكل فاعل ، نحو التغيير في الهياكل المضادة للبيئة السياسية والاجتماعية.

وفي محاولة لتصنيف ما يربط مؤيدي هذه الحركة معًا ، تم تكوين برنامج من البيئة العميقة، الذي يأتي في الفصل الأول ، وهو يتكون من ثماني نقاط مشتركة لإرشاد هؤلاء ، الذين يعتقدون أن المشكلات البيئية لا يمكن أن تحل إلا عن طريق حلول تقنية «سريعة الإصلاح». وبالممارسة، فإن ذلك قد يعني ببساطة محاولة رؤية مشكلة معينة من وجهة نظر الاهتمامات الأخرى ، التي تختلف عن اهتماماتنا (مثل الأجناس الأخرى أو الأنظمة البيئية نفسها) ، أو يمكن أن تكون فتحًا لنقد على مستوى كامل لحضارتنا، بحثًا عن إدراك زائف في صميم الواقع.

ولكن على أي حال ، فإنه يقصد بهذا البرنامج نقطة توقف للاتفاق ، ومكانًا للذين يرغبون في نوع من التغيير الذي يتم مناقشته في هذا الكتاب ؛ ليتطلعوا إليه ليعرفوا موقفهم وما يشتركون فيه في معتقداتهم.

ومثل هذه الأشياء العميقة لا يجب الإفراط في تبسيطها ، والموضوع المتكرر في هذا الكتاب هو تقديم مبدأين بيئيين أساسيين من خلال مراجعة فلسفية لمجتمعنا ، وهما : الوحدة والتنوع . وكما يحذر الشاعر إيه.أر. أمونز: «التفرد ليس مفيدا عندما يشتق بسهولة، والتعددية ليست صادقة عندما يتم اختيارها بضآلة»[1] .

---

(1) إيه.أر.أمونز، 'مقالة عن الشعر' *Selected Longer Poems* (نيويورك: دبليو.دبليو. نورتون ، 1980) ص 50 .

وبعض أنواع الاتفاق تكون أساسية، إذا أراد الناس أن يعملوا معًا نحو التغيير في جماعة، ولكن اختلافاتهم في المنظور ووسائل الوصول لاتفاق لا يجب أن تضيع في التفرد. وتكون الحركة البيئية أقوى ، إذا أظهرت أن مجموعة مبادئها يمكن أن تشتق من تنوع في الآراء والخلفيات العالمية. وكلما وجدت الأدلة الفلسفية، والدينية، والعلمية لدعم القيم المعيارية للبيئة، زادت أهمية الحركة وعالميتها.

ويبحث الجانب الفلسفي للفلسفة البيئية الوسائل المحددة لمشاهدة العالم ، والتي تقود الأفراد المختلفين إلى شيء مثل برنامج البيئة العميقة ، ويسمي نايس عملية الاستنتاج هذه بالفلسفة البيئية Ecosophy إذا أصبحت منطوقة بمعنى فلسفي.

ويكرس جزء كبير من هذا الكتاب لعرض نظام نايس الخاص بالاستنتاج ، الذي يؤدي إلى البرنامج، الفلسفة البيئية T ، والاسم T يقال إنه يمثل كوخه الجبلي المسمى تفرجاستين Tvergastein أي (عبر الحجارة) ولكن طبيعتها الفردية هي الأكثر أهمية ؛ حيث توحي بأنه قد يكون هناك كثير من الفلسفات البيئية (أ، ب، جـ...) ، التي قد يقوم كل منا بإعدادها لنفسه . وعلى الرغم من أننا يجب أن نتفق تقريبا مع نتائجه، فإنه ليس من الجوهري قبول سلسلة الاستنتاج الخاصة به. والأكثر أهمية أن نكون قادرين على الوصول إلى نتائج النظام ، باستخدام وسائل من الإحساس والمنطق المألوف بالنسبة لنا، بدلا من قبول كل خطوات نايس الخاصة ودفاعاته لاستنتاجاته ؛ فمن المهم إدراك أن نايس أقل اهتمامًا ببناء نظام لشرح كل شيء ؛ إذ إنه يفضل أن يعلمنا : كيف نعد أنظمتنا الخاصة بطرقنا الخاصة والتي قد تكون غير كاملة ، ولكن من الضروري بالنسبة لنا الوصول إلى نتائج حقيقية ومؤسسة مماثلة ، وليس من بينها على الإطلاق أن التغيير يجب أن يبدأ في الحال.

(2) التفسير والدقة في فلسفة نايس :

الفلسفة البيئية هي نظام شخصي، وفلسفة شخصية .. ومن أجل أن تصل إلينا فلسفة أخرى ، يجب أن يكون هناك شيء يسمع معنا فورًا ، وليس بالضرورة أن يكون هذا الشيء أصليًّا تماما.

وهذه ليست وجهة نظر كل فيلسوف عن كيفية استخدام أنظمته .. البعض يعتقد أنهم قد حلوا المشكلات المهمة للوجود ، والآخرون يعتقدون أنهم قد اثبتوا أن هذه المشكلات لا تحل. ولكن نايس يفضل أن يقوم كل شخص بأخذ بعض الوقت لتفسير ما يقدمه بطريقته الخاصة، مع إدراك أن كثيرًا من التفسيرات المختلفة والمتميزة - ومع ذلك مقبولة بشكل مشترك -، يمكن أن تكون محتملة ومناسبة.

هذه الفكرة لها جذورها في أعماله في علم الدلالة في الخمسينيات ، ورأي نايس (في التفسير والدقة) هو أن هؤلاء الذين يتواصلون لا يقومون بذلك على أساس أنهم يشتركون في لغة مشتركة، ولكن على أساس تفسير مشترك لما قاله الآخر ، بناء على فهم مسبق لما تعنيه الكلمات والتعبيرات[1]. إن ارتباط كلمة محددة لدى فرد يمكن أن تكون ذات معنى واسع جدًّا أو متخصصة إلى حد كبير ؛ بحيث يكون استخدام شخص آخر لهذه الكلمة نفسها بعيدًا لمسافة أميال عما يقصده المتحدث ، وهذه ليست مراوغة ، ولكن عائقًا حقيقيًّا تجاه إمكانية وصول أفكار الآخرين إلينا.

---

(1) انظر أي. جولڤاج، 'Depth of intention' *استفسار* 26، 1973، ص. 33 لمعرفة نظرة جيدة عن عمل نايس في علم دلالات الألفاظ. وأيضًا انظر مقدمة نايس الخاصة للجمهور العام، *Communication and Argument* (أوسلو: يونيڤرستيتسفورلاج، 1966).

لكن الاتصال ممكن بالسماح باستخدام مصطلحات غامضة وعامة، وهي ما يسميها نايس المستوى T_0، وقبول كثير من التفسيرات الموازية أو في الدقة، في مستويات أعلى ، ويشرح ذلك بقوله:

دعوني أعطي مثالا على ما أقصده بالدقة، حيث إن المفهوم غالبًا ما يتسبب في سوء فهم. فعند مستوى الأكثر غموضًا T_0، لدينا عبارة «لقد ولدت في القرن العشرين». المستوى التالي الأكثر دقة ، T_1، يجب أن يوضح هذه المعلومة، ويوضح سوء الفهم المحتمل. على سبيل المثال، T_1 قد تكون «لقد ولدت في القرن العشرين بعد وفاة المسيح». وعلى الجانب الآخر نقول: «لقد ولدت في عام 1912» ليست دقة ، ولكنها توضيح: لأنها تعطى معلومات أكثر عن الموقف، وليس عن العبارة ... على سبيل المثال العبارات: باسكال قفز من نومه وصاح «نار» ثم «الله ثم إله إبراهيم واسحق» تقوم بتضييق المعنى على التوالي. هل هي دقة؟ في البداية نشترك في الأيحاء، على الرغم من أن بسكال يصبح مثالًا سيئًا ، بمعنى أنه قد تورط في التخصص، والانتقال من النار إلى فكرة خاصة عن الله، مستثنيًا كل الآخرين[1].

وهذا النوع من التوضيح الذي يقدمه باسكال لعبارته يحد من التأثير المحتمل لوحيه البديهي الأصلي، نريد أن نعرف فقط ما هي «النار»، ليس عن طريق تضييق مداها ، ولكن عن طريق فهم ما تم قصده. ونحن يجب أن نقترب من نظام نايس المعياري، الفلسفة البيئية T ، بالطريقة نفسها[2].

عندما يبدأ أرني نظامه بمعيار «realising تحقيق الذات» يتم طرح عديد من تداعيات المعاني، وفي النص نتعلم أنه لا يجب أن نضيق هذا

---

(1) من 'It is painful to think' مناقشة مع آرني نايس، في نسخة بيتر ريد وديفيد روثنبرج، *Wisdom and the Open Air* (جامعة أوسلو: مجلس الدراسات البيئية، 1987)

(2) في النطق النورويجي لفكرة نايس للأنظمة المعيارية الفعل *presisre* هو مصطلح رئيسي – النشط، فعل من الدقة، يؤدي إلى عملية الدقة. ولسوء الحظ كان علينا ترجمة ذلك إلى الفعل الإنجليزي *prescise* غير الملائم إلى حد ما.

التحقيق إلى الأنا المحدودة الخاصة بنا، ولكن نسعى لفهم الذات الأوسع، بالمعنى العام الذي يمتد من كل منا ليشمل الجميع.

قبل أن يتولد كثير من الارتباك ، يجب أن نفكر في فكرة بيئية ثانية للاتصال: إنها لا تحدث بمفردها. وقد تخطر لنا أفكار نطلقها للعالم، ولكن إذا استطاع أن يفهمها الآخرون ، حينئذ يمكن أن تظهر إلى الوجود بشكل جماعي ويكون لها وزن. هذا هو جوهر «التفكير النسبي» لنايس- لا شيء يوجد منفصلًا.. لا أشخاص، ولا أجناس أو مشكلة بيئية. والكلمة تستمد حياتها من خلال معانيها وتفسيراتها المنسجمة ، هذا هو التأثير العملي لإدراك علم الوجود البيئي.

يمكن أن ندرك معنى أي مفهوم فقط من خلال مكانه المتحرك في مجال مفاهيم أخرى ، والطرق التي تدرك بها. نحن نتعرف في هذه العملية على الكل الذي يدرك ؛ ليعطي وحدة عضوية متماثلة في ذاتها، كشبكة للعلاقات التي يمكن أن تتحرك كشيء واحد. والمصطلح المختار لهذا النوع من الشكل المفهوم هو جشتالت gestalt (بنية الظواهر الطبيعية أو السيكولوجية المتكاملة التي تؤلف وحدة وظيفية)، المستعار من العمل في فلسفة الإدراك في أوائل هذا القرن[1]. والعالم يمدنا بسيل من المعلومات، ولكن هذه المعلومات تقدم نفسها ككيانات حية تتميز بحياة طبيعية محددة، التي تأتي إلينا كاقتناع بأن الهوية متأصلة فقط في العلاقات التي تصنع الكيان. كما علق نايس بينما هو يتزلج في الليل في درجة حرارة 20 تحت الصفر في الظلام الأزرق الصافي والقمر المنير: «إن البرد المفرط هو

(1) انظر أعمال ولجانج كوهلر (*Gestalt Psychology and The Place of Values in a World of Fact*). كيرت ليفين (*Topological Psychology*) لأخذ فكرة عن العمل النظري في دراسة الإدراك عند الجشتالت. والأحدث بول جودمان وفريدريك بيرلز (*Gestalt Therapy*) قد طبقوا الأفكار الأصلية في عملهم العملي.

جزء من جشتالت gestalt البيئة لدرجة أنه لو كان أكثر دفئًا لشعرنا حقًّا بعدم الراحة.»

وجشتالت gestalt الفلسفة البيئية T ككل ، هي شيء لن يتمكن القارئ من إدراكه خطوة بخطوة أو بانفراجة بعد انفراجة . إن عرض الكتاب ليس منطقيًّا بشكل تام بمعنى قياسي (من أ، و ب يليها جـ) ؛ لأنه من المستحيل صياغة الفلسفة البيئية تماما بهذه الطريقة. ويلمح أرني إلى المعاني. وبينما يصيغ الفرد العلاقات ، فإن كلًّا من رأيه ورأينا يأخذ شكلًا. تذكر اثنين من معتقداته الضمنية (1) نحن كأشخاص لا نستطيع أن نفر من التظاهر بالعمل ، ونقرر على أساس رؤية شاملة. ولكن النطق الشفهي لهذه الرؤية في مجملها يكون مستحيلًا[1]. (2) النظام يبدأ بالمباشر ، وقواعده الخاصة لا يجب أبدًا أن تخفي المباشر ، أو: إذا رغبنا في معرفة نقطة البدء في نظام ، فإن الخبرة التلقائية تعرض نفسها. ولكن أي نظام مستخدم يحمل معه سياقات اجتماعية ، لا تستطيع أن تأسر أو تحل محل انفراد الخبرة الأصلية.

(3) توضيح المصطلحات في الترجمة

مع أخذ هذه الأفكار في الاعتبار، فإن بعض المصطلحات الرئيسية المستخدمة مع الفلسفة البيئية T يمكن تقديمها الآن. إن ترجمة هذه المصطلحات من النرويجية إلى الإنجليزية إلى حد ما تشكل مشكلة ؛ فالكثير من الكلمات المستعملة (إدراك ، مماثلة، ودقة) تحمل معنى أكثر فاعلية في استخدامها في اللغة النرويجية ؛ فهي ليست أبدًا حالات يتم الوصول إليها ولكنها عمليات. والكلمات التي تشير إلى «البيئة» و«القيمة

---

(1) انظر آرني نايس، 'Reflection about total views, *Philosophy and Phenomenological Research*'، 25 ، 1964، 16-29.

الجوهرية» ، هي كلمات مألوفة أكثر في اللغة النرويجية. و لكي تكون الترجمة ناجحة ، يجب أن تعامل هذه الكلمات ليس كمفاهيم غريبة، ولكن ككلمات تستخدم في الحديث اليومي.

(أ) المحيط / البيئة

هذان المصطلحان يستخدمان بشكل متبادل لكلمة نرويجية واحدة *miljø* . لماذا كلاهما؟ لأنه كما في الفرنسية، فإن المصطلح النرويجي له دلالات أوسع وأكثر ألفة من المصطلح الثقيل «البيئة» إلى حد ما. ولكن ليست لدينا كلمة إنجليزية بسيطة نستخدمها هنا. ولكن إن وجدت كلمة أبسط، لكانت فكرة الحفاظ على البيئة أكثر قبولًا في ثقافتنا.

ما«المشكلات البيئية؟» وما«انحلال البيئة؟» ببساطة: تحطيم ما يحيط بنا، المباشر الذي نحن داخله. ليس فقط الطبيعة المادية، ولكن كل ما نعيش فيه، كل البيئات التي نستطيع أن نعرف أنفسنا داخلها. وطبقًا لنايس، فإن ذلك ينسجم مع ذاتنا المطلقة ؛ حيث إنه من الضروري أن نكشف ذاتنا الأكبر.

وداخل هذه المفاهيم تكون البيئات المرتبطة بالطبيعة والحياة ، وكلمة الطبيعة لها الكثير جدًّا من التداعيات في اللغات الإنجليزية والإسكندنافية[1]. ولا يجب أن نغض النظر عن أي من هذه التداعيات في المصطلح الذي يوضح ثراءه الشديد مدى أهميته ؛ فالتفسيرات العلمية الخاصة للطبيعة البرية التي لم يلمسها أحد[2] ، تكون ضمن التصنيفات

---

(1) انظر آرثر لوفيجوي ، 'Nature as aesthetic norm' *مذكرات اللغة الحديثة* ، 42 ، 1927 ، 445 – 51 ، وچينس أولوود ، 'Language, beliefs, and concepts' in *Natural Resources in Cultural Perspective*, Swedish Research Council, 1979.

(2) في النرويجية من الشائع استخدام 'الطبيعة' كمفعول به، شيء نستمتع به أو نمارسه ، فنقول «انظر الطبيعة الجميلة!» ، وهذا الاستخدام ليس شائعًا في اللغة الإنجليزية ولكنه ممكن.

الأخلاقية هي التعقد، والتنوع والتعايش. هـذه المفـاهيم تـشكل أسـاس التفكير تجاه قيم من خلال العمل بالكامل، ولها تعريفات نسبية في الفصل السابع.

ولا أريد التحدث كثيرا عن كيف يشتق نايس فكرة الملاءمة مـن هـذه المصطلحات، ولكن يكفي أن نقول إنـه لا يـدعم نمـوذج «الحيـاة»؛ لأن ذلـك يقلـل مقـدار خطـر «الإعجـاب بالحيـاة» ، وهـي أسـاس بعـض الفلسفات الفاشستية. وربما يكـون ذلـك غـير مـرتبط بقـدر قليـل جـدًّا بالفرد، أو بحقيقة أن الفرد يجب أن يكون معدًا، من خلال فلسفة بيئيـة، لصنع قراراته المتعلقـة بالعـالم، ثـم تبنـي عـلى هـذه معـايير بنوعيـة أكثـر ديناميكية وتوجيهًا ، مما نحصل عليه ببساطة عن طريق دعم «الحياة!».

كيف نصنع هذا الترابط من المبادئ الأخلاقية إلى القرارات؟ مع فكرة فهم البيئة تأتي إمكانية تحول البيئة. في البداية يـرى الفـرد العـالم بطريقـة، ولكن مع الوعي المتزايد بالعلاقات المحجوبة سابقا، يظهر للـضوء فجـأة فهم آخر ، ونقوم بتحول فوري. وفجأة تصبح الأشـياء أكثـر وضـوحًا – نوع من الخبرة التي تثير الإعجاب، لحظة التبصر. وهنـاك طريقـة أخـرى لوصف الغرض من كتاب «علم البيئة، والجماعة، وأسـلوب الحيـاة» هـو محاولة لجلب هذه اللحظة من التغيير– التحول البيئـي الـشكلي،و هنـاك وسائل كثيرة مفيدة.

تم استشارة كثير من الذين قرأوا الكتاب بطبعاتـه الخمـس النرويجيـة خلال السبعينيات لمعرفة ما الأجـزاء التـي شـكلت أهميـة بالنـسبة لهـم، وكيف وجدوها مفيدة. لقد كان هناك تنوع ضخم في الإجابـات، حيـث إن هناك دوافع كثيرة للتحول البيئي ، اللازم للوصول لفهم الهوة العميقة بين أجناسنا والأرض ، وأحد أهداف نايس هو كشف أكبر قدر ممكن من هذه الدوافع.

(ب) تحقيق الذات

هناك شيء مشترك بين كل هذه الدوافع (طرق الوصول إلى نقطة التحول) في أنها جميعا تربط الفرد بمبادئ الترابط في الطبيعة. والمفهوم الرئيسي لنايس في هذا هو «realising تحقيق الذات» المستخدم خلال الكتاب في مظاهر متنوعة. وتماشيًا مع اعتقاده في قوة صيغ T_0، يرفض أرني - بعنادٍ - أن يرسي لهذا المصطلح تعريفًا صارمًا:

> **الناس محبطة لأنني أستطيع أن أكتب كتابًا كاملا عن «البديهة» لم يتم تعريفها أو تفسيرها في أي مكان». إن هذا النقص الظاهر في التفسير محبط لثقافتنا.. ولكن إذا سمعت عبارة مثل «كل الحياة هي أساسا واحدة!» يجب أن تكون منفتحًا لتذوق هذا، قبل أن تسأل مباشرة «ماذا يعني ذلك؟» ، وكونه أكثر دقة لا يعني بالضرورة خلق شيء أكثر إيحاءً[1] .**

ولكن، في الواقع، إن استخدام نايس لتحقيق الذات هو محاولة جريئة لربط العبارة العامة أن «كل الحياة هي أساسًا واحدة» باحتياجاتنا ورغباتنا الفردية . ودون الانفصام بعيدًا عن احتمالاتها ، سأذكر هنا فقط بعض النقاط ؛ لأخفف من وطأة سوء الفهم.

(1) تحقيق الذات ليس مركزا على الذات. تذكر أن الذات لها شكل عام، ولكن في الوقت نفسه ، لا تفكر أن الذات الفردية أو الأنا تتلاشى في الذات الأكبر. إن تنوع الأفراد المختلفين والاتجاهات يبقى، ونحن نشارك ونشكل اتصالاتنا بالأكبر. ومع ذلك، فإن ديستوفسكي أدرك ما هو ضروري لتحقيق الذات ، عندما حدد الخطر الأول في العصر الحديث:

> **... العزلة التي تسود كل مكان ... لم تنم بالكامل، ولم تصل إلى حدها بعد ؛ لأن كل شخص يحاول أن يجعل فرديته بعيدة بقدر الإمكان، ويرغب في الحصول على أكبر قدر ممكن من الحياة كلها لنفسه؛ لكن في غضون ذلك ،**

---

(1) من ?'Is it painful to think' .

فإن كل جهوده لا ينتج عنها تحقيق كامل الحياة ولكن تحطيم الذات. فبدلًا من تحقيق الذات ، فإنه ينتهي بالوصول إلى العزلة الكاملة[1] .

لا يمكن أن ننقسم ببساطة إلى وحدات، ونسعى وراء أهدافنا الخاصة؛ ولهذا السبب ، فإن نايس يطلب مفهومًا للذات الكبيرة.

(2) إذا استطاع الفرد حقًّا أن يمد من نفسه ليضم أناسًا آخرين ، وأجناسًا والطبيعة نفسها، فإن الإيثار يصبح غير ضروري . العالم الأكبر يصبح جزءًا من اهتماماتنا الخاصة ، ويُرَى كعالم من الاحتمالات لزيادة تحقيق ذاتنا، حيث إننا نكون جزءًا من زيادة الآخرين».

(3) والكلمة بالنرويجية *Selv-realisering* : Self-realising تحقيق الذات، هي حالة نشطة وليست مكانًا يستطيع الفرد الوصول إليه. لا أحد يصل أبدًا إلى تحقيق الذات؛ لأن realising تحقيق الذات الكامل يتطلب إدراك الكل. كما أنه لا أحد في التقاليد البوذية قد وصل أبدًا إلى سعادة تتخطى الألم ؛ لأنه يجب جذب بقية العالم معه للوصول هناك .. إنها فقط عملية وطريقة لكي يعيش الفرد حياته.

ونحن نستخدم المفهوم كدليل ؛ فهو يعطينا اتجاهًا لنتقدم فيه؛ وطريقة لرؤية أفعالنا كجزء من بيئة أكبر. ويعلق نايس على سبب اختياره بدء نظامه بهذه الطريقة ، فيقول:

إن تحقيق الذات، مثل عدم العنف، غامض، وكذلك مصطلح T_0... هناك في الخارج شيء جوهري: للحياة، بواسطة الحياة. ولكن يجب أن يكون هناك سهم ، اتجاه يبدأ من الذات، ويتحرك نحوها . إنه اتجاه يمكن أن أقول له نعم أخلاقيًّا ، وقد نسميه المتجه – في أبعاد ضخمة ولكن محددة.[2]

---

(1) تيودور ديستوفسكي، *The Brothers Karamazov* (نيويورك:راندم هاوس، 1950)، ص 363.

(2) من 'Is it painful to think? ' .

يجب الاحتفاظ بهذا المجاز في الذهن : سهم ، واتجاه ، ومتجه ، فهي يمكن أن تساعد في توضيح الروابط، التي يمكن أن يتسع فيها تحقيق الذات، إذا لم تحدد مباشرة. وما هذه الأبعاد بالتحديد ؟ ربما يمكن توضيح ذلك ، إذا ناقشنا كيف يمكن للفرد أن يتحرك على الصراط متنقلا من حدس إلى آخر .

(جـ) الاشتقاق

إن عملية الحركة في الفكر هي بالنسبة لأرني مترادفة مع الاشتقاق. وهو هنا يكون دقيقًا في اتجاه الاشتقاق المنطقي، أي من تحقيق الذات «وتحقيق الذات لكل الكائنات!» . نستطيع أن نتابع نظام القياس المنطقي لاشتقاق نماذج بيئية «للتنوع!» و«التعقيد!» وهذا لا يشير إلى الاشتقاق التاريخي، مثل : «من أين تأتي هذه المفاهيم مع الوقت؟» ، أو اشتقاق الغرض، مثل «لماذا تكون هذه المفاهيم مفيدة بالنسبة لي؟» (على الرغم من أن كلا السؤالين يمكن توجيهه داخل الفلسفة البيئية T) ، والمقصود هو اشتقاق منطقي محض.

ويرغب نايس في إظهار كيف يمكن أن نبرر كل التصرفات والمعتقدات بربطها بتلك ، التي هي الأكثر جوهرية بالنسبة لنا، بادئًا بـ realising «تحقيق الذات» . وعلى الرغم من أن الذي يستخدمه صارم ومنطقي صرف، لكن العبارات المحورية ما زالت بدهية ومحيرة.

كيف يكون للعالم وجود من منظور جشتالتي؟ لماذا نستفيد من المجال الاتصالي؟ كانت لدى بورش سپينوزا، أحد مصادر إيحاء نايس ، استجابة لهذه الأسئلة التي يمكن أن يكون لها صدى جيد اليوم:

أنا لا أعرف كيف تكون الأجزاء مترابطة، وكيف أن كل جزء يتفق مع الكل؛ لأنه لمعرفة ذلك سيكون من الضروري معرفة كل الطبيعة وكل أجزائها... وباتصال الأجزاء علاوة على ذلك، لا أقصد شيئًا آخر غير إن القوانين، أو الطبيعة لجزء واحد تكيف نفسها مع القوانين، أو الطبيعة لجزء آخر بحيث تثير أقل معارضة ممكنة.[1]

هذا يقدم دليلا على كيفية اعتناق علاقات جشتالتية أكثر. انظر إلى الأشياء التي تنساب معًا دون معارضة ، فمن هذه يمكن أن نكتشف الكل ذا المغزى. (ذلك يتضمن حل بعض المعارضات غير الطبيعية التي تقبلناها كجزء من ثقافتنا.)

لذلك .. نحن نركز على إيجاد داخل كل علاقة مكتشفة مرآة لتراكيبه أكبر. وبهذه الطريقة فإن آراءنا الإجمالية يشار إليها مع كل شيء نكمله ؛ فلا يجب أن نعتقد أن معلومات أكثر ستجعل ذلك أكثر وضوحًا. إن ما يلزم هو إعادة توجيه في التفكير لتقدير ما يمكن تعلمه من أشياء محددة أو بسيطة ، عن طريق إدراك علاقاتها المحددة مع أشياء أخرى ، وهذا يصاحب عملية التعلم لتشعر بأنك واحد معها.

(د) المطابقة

إن عملية الحركة من خلال الخبرة تظهر نفسها من خلال المطابقة، identifisering بالنرويجية . وهذا أيضا مصطلح نشط: يمكن أن يقابله بالإنجليزية «identiting». ونكتشف أن أجزاء من الطبيعة هي أجزاء من أنفسنا ، وأننا لا نستطيع أن نوجد منفصلين عنها. وإذا حاولنا، فإن إدراك ذاتنا يعاق ؛ لذلك فإننا لا نستطيع أن ندمرها ، إذا أردنا الوجود بشكل كامل.

---

(1) من خطاب 32 '*The Correspondence of Spinoza*' طبعة أ. وولف (نيويورك: رسيل ورسيل، 1966) ص209.

ويصبح هذا أساسًا لتطبيق قوي للتفكير الفلسفي البيئي على الصراعات البيئية على وجه الخصوص، ويجب أن نرى الاحتياجات الحيوية للنظم البيئية والأجناس الأخرى كاحتياجاتنا الخاصة: لذلك فليس هناك تضارب في المصالح. إنها أداة لتعزيز إدراك الفرد لذاته وللحياة الكاملة. وقد أدرك هذا راهب عجوز حكيم في الإخوة كرامازوف:

أحبَّ كل خلق الله، أحبَّ الكل وكل حبة رمل فيه.. أحبَّ كل ورقة شجر، كل شعاع من ضوء الله.. أحبَّ الحيوانات، أحبَّ النباتات.. أحبَّ كل شيء. إذا أحببت كل شيء، فإنك ستدرك السر الإلهي في الأشياء. وبمجرد أن تدركه، سوف تبدأ في فهمه أفضل كل يوم... فالكل مثل المحيط، الكل يتدفق ويمتزج؛ لمسة في مكان واحد تحدد حركة على الجانب الآخر من الأرض... لا تقل إن «الخطيئة ضخمة، والشر ضخم، والبيئة الشريرة ضخمة، ونحن وحيدين ولا حيلة لنا»... انطلقوا بعيدا عن هذا الاكتئاب يا أطفال![1]

لذلك إذا تقدمنا بشكل كاف، فإن الفكرة المجردة «للبيئة» تصبح غير ضرورية. والمطابقة بهذا المعنى هي بتفسيرها الشامل للحب. في الحب، يفقد الفرد جزءًا من هويته باكتساب هوية أكبر، شيء في معناه الأصدق لا يمكن التحدث عنه. لذلك، فإننا في الوقت نفسه لا ننوي أن نجعل كل شيء جزء من أنفسنا، ونرى أنفسنا غير موجودين بطريقة أخرى. يمكن أن نتطابق مع هذه الأجزاء في الطبيعة تماما؛ لأن لها حالة مماثلة لنا؛ وهي تمتلك استقلالًا معينًا عنا وعن تقديراتنا، وذلك يطلق عليه نيس «*naturens egenverdi*»: القيمة الجوهرية للطبيعة.

---

(1) دستوفيسكي 13، صفحات 382-3 .

(هـ) القيمة الجوهرية

إن ترجمة كلمة *egenverdi* «بالقيمة الجوهرية» تجعل المصطلح يبدو إلى حد ما غير طبيعي: المقصود به «قيمته الخاصة»، القيمة في ذاتها . ولقد وجد كثير من فلاسفة الفلسفة البيئية صعوبة في هذه الفكرة[1]، خاصة في ضوء ما قيل عن أنفسنا والاتصال مع ذات الطبيعة. ما هذا، إذًا الذي يوجد بالفعل مستقل عنا؟ إن القيمة ليست مستقلة كثيرًا عنا كما هي مستقلة عن تقديراتنا، سواء كانت مادية أو جمالية في الطبيعة. الكيانات البيئية في الطبيعة هي أشياء تحترم لذاتها ، ببساطة لأنها موجودة هناك وبالقرب منا. مثل الأصدقاء - لا يجب أبدًا أن نستغلهم فقط كوسيلة لشيء آخر ، وإذا ما قمنا بذلك فسيكون هذا شيئًا سطحيًا ؛ حيث نرى التفاعلات السطحية فقط . ومن الواضح بشكل بدهي رؤية صفة الذات، بشكل جوهري (الشكل الخاص، والنوعية) للطبيعة والأصدقاء، ولكن من الممكن أن ينسى الفرد بسهولة في تفاعل الحياة اليومي. وقد نفقد الأصدقاء إذا تصرفنا بهذه الطريقة لمدة طويلة ، والشيء نفسه يمكن أن يحدث مع الطبيعة .

(و) العمق

لقد لاحظ وتجنستين أن التفكير العادي مثل السباحة على السطح ، أسهل بكثير من الغوص إلى الأعماق[2]. إن المجاز المصاغ ينطبق أيضًا على اتجاهات الصراعات البيئية. إن عمل الفيلسوف هو أن يتعمق في مشكلات ومواقف ، قد تبدو من أول وهلة بسيطة أو واضحة، وأن يحفر الجذور ويكشف الهياكل والارتباطات التي ستكون عندئذ مرئية ، كما

---

(1) انظر، على سبيل المثال جي بيرد كاليكوت، 'Intrinsic value, quantum theory and environmental ethics,' *Environmental Ethics* 7، رقم 3، 1985، 257–76 .

(2) منسوب .

كانت تبدو في أول الأمر من حيث السهولة. وهذا هو سبب أن الفلسفة البيئية هي علم البيئة العميق. لقد قدم نايس هذا المصطلح لأول مرة في أوائل السبعينيات، ، وليس من المستغرب أن المصطلح T منذ ذلك الوقت، قد أخذ يعني أشياء كثيرة (محددة في اتجاهات كثيرة مختلفة): من علم بيئة ذي منظور أوسع (مثل «علم البيئة الإنساني») إلى شكل من الاحتجاج الجوهري ، يسعى إلى إضعاف الجذور العميقة «للنظام» في الحال.

ما يقصده نايس أصلًا كان مذكورا ببساطة (في كتاب نايس (1973) ، والفصل الأول) . وينطبق العمق فقط على المسافة التي ينظر إليها الفرد بحثًا عن جذور المشكلة، رافضًا تجاهل الدليل المزعج ، الذي قد يكشف ضخامة الخطر غير المحدود. ولا يجب أن يحصر الفرد حدود المشكلة فقط؛ لكي يجعل الحل الأسهل مقبولا .. فإن هذا لن يمس الجوهر. ولا يجب أن يفكر الفرد فقط في جنسنا ، ولكن في حياة الأرض نفسها. فالكوكب أكبر منا، وأكثر جوهرية وأساسية من جنسنا الفردي في عزلة.

وكلمة «ضحل» كما استخدمت لتطلق على اتجاهات وحلول ليس لها منظور واسع، هي في دائرة سيئة السمعة. وكلمات مثل «ضيق» و «محدود» قد لا تكون أفضل منها، ولكن البعض يجادل بأن كل ما يمكن أن نعمله في العالم الواقعي هو الوصول إلى الحلول ، التي يمكن أن تصنف تحت هذه الفئات، بمعنى أن مقدار أي تغيير حقيقي عميق سيكون ضخمًا جدًّا؛ حيث يكون كل ما نستطيع أن نسعى إليه هو تتابع من الحلول قصيرة الأجل والمحدودة. ولكن لا يجب أن نفقد رؤية الرابطة بين معتقداتنا المباشرة وأي أهداف بعيدة. يجب ربط هذه الأهداف المحددة لبديهتنا الضمنية وبالفهم المشتق من هذه البديهة.

وسنذكر بعض الأمثلة ، التي توضح كيف أن هنـاك مواقـف محـددة ، يمكن الاقتراب منها بمنظور بيئي عميق.

(1)عاصفة تسبب تساقط الأشجار فوق طريق السير المفضل في الغابـات المحيطة بأوسلو ، والحل المركزي البشرى يكون بإزالة كـل الأشـجار لجعل الغابة تبدو «أنظف» و«أكثر ترتيبًا» والحـل الأعمـق: هـو إزالـة فقط ما يلزم من الأشجار من الطريق نفسه، مدركا أن إزالة كثير جدًّا من الأشجار قد يعرض للخطر بيئات أجناس أخرى ، تحسنت بسبب هذا التساقط.

(2)إن حرائق الغابـات في الحـدائق القوميـة الـشهيرة تعـرض الـسائحين الزوار للخطر. هل يجب على حراس الغابة إطفاؤها أو تركها تشتعل؟ الحرائق هي جزء طبيعي من الوجـود الـصحي للغابـة ؛ لـذلك فإنهـا تكون أحيانا ضرورية. يجب أن نأخذ في الاعتبار بعناية الظروف ، قبل العبث بالنار.

(3)قبل بناء مشروع قوة مائية ، فإنـه مـن المعتـاد تقـدير الـسنوات الـذي سيستفاد فيها بالسد والبحيرة. وما المدة التي ستنقضي ، قبل أن يصبح ممتلئًا بالطمي وغير مـستخدم؟ والعمـر المناسـب وفقًـا للـصناعة قـد يكون 30 عامًا. والرأي الأعمق يكون أن مثل هذا الحـل لاحتياجـات طاقتنا غير مناسب بـشكل كبـير ، وقـد يكـون مفيـدًا في هـذه الفـترة المحدودة ، ولكنه ليس بديلًا للتفكير والتخطيط بعيد المدى.

(4)عند التخطيط لمشروع ري في منطقة جافة إلى حد بعيد، يجـب أن يـرى هذا كعملية لمساعدة التربـة والأرض نفـسها ، ولـيس فقـط لتحـسين

الإنتاجية للإنسان. إن صحة التربة هي التي في خطر؛ ويمكن أن يستفيد الإنسان من ذلك، مع الاحترام الواجب للأرض[1].

(5) أورلاندسدالين هو أحد أجمل وديان الأنهار المؤدية إلى السهل المرتفع لهاردنجرڤيدا إلى سوجنفچورد في غرب النرويج. وقد تم عمل المستجمع للقوة المائية كجزء من خطة أكبر، ولكن معظم الأعمال تم بناؤها تحت الأرض، ولم توضع الكابلات خلال الوادي. لذلك، فإن الوادي الضيق نفسه يبدو وكأنه لم يمس نسبيًّا، وهو مُرضٍ بشكل كاف بالنسبة للبعض - ولكن الذين يتذكرون الشلالات المندفعة في الأيام الخوالي يجدون أن مفهومهم الجشتالتي للوادي قد تم إفساده. إن مقدار المياه الآن مجرد مجرى هزيل، ظِلّ لقوته السابقة.. إن وقار الشلال قد فسد.

إنه من الصعب العثور على أمثلة مقنعة لحلول بيئية عميقة؛ لأن المصطلحات في الفلسفة البيئية T بعيدة جدًّا عن اللغة التي تعود المخططون العمل بها. وكما يضعها نايس (انظر الفصل الثالث)، فإن القسم الأوسط من هذا النظام الهرمي فارغ - لم يقض أحد وقتًا في دراسة العلاقة بين المبادئ الأساسية للفلسفة البيئية وتفاصيل حل موقف واحد من الحياة الواقعية، وهذا شيء مخزٍ، لأنه لو كان هناك أي اختبار لقيمة الفلسفة البيئية، فإنه هذا.. إذًا، فهذا مجال يمكن القيام فيه بالكثير!

---

(1) Deeply ecological thinking in practical land use policy planning توجد في أعمال عالم الهيدرولوجي السويدي مالين فالكمارك. انظر على سبيل المثال مالين فالكمارك وجونر ليند، *Water for a starving World* (بودلر، كول.: مطبعة وستڤيو، 1976).

وفي هذا التطبيق للفلسفة البيئية ، يؤمل الاحتفاظ بقدر من التفاؤل ، على الرغم من مقدار المعلومات السلبية التي تنهال علينا يوميًّا . إن جوهر الفلسفة يكون في إثارة الدهشة، وهذه المتعة في الدهشة لا يمكن أن تفقد حتى في الوقت الذي تبدو فيه الظروف كاحلة. الدهشة، إذًا ، يجب أن توجه إلى المشكلات نفسها، وتخترقها من الجوهر.

ويمكن أن تكون هذه القدرة على التفكير في أشياء ، هي المساهمة التي يقدمها الفيلسوف في «وقتنا اليائس» .. هذا وعندما سُئل نايس في التليفزيون الألماني عما إذا كان المفكرون لديهم أي مسئولية اجتماعية في عصرنا الحالي، أجاب:

أعتقد أن المثقفين قد يأخذون في الاعتبار أفكارهم بطريقة أكثر سبينوزية، وينمون أسلوبًا حنونًا تجاه ما يعتقدون أن لديهم بصيرة نحوه، بينما يفكرون فيه بمنظور شديد الاتساع. وقد يقوم المثقفون بذلك دون ارتكاب الخطأ الفظيع بأن يصبحوا عاطفيين أو متعصبين.(1)

هذه هي مهمة تبرير آراء الفرد فلسفيًّا، حتى لو كانت آراء بديهية أو آراء عاطفية. ويجادل نايس أن هذه الآراء هي مكون لا يتجزأ من الحقيقة الموضوعية، ولكونه كذلك فهو يستحق اعتبارًا جديًّا في المناظرة البيئية. ولكي نتصرف بشكل مسئول في أي صراع أو موقف حيث ندلي بآرائنا عن الطبيعة ، يجب أن نكون قادرين على تكامل هذه المشاعر بالطريقة نفسها كحقائق موضوعية وإحصائية:

---

(1) من مناظرة بين نايس وأ.جيه. أير، ' The glass is on the table: an empiricist vs. a total view ' في طبعة فونس إلدرز، *Reflexive Water: the Basic Concerns of Mankind* (لندن: مطبعة سوفينير، 1974)، ص 59.

... كشخص عامل ، فإن لي موقفًا ، وافترض ضمنيًّا الكثير جدًّا من الأشياء، ومع تعلمي الإسبينوزي تجاه التكامل - لكوني شخصًا متكاملًا ، وهو الشيء الأكثر أهمية - فأنا أحاول الآن أن أتوقف عن كل هذه الأهواء ، وأنا أدعوك أن تفعل الشيء نفسه.[1]

وبينما يتعلم أفراد أكثر القيام بذلك، فإننا لا نُترك مع وحدة ضحلة، ولكن مع كثير من التفسيرات للجوهر نفسه . وعند مواجهة نظام الفلسفة البيئية T، يجب أن تأخذ الوقت لكي تتغير.

وعلى الجانب الآخر، يمكن للفرد أن يتحدث ويوضح للأبد ، دون تغيير الطريقة التي يعيش بها ويتصرف. هذا هو عصر النفاق .. التصورات الذهنية شيء، والأفعال شيء آخر. ونايس لديه تعليقات على هذا «التكامل» ، منها:

يمكن أن نسمي الناس «حقائب من التناقضات»، وليس من عملي أن أصف هذه الحقائب. في الواقع ، هناك الكثير الذي يمكن قوله عن الشخصيات المتكاملة جدًّا. لا توجد مساحة كافية لعدم الاتساق، والعفوية، واللعب...[2].

(4) أين نضع علم البيئة العميقة؟

بعد أن أوضحنا كيف أن نايس يستفيد من الكلمات الأساسية في علاقتها بالفلسفة البيئية T، فإنه من المفيد التفكير في هذه الفلسفة البيئية بالمقارنة بالفلسفات البيئية الأخرى، من حيث ما ترشد إليه عمليًّا ، ومن حيث الطريقة التي تقترب بها من وجهات نظر شاملة. وفي أثناء ذلك ، فإن كثيرًا من تفسيرات التمييز الأصلي «علم البيئة العميقة» تظهر للضوء،

---

(1) مرجع سابق ص 58 .

(2) Personal correspondence، أغسطس 1986.

بعض منها يمكن تسميته إساءة تفسير ، وذلك يكون خطرا دائـمًا عنـدما نتحدث عند المستوى T_0 ؛ فإنك قد تكتسب كثيرًا من الأنصار لأفكارك ؛ لأنها تفهم بسهولة جدًّا بطرق مختلفة. ولكن بعض هذا الفهم لـن يكـون هو الذي في ذهنك! ونستعرض في هذا القسم الطريقة التي تم بها تصنيف الفلسفات البيئية، ونحاول أن نوضح بعض الأفكـار الخاطئـة الأساسـية بخصوص تفسير مفهوم علم البيئة العميقة . وهناك مشكلة شائعة ، وهي أن التفرقة بين الحركة والفلسفة غير مدركة ؛ فالتفلسف يمكـن أن يكـون وحيًا ومصدرًا لدعم الحركة ، ولكن لا أحد يدعي أنه يمكن أن يحل محـل الأداء العملي للأنواع المختلفة.

هناك جدول مفيد يظهـر هـيكلًا منـاظرًا للـشكل الـضحل/ العميـق موجـود لـدى أوريـوردان[1] ، وهـو يقـارن المنـاهج البيئيـة والبيئيـة التكنولوجية أو التمركز البيئي مقابـل التمركـز التكنولـوجي. والأقـسام الفرعية التي يـستخدمها أوريـوردان في التفـصيل مهمـة ؛ لأنهـا توضـح السيولة الشديدة للمصطلحات الأصلية (انظر الجدول فيما يلي).

الفـرق الأسـاسي واضـح ، ولكـن فـصل علـم البيئـة العميقـة عـن التكنولوجيات المعتمدة على الذات يوضح سـوء قـراءة شـائعًا - يـضيق علم البيئة العميقة بعيدًا عن الاهتمامات العملية للناس والمجتمع، كما لـو كانت فقط مناقشة لحقوق حيوان أو أجناس. النقاط المذكورة تحت عمود علم البيئة العميقة ، لدى أوريوردان ، يجب رؤيتها كأساس لإدراك العالم، الذي يقصد به تشكيل أساس العمل المحدد لتنمية المزيد من التكنولوجيا الملائمة والإدارة ، وليست كشيء أكثر راديكالية أو تطرفًا.

---

(1) تي. أوريوردان، *Environmentalism* (لندن: پيون 1981) ص 376 .

إن الدلالة الكاملة «التمركز البيئي» هي أقرب إلى مكافئ لما يعنيه نايس «بعلم البيئة العميقة»؛ من حيث التركيز على محيط البيئة. قارن عبارة أوريوردان «القوانين البيئية تملي مبادئ الأخلاق الإنسانية» بطريقة نايس الأكثر بحثا، وإحساسًا واستماعا للبحث عن دليل إرشادي في الطبيعة:

هناك نوع من الموافقة العميقة للطبيعة التي هي رئيسية لفلسفتي. لأي شيء نقول نعم ؟ من الصعب جدًّا أن نعرف- هناك عدم تحفظ عميق، ولكن في الوقت نفسه هناك نوع من الندم، والحزن، أو الاستياء... الطبيعة ليست قاسية، ولكننا نرى القسوة من وجهة نظر بشرية - كما نرى الأصفر في الشمس ، وكما نرى الجبال الزرقاء المذهلة خارج هذه النافذة[1].

والجملة التالية لأوريوردان تقول إن جزءًا من علم البيئة العميقة هي «حقوق بيولوجية»: حقوق مظهر الطبيعة الفريد في أن يظل دون مساس». والاستجابة وفقًا لنايس قد تكون ليست «فريدة»، وليست «حقوق»، ولكن تكون التفكير في المناظر الطبيعية أولًا، قبل الاحتياجات البشرية، ثم استنباط تكنولوجيات وإدارة، التي تنشأ عن تأصل في المكان والطبيعة.

ويجب أن يكون الفرد قادرًا على رؤية مدى من التفاؤل الممكن في علم البيئة العميقة ، هذا إذا كان لابد أن تكون لها أي استخدام كمفهوم بناء- فهي لا يمكن أن تعتبر مجرد موضع متطرف بشكل واضح أو متشائم على مقياس خطي.

---

(1) من 'Is it painful to think?' .

التمركز البيئي والتمركز التكنولوجي



المصدر : أوريوردان ، 1981م .

ويمكن مثل هذا التعديل في التصنيف أن يجعل ملخص أورديون الأول والأكثر دقة للبيئة العميقة مُمكنًا: «الأهمية الجوهرية للطبيعة الإنسانية للإنسان».

ومع ذلك، فإن كثيرين قد تجاهلوا هذا الجوهر وحرَّفوا المصطلح في اتجاهات مختلفة، وقد أسفر اقتراع للاتجاهات البيئية، أجري في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر السبعينيات عن أنه خطوة طويلة، يجب اتخاذها:

> **... علم البيئة العميقة هو موقف راديكالي أكثر من أي موقف، اتخذه مؤيدو التكنولوجيا البديلة، التي تتضمن رفض النمو الاقتصادي والافتراضات الضمنية للعلوم الغربية، وإخضاع المجتمع الإنساني لعمليات طبيعية، والعقيدة هنا أن البشر يشتركون في *هوية* عميقة مع الطبيعة غير البشرية.[1]**
> **[الخط المائل يخصني]**

إن استخدام المجاز السلبي والجامد يمثل علم البيئة العميقة كشيء غير واقعي على الإطلاق، ثابت وغير بنَّاء عن طريق استخدام كلمات مثل «إخضاع» و«عقيدة»، وبدلا من ذلك يجب أن نرى حركة البيئة العميقة كجهود موجهة، نحو توحيد الهوية مع الطبيعة (ليست غير البشرية، ولكن امتدادًا للبشرية). ونحن لا نخضع ولكن نتكامل مع العمليات الطبيعية. ربما يكون النمو الاقتصادي في حد ذاته مرفوضًا، ولكن ليس النمو أو التقدم إذا أُعيد تحديده بأسلوب بيئي أكثر.

وعدم واقعية التصنيف أعلاه يمكن تجنبها، إذا تمت رؤية علم البيئة العميقة كمصدر للعمل العملي، وليس كقانون للأخلاق. ولكن المظهر

---

(1) روبرت كاميرون ميتشل، 'How soft, deep, or left? Present constituencies in the environmental movement for certain world views, *Natural Resources Journal*,'20, 1980, p.384-9.

المثالي نفسه قد قاد ليستر ميلبراث إلى أن يصف أنصار البيئة العميقة كجماعة غير فاعلة بشكل واضح:

> **إن أنصار البيئة العميقة منغمسون في الطبيعة بشكل عاطفي وفلسفي، [وعلى الرغم] من أنهم غير مشتركين في السياسة والإصلاح السياسي ، فكثير منهم يعيشون في مجتمعات مضادة للثقافة والأقرب للطبيعة وينزعجون بالحد الأدنى من المجال الحيوي ، بينما يتفاعلون مع الطبيعة لتزودهم باحتياجات الحياة؛ وفي هذا المعنى .. فإنهم راديكاليون(أصوليون) ومحافظون. وعلى الرغم من أن المجتمع قد يتعلم أخيرا دروسًا مهمة من خبرة هؤلاء الناس في مجتمعاتهم الجديدة، فإنهم لا يشكلون قوة شديدة في التغيير الاجتماعي قريب المدى.[1] [المائل يخصني]**

عند التفكير في هذا التصنيف، يجب أولًا أن نوضح أن هذا الانغماس العاطفي والفلسفي لا يحول دون الاشتراك السياسي. وبدلًا من ذلك ، فإنه يجب أن تُرى كخطوة أولى لتغيير حقيقي بعيد المدى. ولا يجب أن يرى الانفصال عن النظام ، سواء في التفكير أو أسلوب الحياة أبدًا كمعارضة للذين يعملون من أن التغيير قصير المدى؛ وتفسير القسم العميق - الضحل بهذه الطريقة هو خطأ. ولكن الأشياء التي تُرضي سريعًا لديها طريقة لعدم الاستمرار لمدة طويلة ، مثل الحلول البيئية الضحلة .

لكن من الواضح أن ميلبراث كانت لديه بصيرة نحو فائدة التفرقة «علم البيئة العميقة» ، عندما سماه راديكاليًا ومحافظًا ، وذلك يلمح للقوة المحتملة للسياسة الخضراء التي ستقدم في الفصل السادس، والتي يجب أن تبدد فكرة أن علم البيئة العميقة هي شيء غير سياسي بالكامل.

---

(1) ليستر ميلبراث، *Environmentalists: Vanguard for a New Society*، (ألباني : مطبعة جامعة نيويورك) 1984، ص 25-6 .

وصل ذلك إلى حد القول بأن بعض جماعات الضغط المحافظة في واشنطن قلقة جدًّا من الحركة:

هناك أيضا اتجاه نحو تيار ثوري جديد في الحركة الجديدة المشار إليها «بعلم البيئة العميقة»... هذه الزمرة القوية ليست فقط راضية بالنضال للحماية البيئية، [ولكن] تسعى إلى تعهد فكرة عقلية مضادة لثقافة العالم... والبيئيون اليوم لا يسعون فقط لبيئة نظيفة وآمنة، ولكنهم يناضلون لهدف سياسي غامض، مصمم، ليحدث عن طريق إنتاج الطاقة كما نعرفها.[1] [المائل خاص بي]

صيحة بعيدة من رأى ميلبراث بخصوص عدم الارتباط! لذلك .. فإن بعض المنظمات تبدو خائفة من الطبيعة الثورية المحتملة لعلم البيئة العميقة، كما أن الذين لا يتفقون بشدة مع أنصار علم البيئة العميقة قلقون، وهذا ليس بالشيء السيئ، ولكن القلق والخوف هما ردّا الفعل الخاطئان. يجب أن تُبذل جهود ضخمة للتواصل مع الذين يعارضون من كلا الجانبين. ولا يجب أن ينأى أي برنامج داخل البيئة العميقة بنفسه عن مهمة الاتصال بالمعارضين، بالفعل، والكتابة، أو التحدث، كما أكد غاندي أكثر من مرة وأخرى (انظر الفصل السادس).

وإذا وضعنا ذلك في ذهننا، فمن الممكن أن يكون هناك خطر التحدث بحماسة مفرطة عن مزايا فهم جديد للطبيعة؛ خصوصًا إذا لم تكن معدًّا لتقديم هذا الفهم، ولكن تصرخ فقط من أجل الحاجة إليه:

إن البيئة العميقة تظهر كطريقة لعمل توازن جديد وانسجام بين الأفراد، والمجتمعات، وكل الطبيعة. إنها يمكن أن ترضي بشكل محتمل حنيننا العميق: إيماننا وثقتنا ببديهتنا الأساسية، والشجاعة لاتخاذ إجراء مباشر،

---

(1) تي.إم. پكينپا، 'The specter of environmentalism: the threat of environmental groups' (واشنطن، دي سي: لجنة دراسة الجمهوريين، 1982) ص3 .

والثقة المبهجة لترقص مع الإيقاعات الحسية المكتشفة من خلال الرياضة، والاتصال اللعوب بإيقاعات أجسادنا، وإيقاعات الماء المتدفق، والعمليات الكلية للحياة على الأرض[1].

ويجب أن يحذر المرء من وضع كثير من التوقعات على البيئة العميقة. وعلى الرغم من أن المجاز هنا يجنبنا المبالغة، فإنه يمكن أن يكون خطيرا إذا لم يأخذ أحد الوقت الكافي ليتحرك بعد هذه الصياغات T: ويمكن أن توفق هذه الصياغات كثيرًا من المؤيدين المحتملين ، كما يمكن أن يكون هناك خطر في الأسلوب البلاغي المنمق ، ولهذا فإن نايس يتجنب الأسلوب شديد البلاغة.

لكن نايس مازال يشجع الذين لديهم آراء متضاربة ووسائل للاتصال، للاستمرار في طرقهم المختلفة، بينما يحتفظ بحكمة: «بسيط في الوسائل، وغني في الغايات».

ونحن لا نستطيع أن نقول إن أيًا من هذه التفسيرات زائف ، ولكنها بطريقة ما تفشل في مواجهة المغزى المحتمل بتقييده قبل فهمه. وهي أيضا صياغاتT ، وبالطبع فقط مقتطفات من أعمال أكبر بكثير، أخذت من السياق. وأسهل طريقة هي وضع بطاقات على الأشياء ، ولكن الأكثر صعوبة الذهاب إلى ما بعد هذه الصفات السريعة ، مثل : «ضحل» و «عميق». ما تشير إليه كل الأمثلة أعلاه «للقراءات» بهذه الطريقة أن الدقة يمكن أن تحد من معنى مفهوم ، وتشوه على أساس الاستخدام المحدود للمعلومات. والعنوان الفرعي للكتاب هو «وصف عام

---

(1) بيل ديفال وجورج سيشنز، *Deep Ecology: Living as if Nature Mattered* (مدينة سالت ليك: كُتب بريجرين سميث، 1985) ص 7.

للفلسفة البيئية»، وهو في جوانب كثيرة رسم تخطيطي، ولكن مهمتنا كقراء، أن نملأ الفراغ حتى تكون إساءة التفسير أقل تكرارًا.

ولكن لكي نشكل البيئة العميقة؛ لتكون مجالًا حيويًا للبحث الفلسفي الخلاق، يجب أن نقدم خطوطًا عريضة أبعد عن كيفية الاستمرار. ويحدد المرء نفسه، عندما يصفها كنوع من التوسع في الفضيلة والأخلاق، التي تشمل الحيوانات والنباتات، والنظم البيئية حتى كل العالم الطبيعي. إنها مسألة «علم الوجود، وليس الأخلاق» كما كتب نايس في (الفصل الثاني)- إعادة فحص لكيفية أن ندرك وننشئ عالمنا. وقد جادل ذلك بشكل رائع الفيلسوف الأسترالي وارويك فوكس، في بحث حديث[1]، والذي يدافع فيه عن منهج علم الوجود ضد نقد حديث (أيضًا استرالي) للفلسفة البيئية العميقة[2]، الذي يصف كل مادة البيئة العميقة بأنها «هراء غير متسق».

إن تفسير كل الشيء على أنه هراء يأتي فقط، إذا ركزت كثيرًا على إعادة قراءة الصياغات التخطيطية لفلسفات البيئة العميقة، بدلًا من استخدامها كمقترحات لتفسيرات، تعتمد على خبراتنا الخاصة. وخلاصة فوكس التي من أجلها يدعمها كثير من الفلاسفة في كتاباتهم، أن المرء يجب أن يتوجه بعيدا عن «علم القيم البيئي»- بمعنى البحث عن قيم في الطبيعة. وبدلًا من ذلك، فإنه يجب على المرء أن يبحث عن تغيير طريقة الإحساس بنفسه والعالم في اتجاه المماثلة، وتحقيق الذات التي قدمها نايس في عمله.

---

(1) وارويك فوكس، 'Approaching deep ecology: a response to Richard Sylvan's critique of deep ecology'، هوبارت، جامعة تاسمانيا للدراسات البيئية، بحث اقتضائي 20، 1986 .

(2) ريتشارد سيلفان، 'A critique of deep ecology'، كانبرا، ورقة مناقشة بالجامعة الأسترالية الوطنية في الفلسفة البيئية، رقم 12، 1985.

ويلخص فوكس ذلك فيقول:

إن إطار العمل المناسب لمحاضرة وصف وتقديم البيئة العميقة ليس ذلك المرتبط أساسا بقيمة العالم غير البشري، ولكنه المرتبط أساسا بالطبيعة وإمكانيات الذات، أو، قد نقول، مسألة من نحن، يمكن أن تصبح ويجب أن تصبح في الخطة الأكبر لأشياء[1].

الكلمة «يجب»(تأكيدي) تشير إلى أن موضوع القيم مازال باقيًا . وربما لا تكون قيمة الأرض، ولكن من أجل الأرض، الناشئة من الاختيار البشري. ولكن الطريقة الوحيدة للقيام بهذا الاختيار تكون عن طريق الدخول بعمق داخل خبراتنا الخاصة - ولكن ذلك لا يمكن أبدًا حين تكون اهتماماتنا الخاصة في المقام الأول في ذهننا.

إن النظرة الشاملة للطرق التي نختارها (أو التي اختيرت) لتتفاعل وتنشأ البيئة متاحة[2] ، وهناك اتجاهات مختلفة وأقطاب في المناقشة هي في الواقع غير واضحة : هل الإنسان جزء من الطبيعة؟ تُعرِّفه الطبيعة؟ أم أننا لدينا الحرية في أن ننشئ طبيعة أنفسنا، أو ندخلها خلال منهج ظواهري متنوع ، يمكن أن تتضمن كلًا من المراقب الذي «يبني واقعه » و«أشياء تمثل نفسها»؟

هناك شيء في المنهج الأخير المزدوج قريب لما يؤيده نايس. إن الأجزاء في الكتاب التي تقترح ذلك (أيضًا ربما الأصعب) ، هي التي في الفصل الثاني التي تتعامل مع المنظور البيئي ، وعلى وجه الخصوص مفهوم المضامين المحددة- أن كل الصفات ، التي نشعر بها في الأشياء إلى حد ما تقع في هوية الأشياء نفسها.

---

(1) فوكس (1986) ص 85.

(2) ديفيد بيبر، *The roots of Modern Environmentalism* (لندن : كروم هيلم، 1984)، ص 124 .

إن ميزة منهج المضامين الملموسة بالنسبة للبيئيين هو إظهار أن مشاعر التوحد، التي يمكن أن نتعلم أن نشعر بها في/ مع الطبيعة، في الواقع توجد في الطبيعة، وهي حقيقية مثل أي بيئة قابلة للقياس يمكن أن تخضع لتحليل التكلفة - الفائدة.

ولكن فيما يتعلق بكيف يمكن أن نعيد توجيه أنفسنا، فإن نايس يوجهنا نحو فهم مشارك:

أنا لست مهتمًا كثيرًا بالأخلاق أو الفضيلة .. أنا مهتم بكيفية اكتشاف العالم. إذا كانت البيئة العميقة هي عميقة، فإنها يجب أن ترتبط بمعتقداتنا الأساسية، وليس فقط الأخلاق. إن الأخلاق تتبع كيفية اكتشاف العالم. وإذا نطقت خبرتك إذًا فهي يمكن أن تكون فلسفة أو دينًا[1] .

ولكن كيف يجب أن نكتشف العالم؟ ثم كيف يجب أن نعبر عنه؟ هل هناك أمثلة للمنظور الموسع؟ كيف سيكون شكله، وإحساسه، ومذاقه، ورائحته أو صوته؟ وكيف نعرف أننا نقترب منه؟

إن هذه الأسئلة تبقى. وهذا الكتاب يقترح طريقًا للتقدم .. إنه ينبثق من البديهة وينتهي بها، ولكن الأسئلة ستكون ملكك، وليس فقط ملكًا للمؤلف؛ فالنظام يبدأ بالمباشر وينتهي به .

ديفيد روثينبيرج

أوسلو

1986/9/16

---

(1) مقتبسة من فوكس (1986)، ص 46 .

الفصـل الأول

أزمة البيئة والحركة البيئية العميقة

(1) خطورة الموقف :

إن الجنس البشري هو أول الأجناس على الأرض التـي لـديها القـدرة الفكرية للحد من أعدادها بشكل واعٍ، والعيش في توازن ثابت وفعال مع الأشكال الأخرى من الحياة. و يمكن للبشر أن يدركوا ويعتنوا بالتنوع في بيئاتهم المحيطة. ويسمح لنا ميراثنا البيولوجي بأن نستمتع في هـذا التنـوع المعقد، والحي. وهذه القدرة على الاستمتاع يمكن أن تصل إلى مدى أبعد من الإتقان، وبذلك يسهل التفاعل الخلاق مع البيئات المباشرة المحيطة.

وهنالك ثقافة عالمية ذات طبيعة أولية تقنية – صناعية تتجاوز الآن كل بيئات العالم، تنتهك ظروف الحياة لأجيال المستقبل. ونحن – المـشتركون المسئولون في هذه الثقافة– قد بدأنا ببطء ولكن بثقة ، نتساءل عـما إذا كنـا حقًّا نقبل هذا الدور الفريد الشرير الذي اخترنـاه سـابقًا ، وإجابتنـا هـي تقريبًا سلبية بالإجماع.

لأول مرة في تاريخ الإنسانية، نقف وجهًا لوجه أمام اختيار فُرض علينا ؛ لأن اتجاهنا الواهن لإنتاج أشياء وأشخاص قد لحق بنا. هل سنطبق لمسة من النظام الذاتي والتخطيط المعقول لنشارك في صيانة وتنمية ثـراء الحيـاة عـلى الأرض، أم سنبدد فرصنا بعيدًا ، ونترك التنمية لقوى عمياء؟

ويمكن قراءه الموجز التالي عن هذا الذي يجعل الموقف شديد الحرج:

زيادة متضاعفة، وتدهور بيئي جزئي أو كلي، لا يمكن إلغاؤه أو تخريب دائم، من خلال وسائل مؤسسة راسخة للإنتاج والاستهلاك، ونقص في السياسات الملائمة فيما يتعلق بالزيادة السكانية البشرية.

ومن المفهوم أن الكلمتين: «تدهور» و«تخريب» هنا تعني تغيرًا للأسوأ، ونقصًا في القيمة. وهناك نظرية أخلاقية، تفترض أن هناك نظامًا يسمح للفرد بأن يحكم على التغيير بأنه سلبي. وتعترف الكيمياء والفيزياء وعلم البيئة فقط بالتغيير، وليس التغيير الـمُقيم. ولكن أنت وأنا قد نوافق افتراضًا على أن تغيرًا في الظروف الحيوية للنهر أو للمحيط، الذي يستبعد معظم أشكال الحياة سيشكل تدهورًا للقيمة. وتفكيرنا المقيم يؤكد أنه سيشكل تخريبًا للتنوع. وعدم قدرة علم البيئة على شجب هذه العمليات مثل التخلص من التربة بغسلها بمياه أمطار الغابات، تظهر أننا نحتاج إلى منهج آخر، يتضمن الدور الذي لا مفر منه لإعلان القيم، وليس فقط إعلان «الحقائق».

نحن في حاجة لأنواع من المجتمعات والجماعات، التي يستمتع فيها الفرد بمظاهر التوازن ذات القيمة الخلاقة، بدلًا من تعظيم النمو محايد القيمة؛ يكون فيها الوجود مع كائنات أخرى أكثر أهمية من استغلالها أو قتلها.

هذه المناقشة للأزمة البيئية يحركها ما لدى البشر من احتمالات غير محققة بالنسبة للخبرة المتنوعة في الطبيعة أو للطبيعة: وتسهم الأزمة أو قد تسهم في فتح عقولنا لمصادر الحياة ذات المغزى التي مرت دون ملاحظة، أو قد تم انتقاص أهميتها في جهودنا للتكيف مع مجتمعنا المتمدن، التقني - الصناعي الضخم.

ولن يكون من الحكمة افتراض أن التحسينات يمكن إنجازها من أجل الغالبية العظمى من الجنس البشري ، دون قتال سياسي شديد وتغيرات عميقة في الأهداف الاقتصادية ، التي تسعى إليها الدول الصناعية. ويتم التمسك بأولويات القيمة اجتماعيًّا واقتصاديًّا، وتتفاعل التغييرات في هذه الأولويات ، بشكل مستمر ، مع التغييرات الأخرى في كلٍّ غير محدود وفعال.

وسيكون من الخطر أيضًا افتراض أن أي مجموعة واحدة لديها بصيرة نافذةٍ وقوة على الأنظمة التقنية-الاقتصادية. وترجع صعوبة الأزمة جزئيًّا إلى طبيعتها التي لا يمكن التحكم فيها بشكل أكبر: إن التطورات تتقدم بخطى سريعة حتى لو لم تكن هناك جماعة، أو طبقة، أو طبيعة قد قررت بالضرورة، وخططت أو قبلت المرحلة التالية. وتظهر الميكنة المتضمنة أن درجة السرعة لا تبطئ ، وأن العجلات ذات التروس سحبتنا إلى الآلة نفسها ، التي اعتقدنا أنها كانت عبدًا لنا.

ويتطلب الوصول إلى أهدف جديدة للتقدم بصيرة أكبر داخل هذه الآلية، ليس فقط داخل الصفوة التي تملك القوة، ولكن أيضا داخل الطبقة العامة ككل. وهذه الأخيرة يجب أن تشترك بقدر الإمكان ، في كل من صياغة أهداف جديدة ، وفي اقتراح وسائل للوصول إليها.

(2) الإنتاج والاستهلاك: أيديولوجية وممارسة :

لقد تم قياس التقدم بكل جدية عن طريق معدل استهلاك الطاقة واكتساب وتراكم الأشياء المادية. وما يبدو أنه يفيد المتطلبات المادية من أجل «الحياة الجيدة» يُعْطَى أولوية ، دون التساؤل عما إذا ما كانت الحياة التي تمت ممارستها هي بالجودة نفسها ، ولكن الطعم هو الدليل على جودة البودينج. وكثير جدًّا من الناس في المجتمعات التي تدعى

بالمجتمعات ذات الوفرة يجدون أن طعمها لا يساوي الضغط. «أنا غني»، كخبرة، مستقلة بشكل كبير، ولكن ليست مستقلة تماما عن المتطلبات التقليدية للحياة الجيدة. نوعية حياة مرتفعة - نعم: مستوى معيشة مرتفع- ربما نعم، ربما لا.

يتحدث السياسيون وخبراء الطاقة عن الاحتياجات المتزايدة بشكل متضاعف للطاقة، كما لو كانت احتياجات بشرية، وليست ببساطة متطلبات للسوق؛ فمستوى المعيشة المادي ونوعية الحياة في كل المقاصد والأغراض يتم التفكير فيها كشيء واحد وكالشيء نفسه. وينتج عن هذا طلب على التوسع المادي المتضاعف. ومن المهم إدراك أن نسبة النمو تتضاعف، وأن هناك زيادة سنوية قدرها 1% أو 2% تؤدى إلى تغييرات اجتماعية وتغييرات تقنية في غضون كل عام، بالإضافة إلى تغييرات ضخمة متراكمة.

ويمكن تتبع الجذور العميقة لأيديولوجية الإنتاج والاستهلاك في كل الدول الصناعية القائمة، ولكن ربما بوضوح أكثر في الدول الغربية الغنية؛ فمقدار كبير من الطاقة الذهنية المتاحة داخل الحياة الاقتصادية، يستخدم في خلق ما يسمي باحتياجات وجذب مستهلكين جدد لزيادة استهلاكهم المادي، وكذلك يقال، أنه إذا لم يكن الأمر كذلك، فإنه ستلحق بنا عاجلا الأزمة الاقتصادية والبطالة.

وقد دخل عدم الرضا والقلق نتيجة للإيقاع المصطنع والحياة «الحديثة» المصطنعة بشكل تقليدي في التوازن دون غمضة جفن. ولا يمكن إحداث التغيير في إيديولوجية الإنتاج والاستهلاك، دون تغيير أكبر في الآلية الاقتصادية. في الوقت الحالي، يبدو أن الآلة تتطلب وتنتج اتجاهًا مشوشًا نحو الحياة. وداخل هذا النظام ذي التشحيم الجيد، فإن مراجعة

مقاييس القيمة في صالح قيم تجريبية شاملة، ونوعية الحياة بدلا من مستوى المعيشة، يجب أن تبدو كمقترح خطر.

لقد «تقدمنا» إلى النقطة حيث تعتبر أهداف الحياة الجيدة أهدافا مهددة؛ نحن متورطون بشكل معقد في نظام يضمن الرفاهية قصيرة الأجل في جزء صغير من العالم، عن طريق الزيادات المدمرة في الوفرة المادية. والزيادات المميزة هي تلك الزيادات المحمية إقليميًّا؛ بسبب أن زيادة مماثلة في الوفرة في أفريقيا، وآسيا، أو جنوب أمريكا ليست مقصودة، وسوف تسرع بحلول المعركة البيئية الفاصلة الكبرى.

وغالبا ما يشير الكُتاب الذين يصفون المشكلات البيئية، ويتحركون من أجل إيجاد حلول لها، إلى منحنيات معينة متضاعفة، تلك التي توضح وضع الأزمة. ويشير الكُتاب الذين يرغبون في استرضاء جماهير قلقة الذين يصدقون بحماس على مضاعفة أخرى للنمو الاقتصادي في الدول الغنية، إلى منحنيات مختلفة جدًّا (كمثال، انظر جوليان سيمون *The Resourceful Earth,* 1984.) ومنحنى الفائدة في البيئة متضاعف، مثل المنحنى في التقدم التقني الجديد في منع التلوث. وكان التشريع لصالح البيئة يتزايد بشكل متضاعف في السبعينيات. لذلك، هل هناك حقًّا أي سبب لاستمرار في إثارة للجهود المجددة؟ والسؤال الجيد يدعو لسؤال الآخر: إذا كانت ردود الأفعال الايجابية للإثارة تتزايد بشكل متضاعف، أليس هذا دافعًا لإيقاف الإثارة؟ كل شيء يسير بشكل جيد جدًّا، أليس كذلك..؟

على أي حال، فعبارة «سيتم التغلب علي الأزمة البيئية بشكل مفترض (دون أي مجهود من جانبنا)» تنتمي إلى هذا النوع من العبارات الداحضة للذات: وكلما كثر الذين احتشدوا حولها، أو على الأحرى كثر من

اعتبروها حقيقية، وفى هذه الحالة كلما قل احتمال أن يثبت أن تكون هذه العبارة حقيقية.

«سيواجه الجنس البشري خلال 100 عام،كارثة بيئية (إذا لم نقم أنت وأنا ببذل مجهود)» هذه العبارة تنتمي إلى نوع العبارات الداحضة للذات نفسها : كلما كثر الذين احتشدوا حولها ، زادت فرص التزييف. وفي هذه الحالة، فإنه من المرغوب فيه إثبات أن العبارة خاطئة.

والخلاصة هي أن هناك حاجة إلى الكثيرين لإثارة تغيير قريب في هذا الاتجاه. ويشير علم البيئة والعلماء البيئيون الآخرون إلى أننا مازلنا على طريق كارثة، ولكنهم لا يقومون بتنبؤات ثابتة لما سوف يحدث فعلًا. وعباراتهم تبدأ بـ«إذا»: «إذا استمر العيش بالأسلوب الحالي، سوف يحدث كذا وكذا.»

يمكن أن تساعد أزمة ظروف الحياة على الأرض في اختيار طريق جديد بمعايير جديدة للتقدم، والكفاءة، والعمل المنطقي. هذا الجانب الايجابي من موقفنا قد أوحى بكتاب «العلم البيئة، والمجتمع، وأسلوب الحياة».

ويمكن أن توحي الأزمة البيئية بنهضة جديدة ؛ وأشكال اجتماعية جديدة للتعايش معًا في مستوى مرتفع من التقدم المتكامل، ثقافيا وتكنولوجيًا واقتصاديًا (مع تدخل أقل)، وخبرة في الحياة أقل تقيدًا.

(3) معرفتنا البيئية محدودة بشكل خطير :

تبعات الجهل بالسياسة البيئية

تعتمد الحركة البيئية على نتائج بحث في علم البيئة ومؤخرًا في علم الحفاظ على الأحياء (انظر سولي (1985). ولكن لدهشة الكثير، فإن النتائج العلمية غالبا ما تكون عبارات من الجهل: «نحن لا نعرف

التبعات طويلة المدى التي سببها التدخل المقترح في النظام البيئي ؛ «لذلك فنحن لا نستطيع أن نخرج بأي نتائج ملزمة» ونادرًا فقط ما يستطيع العلماء التنبؤ بأي تأكيدات لتأثير المواد الكيميائية الجديدة ، حتى على نظام بيئي واحد وصغير.

ما يسمى بتنبؤات يوم القيامة البيئية هي عبارات عن حالات كوارث، لا يمكن إيقافها إذا لم توضع سياسات جديدة معينة موضع التنفيذ في القريب العاجل ؛ فنحن نعرف القليل أو لا شيء عن المدة الذي ستظهر فيها هذه السياسات لحيز الوجود. وحقيقة أن السكان من البشر هم على الطريق إلى كارثة ، لا تقود إلى نتيجة أن الكارثة ستحدث. والموقف خطير لأننا لا نعرف إذا ما كان الطريق سوف يتغير بشكل فوري وجذري.

وقد أصيب السياسيون والآخرون الذين يستمعون الآن إلى كلمات علماء البيئة بالدهشة البالغة؛ لأن العلم نفسه يصرح بكثير من الجهل! إنه شعور غريب أن تكون لديك سياسات جديدة وقحة ، يتم التوصية بها على أساس من الجهل. ولكننا لا نعرف التبعات! هل يجب أن نستمر في المشروع أم لا؟ ويقع عبء الإثبات على هؤلاء الذين يتعدون على البيئة.

لماذا يقع عبء الإثبات على المتعدين؟ إن الأنظمة البيئية التي نتدخل فيها هي بشكل عام في حالة معينة من التوازن ، وهناك أسباب لافتراض أن تكون أكثر خدمة للجنس البشري من حالات الاضطراب والتغيرات الناتجة وغير المتنبأ بها وبعيدة التأثير. وبشكل عام، فإنه ليس من الممكن استعادة الحالة الأصلية بعد تدخل قد شكل تبعات خطيرة وغير مرغوبة. ويأخذ التدخل بشكل عادي مع مكسب قصير النظر في الاعتبار جزءًا ثانويًا من الجنس البشري في الصورة، يميل إلى أن يكون ضارًا لمعظم أو كل أشكال الحياة.

إن دراسة النظم البيئية تجعلنا واعين بجهلنا .. وبمُواجهة الخبراء الذين – بعد أن يلفتوا انتباهنا إلى موقف خطير – يؤكدون نقص معرفتهم ويقترحون برامج بحثية قد تقلل من نقص المعرفة، تكون الاستجابة الطبيعية للسياسيين أن يقترحوا وضع الأمر على المائدة، أو تأجيله حتى تصبح معلومات أخرى متاحة. على سبيل المثال ، ثمة مقترح يواجه الموت المحتمل للغابات ، يتم تأجيله من أجل جمع المزيد من المعلومات عما يجعل الأشجار تموت. ويبدو أن المسئولين الرسميين وغير الرسميين، الذين يهتمون بالخبرة البيئية قد اعتادوا إجراءات جديدة طبيعية: التوصية والتحريض على أخذ خطوات الحافظة الجريئة والراديكالية ، التي تبررها عبارات نقص معرفتنا.

(4) حركة البيئة العميقة

تم تقديم مصطلح «البيئة العميقة»في مقالة بعنوان «الضحل والعميق، الحركة البيئية طويلة المدى. ملخص»(نايس، 1973). ونقدم هنا بعض الفقرات المهمة:

إن خروج علماء البيئة عن غموضهم النسبي السابق يمثل نقطة تحول في مجتمعاتنا العلمية. ولكن رسالتهم قد حُرفت وأسيء استخدامها. حركة ضحلة، ولكنها حاليا قوية، وعميقة ولكنها أقل تأثيرًا، وحركة تتنافس لجذب اهتمامنا. وسأحاول أن أذكر خصائص الاثنين.

1- حركة البيئة الضحلة:

تحارب ضد التلوث واستنزاف الموارد. الهدف الرئيسي: الصحة والوفرة للناس في الدول المتقدمة.

2- حركة البيئة العميقة:

أ- رفض صورة الإنسان في البيئة لصالح الصورة النسبية الإجمالية الميدانية ؛ أي الكائنات الحية كأربطة في مجال العلاقات الجوهرية ، فالعلاقة الجوهرية بين شيئين «أ» و «ب» هي العلاقة التي تنتمي إلى التعريفات أو المكونات

الأساسية لـ «أ» و «ب» ، حتى أنه دون العلاقة، فإن «أ» و «ب» لن يصبحا الشيء نفسه ويذيب النموذج الإجمالي الميداني ليس فقط مفهوم الإنسان في البيئة، ولكن كل تأثير لمفهوم شيء في البيئة- فيما عدا عند التحدث عن مستوى سطحي أو تمهيدي للاتصال.

ب- المساواتية في المحيط الحيوي- من حيث المبدأ. إن عبارة «من حيث المبدأ» مدرجة لأن أي تطبيق عملي يستلزم بعض القتل، والاستغلال والقمع. ويكتسب العامل في المجال البيئي احترامًا عميقًا، وحتى توقيرًا ، لطرق وأشكال الحياة ، ويصل إلى فهم من الداخل .. نوع من الفهم الذي يدخره الآخرون للبشر، وقسم ضيق من طرق وأشكال الحياة. بالنسبة للعامل في المجال البيئي ، فإن الحق المتساوي في الحياة والازدهار هو قيمة حدسية بديهية واضحة ، وقصرها على البشر باعتباره حقيقة الكون المركزية يأتي بنتائج ضارة على نوعية الحياة الخاصة بالبشر أنفسهم ، وتعتمد هذه النوعية على المتعة العميقة والرضا، الذي نتلقاه من الشراكة القريبة مع أشكال أخرى من الحياة. إن محاولة تجاهل تبعيتنا وتأسيس دور «السيد - العبد» قد ساهمت في إبعاد الإنسان عن نفسه.

في أواخر السبعينيات، كان من الصعب صياغة آراء عامة شرعية ، يمكن الموافقة عليها بين الناس الذين أصفهم كمؤيدي حركة البيئة العميقة. أخيرًا قمت أنا وجورج سيشنز بصياغة ثماني نقاط، باستخدام 179 كلمة وبعض تعليقات (انظر القسم التالي). ولقد اتفقنا على تسميته مقترح «برنامج البيئة العميقة»، وأنه من المتوقع أن الآخرين الذين يجدون الفرق بين «سطحيا» (أو «إصلاح») مقابل البيئة «العميقة»المفيدة، والذين يتماثلون لحد ما مع الأخير، سيصلون إلى صياغة بديلة خاصة (انظر إي.جي. روثنبرج (1987). ستقوم الخواص الشخصية والجماعية بتلوين أي مجموعة من هذه الصياغات ؛ لذلك فهناك حاجة إلى عديد من الصياغات.

يميل مؤيدو البيئة العميقة في الصراعات المحددة البيئية، إلى أن يكونوا في الجانب نفسه ، ولكن ليس من المفترض لصياغات البرنامج أن تعدد آراء عامة في مواقف محددة، ولكن يجب أن تعبر عن الآراء الأساسية العامة التي يشتركون فيها. والآراء ليست أساسية بمعنى مطلق، ولكنها أساسية بين الآراء التي يشترك فيها المؤيدون.

(5) برنامج حركة البيئة العميقة :

(1) ازدهار الحياة البشرية وغير البشرية على الأرض له قيمة جوهرية ، وقيمة الحياة غير البشرية مستقلة عن الفائدة ، التي تملكها للأغراض البشرية الضيقة.

(2) ثراء وتنوع أشكال الحياة هي قيم في حد ذاتها ، وتساهم في ازدهار الحياة البشرية وغير البشرية على الأرض.

(3) البشر ليس لديهم الحق في أن يقللوا الثراء والتنوع إلا لإشباع احتياجات حيوية.

(4) التدخل البشري الحالي مع العالم غير البشري الزائد ، والموقف يزداد سوءًا بشكل سريع.

(5) ازدهار الحياة البشرية والثقافات متوافق مع نقص جوهري في السكان من البشر، وازدهار الحياة غير البشرية يستلزم هذا النقص.

(6) التغيير الجوهري في ظروف الحياة للأفضل يتطلب تغييرًا في السياسات ، وهي تؤثر في الهياكل الأساسية الاقتصادية، والتقنية، والأيديولوجية.

(7) التغير الأيديولوجي هو أساسا تقدير نوعية الحياة (العيش في ظروف ذات قيمة جوهرية) ، بدلًا من التمسك بمستوى معيشة مرتفع . وسيكون هناك وعى عميق بالفرق بين الكبير والضخم.

(8) الذين يشتركون في صياغة نقاط لديهم التزام مباشر أو غير مباشر ؛ للمشاركة في محاولة تنفيذ التغييرات الضرورية.

والصياغات الثماني هي بالطبع في حاجة إلى توضيح وتفصيل ، وفيما يلي بعض الملاحظات:

بشأن (1) بدلًا من «المجال الحيوي» يمكن أن نستخدم مصطلح «المجال البيئي» لتأكيد أننا بالطبع لا نقصر اهتماماتنا من أجل أشكال الحياة في معنى حيوي ضيق. ويستخدم مصطلح «الحياة»هنا بطريقة شاملة غير تقنية للإشارة أيضا إلى أشياء قد يصنفها علماء الأحياء على أنها غير حية: أنهار (مستجمعات أمطار)، ومناظر طبيعية، وثقافة، وأنظمة بيئية، «الأرض الحية»، وشعارات مثل «دع النهر يعيش» توضح أن هذا الاستخدام الأوسع شائع جدًّا في كثير من الثقافات.

بشأن (2) ما تسمى بالأجناس البسيطة، والأدنى، أو البدائية من النباتات والحيوانات ، تساهم جوهريًّا في ثراء الحياة وتنوعها ، ولديها قيمة في حد ذاتها، وليست مجرد خطوات تجاه ما تسمى بالأشكال الأعلى أو العقلانية للحياة. ويفترض المبدأ الثاني الرئيسي أن الحياة نفسها، كعملية عبر تطور الزمن، تعني ضمنيًّا زيادة في التنوع والثراء.

لماذا نتحدث عن التنوع والثراء؟ نفترض أن البشر قد تدخلوا مع نظام بيئي لدرجة أن 1000 من أجناس الفقاريات قد تم خفضها للحد الأدنى للبقاء. النقطة (2) غير منفذة. الثراء، هنا يستخدم لما يسميه البعض من الآخرين «وفرة»، قد تم خفضها بشكل مفرط. وأن المحافظة على الثراء له علاقة بالمحافظة على بيئات وعدد الأفراد (حجم السكان) ، ولا يوجد عدد معين متضمن. والنقطة الرئيسية هي أن الحياة على الأرض قد تم التدخل فيها بشكل مفرط ، حتى ولو تم تدعيم التنوع الكامل.

ما سبق قوله أعلاه عن الأنواع ينطبق أيضا على البيئات والنظم البيئية، التي تظهر تشابهًا كبيرًا ؛ لذلك يكون هناك مغزى لإحصائها.

بشأن (3) ربما تكون هذه الصياغة قوية جدًّا. ولكن، إذا أخذنا في الاعتبار ضخامة التصريحات البيئية غير المسئولة لحقوق الإنسان، قد يكون من الفضل الإعلان عن مبدأ ما ، ليس لهم حق في فعله.

إن مصطلح «الحاجة الحيوية» هو مصطلح به غموض ؛ لذا .. فإنه لكي يسمح بمدى كبير في الحكم ، يجب أن تؤخذ الفروق المناخية والعوامل المرتبطة بها في الاعتبار ، مع الفروق في هياكل المجتمعات ، كما توجد الآن، وإذا قام صائد حيتان في بلد صناعي بترك صيد الحيتان ، فإنه قد يتعرض لخطر البطالة تحت الظروف الاقتصادية الحالية. فصيد الحيتان بالنسبة له وسيلة مهمة ، ولكن في بلد غني ذي مستوى معيشة مرتفع ، فإن صيد الحيتان ليس حاجة حيوية.

بشأن (4) حالة التدخل. من أجل تقييم واقعي للوضع العالمي، انظر النسخة غير الموجزة من IUCN الإستراتيجية العالمية للمحافظة على البيئة (1980). هناك أعمال أخرى يمكن التوصية بها بشدة ، مثل : كتاب جيرالد بارني *«التقرير العالمي 2000 لرئيس الولايات المتحدة»* (1980).

ولا يمكن أن نتوقع من الناس في أغنى البلاد ماديًّا أن تخفِّض من تدخلها الزائد، مع العالم غير البشري، إلى مستوى معتدل بين عشية وضحاها. والتدخل الأقل لا يعنى ضمنيًّا أن البشر لا يجب أن يعدلوا بعض الأنظمة البيئية ، كما تفعل الأجناس الأخرى. ولقد قام البشر بالتعديل في الأرض وسيستمرون في القيام بذلك؛ فالقضية هي الطبيعة ومدى هذا التدخل.

يجب أن تستمر المحاربة من أجل البقاء والتوسع في المناطق البرية أو شبه البرية، ويجب أن تركز على الوظائف البيئية العامة لهذه المناطق (إحدى هذه الوظائف: مناطق البرية الضخمة مطلوب منها بموجب المجال الحيوي السماح بالتطور المستمر للنوع بالنسبة للحيوانات والنباتات). والمناطق المخصصة للبرية الحالية ومحميات الصيد ليست بالضخامة الكافية، التي تسمح بهذا التطور النوعي للطيور الكبيرة والثدييات.

بخصوص (5) الحد من السكان. إن تثبيت وخفض عدد السكان من البشر سوف يستغرق وقتًا، وتحتاج الاستراتيجيات المؤقتة إلى إعداد. ولكن هذا لا يبرر بأي شكل من الأشكال هذا الوضع الحالي بالرضا، والصرامة الشديدة لموقفنا الحالي يجب إدراكها أولًا بشكل متسع. ولكن كلما انتظرنا، كان الاحتياج إلى معايير أكثر قسوة. وحتى تتم التغيرات العميقة، فإنه من المحتمل أن يحدث نقص جوهري في الثراء والتنوع؛ إذ إن معدل انقراض أجناس سيكون أكثر من أي فترة في تاريخ الأرض.

وقد يكون هناك اعتراض شرعي أنه إذا كانت البلايين الحالية من البشر قد غيرت من سلوكها بشكل عميق في اتجاه المسئولية البيئية، فإن الحياة غير البشرية يمكن أن تزدهر. وتقترح الصياغة (5) أن احتمالية تغيير عميق في الاقتصاد والتكنولوجيا أصغر من أن نأخذها في الاعتبار.

بشأن (6) التغييرات السياسية مطلوبة. إن النمو الاقتصادي كما هو مدرك ومنفذ اليوم من قبل الدول الصناعية، فإنه غير متوافق مع النقاط، من (1) إلى (5).

الأيديولوجية الحالية تجعل للأشياء قيمة لأنها نادرة، ولأن لها قيمة كسلعة أو كقيمة في الأسواق. وهناك اعتبار أن الاستهلاك والفضلات

يعنى المركز المرموق ، وهذا إذا ذكرنا اثنين فقط من معظم العوامل المرتبطة. ويسجل النمو الاقتصادي أساسًا النمو في قيم السوق، وليس في القيم بشكل عام، متضمنة القيم البيئية. وبينما ستبقى شعارات مهمة ، مثل : «تقرير المصير»، و«المجتمع المحلي»و «فكر بشكل عالمي، وتصرف بشكل محلي»، إلا أن تنفيذ التغييرات العميقة ، على الرغم من ذلك يتطلب عملًا عالميًّا متزايدًا ؛ بمعنى العمل عبر كل حدود، ربما بعكس الاهتمامات قصيرة الأجل للمجتمعات المحلية.

لقد أصبح دعم العمل العالمي عن طريق المنظمات غير الحكومية مهمًّا بشكل متزايد. وأصبح كثير من هذه المنظمات قادرًا على العمل محليًّا من القاعدة إلى القاعدة، وبذلك تتجنب التدخل الحكومي السلبي.

ويتطلب التنوع الثقافي اليوم تكنولوجيا متقدمة ؛ أي الأساليب التي ترقي الأهداف الأساسية لكل ثقافة. وما تسمي بالتكنولوجيات الطفيفة والمتوسطة والمعتدلة هي خطوات في هذا الاتجاه.

بخصوص (7) ينتقد بعض الاقتصاديون مصطلح «نوعية الحياة» ؛ لأنه يفترض أن يكون غامضًا جدًّا . ولكن ، بالفحص الأدق، ما يعتبرونه غامضًا ، هو في الواقع الطبيعة غير القابلة للقياس لهذا المصطلح. فالشخص لا يستطيع القياس على نحو ملائم ما هو مهم لنوعية الحياة كما تم مناقشته هنا، وليست هناك حاجة لعمل ذلك.

بشأن (8) هناك مساحة متسعة من الآراء المختلفة بشأن الأولويات ، وما يجب عمله أولا، وما التالي؟ وما العاجل بشكل أكبر؟ وما المهم مقابل ما مرغوب فيه بشكل شديد؟ الآراء المختلفة في هذه الأمور لا يجب أن تستثني التعاون النشيط.

هل ما يتم اكتسابه من صياغة الآراء الأساسية بشكل تجريبي يتم المشاركة فيه اليوم من قِبَل أغلب أو كل مؤيدي حركة البيئة العميقة؟ نأمل أنها تسهل جعل الحركة محلية بين كثير من الحركات «البديلة»، ونأمل – كذلك – أنها لن تؤدي للعزلة ، ولكن إلى تعاون أفضل مع كثير من الحركات الأخرى البديلة. إنها أيضا قد تجعل البعض منا متأكدًا بشكل أفضل من موقفنا ، ومتأكدًا من : أي اختلافات يمكن تقليلها بشكل مفيد ، وأيها يمكن شحذها بشكل مفيد. ومع ذلك، كما سنرى، «التنوع» هو نموذج ذو مستوى مرتفع!

(6) كيفيه تقديم موضوعات البيئة العميقة :

كما يمكن استنتاجه من صياغة البرنامج، فإن حركة البيئة العميقة تلمس كل مشكلة رئيسية معاصرة، وشخصية، واقتصادية، وسياسية، وفلسفية. ويجب القيام بالاختيار ، ولقد حاولت التركيز على قضايا محورية ، تبدو أنها لم توضَّح أو تفصَّل ، بشكل كاف ، في النصوص التي سبق نشرها.

تتعلق الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب بمكونين لا مفر منهما: التقييم والعاطفة في التفكير وفى خبرة الحياة الواقعية، وكيف أدى هذان المكونان إلى قدرة شخصية إنسانية ناضجة ومتكاملة ، تتصرف على أساس الرأي الكلي. وتعتمد إستراتيجية ووسائل الحركة البيئية العميقة على رسم تبعات هذه الضرورة.

يبدأ الفصل الثاني بمناقشة للمصطلحات لا سبيل إلى اجتنابها: ما العلاقة بين علم البيئة، وفلسفة البيئة والفلسفة البيئية؟ والقضية المحورية هي أنه في تسامي علم البيئة كعلم، يبحث عن الحكمة خلال الدراسة المعروفة بفلسفة البيئة ، ويناضل من أجل فلسفة بيئية – هذه نظرة كلية

مستوحاة جزئيًا من علم البيئة وأنشطة حركة البيئة العميقة. والحركة الاجتماعية ليست علمية؛ ويجب أن تنتشر مع إعلان القيمة وأولويات القيمة- نماذج، وقواعد، وأوامر – موضحة في المصطلحات الخاصة بي بنقاط تعجب.

إن هذا يؤدي إلى موضوع بالأحرى فلسفي: أليس عالم الخبرة المحمل بالقيمة، التلقائي والعاطفي مصدرًا أصليًا لمعرفة الحقيقة مثل الفيزياء الرياضية؟ إذا أجبنا «نعم»، فما تبعات وصفنا للطبيعة؟ وقد تستفيد حركة البيئة العميقة من التأكيد الأكبر على الخبرة التلقائية، أي على ما يسمى بالرأي «الظواهري» في اللغة الدارجة للفلسفة.

ويتعمق الفصل الثالث الدفع نحو القيمة، والتفكير المرتبط بالقرار. ومثل كل التفكير العلمي، فإن سلاسل المناظرة في تفكير أولوية القيمة تعتمد على مقدمات ، وليست نتائج يتم التوصل إليها من مقدمات أخرى ، وذلك لا يعني أن الجوهر، غالبا ما يكون بشكل ظاهر بديهي أخلاقي ، والبيانات المعيارية الأخرى هي «ذاتية» . وتصر الفلسفة البيئية العميقة على أن كل جدل غير نهائي يجب اختباره بالنسبة لأساسه الجوهري : وهي تلك الأولويات من القيمة التي ترشد قرارات الأشخاص الناضجين أو الجماعات المسئولة. إن قصور الحركة الضحلة ليس نتيجة لفلسفة ضعيفة أو غير أخلاقية، ولكن نتيجة لنقص اهتمام واضح في الأهداف النهائية والغايات والمعايير ؛ لذلك فإن جزءًا ضخمًا من عمل المؤيدين بوضوح فلسفي للحركة العميقة ، هو التساؤل عن القرارات النفعية ؛ أي كيف ترتبط هذه القرارات بالمطلق؟

وهناك أداة مهمة لهذا النشاط ، وهي النظام المعياري ، و هذا المفهوم موضح في الفصل الثالث الذي يقدم موجزًا للأنظمة المتنوعة المحتملة من

القيم النهائيـة ، و« تحقيـق الـذات» كمعيـار نهـائي يـتم تقديمـه بطريقـة تمهيدية.

الفصول الثلاثة التالية أقل اتجاهًا نحو الفلسفة، وتتبع تبعات القـضايا الفلسفية داخل العوالم الضخمة للتكنولوجيا (الفصل الرابع)، والاقتصاد (الفصل الخامس)، والسياسة (الفصل السادس).

إن التقدم التقني لا يكون أبدا تقنيًّا بشكل صرف: فقيمة التغيير التقني تعتمد على قيمته للثقافة بشكل عام. ولتقييم التغيير في التكنولوجيا داخل سياق أصغر من الأهـداف النهائيـة ، يـضعف الوجـود الفعـلي للثقافـة. والتكنولوجيا «المتقدمة» هي ما يدفع إلى تقدم الغايات النهائية في الحيـاة. العقلانية تكون منطقية: والمنطقي يكون منطقيًّا فقط من أجل أن يصل إلى الغايات البشرية النهائية، سـواء في ضـوء الـسعادة أو الكـمال. إن وضـع التكنولوجيا في مجتمعنا يجب أن يأخذ بجدية أكثـر، ولـيس أقـل ؛ بـسبب أهميته للغايات النهائية.

ويهتم الاقتصاد التقليدي بالجزء الجوهري مـن الاحتياجـات الإنـسانية. ولقد كان المنظور فلسفيًّا وعمليًّا معًا. أما الاقتصاد الحديث ، فإنـه يميـل إلى تضييق المنظور واسـتبدال الطلـب عـلى الـسوق بالاحتياجـات الإنـسانية ، وتستلزم الفلسفة البيئية إعادة تأسيس المنظور التقليـدي، مـضيفة تبـصرات (رؤى) من ثقافة علم الإنسان. والوظيفة الرئيسية للأمم الـصناعية الرائـدة هي مساعدة الأمم النامية على تجنب شراك «الأمم المتقدمة»، وذلك يتضمن – ضمن أشياء أخرى – تحولًا من قياس نجـاح سياسـة اقتـصادية في ضـوء مستوى المعيشة المتوسط إلى ضوء نوعيـة الحيـاة ؛ خـصوصا تلـك الخاصـة بالجماعات التي دون مستوى الامتياز ، ويميل تفكير الفلسفة البيئية إلى دعـم نموذج اقتصادي ، يتسم ببساطة الوسائل وثراء الغايات.

يهتم الفصل السادس بالبعد السياسي لحركة البيئية العميقة ، وقد خاض المؤيدون الناشطون للحركة وإسلافهم، مثل چون ميور، معارك سياسية محبطة. الحركة طويلة الأجل، والسياسيات قصيرة الأجل ، والطبيعة ليست مجموعة ضغط، والسياسيون يستسلمون فقط للضغوط . ولا تستطيع الأحزاب «الخضراء» والجماعات حتى الآن أن تشير إلى انتصارات قائمة ، ولكن التقسيم إلى ثلاثة أجزاء: أزرق، وأحمر، وأخضر هو مظهر للحياة السياسية لدول كثيرة. التكنولوجيا الخضراء، والاقتصاد الأخضر، وسياسة السكان الخضراء، وحياة المجتمع الخضراء ، وحركات السلام الخضراء هي كلها أعمدة دعم لثراء وتنوع الحياة.

يقلل بعض المؤيدين من القيمة المتأصلة لفاعلية أسلوب الحياة الخضراء، بينما يعلن آخرون أننا لا نستطيع إلا أن نبدأ بأنفسنا، ويبدو تغيير حياتنا – على أي حال – أننا يجب أن نعترف بأن الحدود طويلة ، وأن المؤيدين قد يجدون مكانهم في مكان ما على المقدمة – ضمن النشطين السياسيين، والمصلحين الاجتماعيين ، أو ضمن الذين «يكرهون» السياسة والظهور أمام الجمهور.

يعود الفصل الأخير إلى الأساسيات ، وقد أضفيت عليه فلسفتي البيئية الخاصة ، والفلسفة البيئية T بشكل أكثر دقة. وهنا قد تم جمع قرائن تاريخية لدعم فكرة أن الطبيعة لها قيمة في حد ذاتها، ووضعت اقتراحات لكيفية تشكيل فكرة العالم في انسجام، مع احترام حقيقي للطبيعة. أخيرًا، قد تم ربط أكثر النماذج الأساسية ، ونظريات الفلسفة البيئية T في مخطط منظوم، يتبعه تعليق قصير على احتمالات مستقبل حركة البيئة العميقة.

الفصل الثاني

من علم البيئة إلى الفلسفة البيئية

يقدم الجزء الأول من هذا الفصل طريقة لصياغة السمات الجوهرية لرأى كلي ، يمكن أن يساعد «كل الذين يرغبون في أن يعبروا بالألفاظ عن اتجاهاتهم الأساسية ومقارنتها مع آخرين» - خصوصًا الذين يبدو أنهم يعارضون بشدة السياسات البيئية .. هذا القسم هو منهجي، وليس مقصورًا على رأيي الخاص، الفلسفة البيئية T.

ويهاجم الجزء الثاني مشكلات علم الوجود «الذي هو موجود » بدلًا من التحدث عن حقيقة العالم، ويتحرك فكر الفلسفة البيئية من خلال مصطلحات الطبيعة والعلاقة بين الإنسانية والطبيعة. وهناك محاولة للدفاع عن خبرتنا، التي تبدو متناقضة، والتلقائية، والغنية بالطبيعة كأكثر من انطباعات ذاتية ، وهي تصنع المضامين الراسخة لعالمنا . ووجهة النظر هذه، مثل وجهات النظر الأخرى لعلم الوجود، معضلة بشكل عميق- ولكنها ذات قيمة احتمالية كبيرة للبيئة الفعالة في معارضتها لشبه الاحتكار المعاصر لما يسمى الرأي العلمي العالمي.

(1) مصطلحات علم البيئة، فلسفة البيئة، الفلسفة البيئية :

إن كل من يقابل هذه المصطلحات الثلاث ، يجب أن يسأل عن تعريفات دقيقة لها - ولكن في فوضى المصطلحات النى نعيشها اليوم، فإن كلًّا من التعريفات الفرضية والوصفية هي إلى حد ما تحكمية. وفي هذا

العمل، فإن هذه الكلمات الثلاثة سيكون لها ثلاث معا مختلفة جدًّا مكيفة لكي نفى بأغراضنا ، وهناك معانٍ أخرى، على أي حال، قد تفي بأغراض مختلفة ، وقد لا تتفق إلى حد ما مع هذه المعاني الدقيقة.

(أ) علم البيئة :

إن علم الأحياء هو علم رئيسي في عالم اليوم ، وهناك ثلاثة مجالات من مجالات البحث البيولوجي ، تنتهك مستقبل الإنسان بوصفه نوعًا بيولوجيًّا بطريقة مثيرة تهمنا جميعًا : الرفاهية البيولوجية، والهندسة الوراثية وعلم البيئة. كل هذه المجالات تصرخ من أجل تفكير تقييمي: ماذا نريد وكيف يمكن تحقيقه؟ هل «نحن» هنا جماعة ذات قيمة أساسية وحدوية، أو هل هي مجموعة قُدر عليها الكفاح ، الذي لا يرقى إليه الشك ، والذي أحدثته اهتمامات نهائية في معارضة مستمرة؟

وينصهر تعبير «علم البيئة»مع كثير من المعاني ، وهنا سيعني الدراسة الانضباطية العلمية للظروف الحية للكائنات الحية في التفاعل مع بعضها البعض ومع البيئات العضوية المحيطة ، بالإضافة إلى غير العضوية. وبالنسبة لهذه البيئات ، فإن مصطلحي «المحيط» و«البيئة» سوف يستخدمان تقريبًا بشكل متبادل.

والصياغة السابقة ليست إخبارية بشكل خاص ، فالكثير يعتمد على اتجاه الفرد نحو دراسة أجناس حيوانية معينة- الإنسان بوصفه نوعًا بيولوجيًّا. هل كل دراسات علاقات الجنس البشري مع كل الأنواع المحتملة من البيئات تنتمي إلى علم البيئة؟ بالكاد يكون الأمر كذلك.

وفيما يلي، فإن مظهر علم البيئة الأكثر أهمية هو حقيقة أنه يهتم أولا بالعلاقات بين الكينونة كمكون جوهري لماهية هذه الكينونة في حد ذاتها، وهذه تضمن كلًا من العلاقات الداخلية والخارجية. مثال: عندما يأكل

طائر بعوضة، فإنه تكون هناك علاقة خارجية مع هذه البعوضة، ولكن الأكل هو علاقة داخلية ببيئتها. (البعوضة مبدئيا خارج الطائر ، ولكن كليهما داخل البيئة) . هذا المنهج يمكن أن يكون له تطبيق في كثير من مجالات البحث ، ومن ثم التأثير المتزايد لموضوع علم البيئة خارج ميدانه البيولوجي الأصلي.

(ب) فلسفة البيئة والفلسفة البيئية :

تشير دراسة علم البيئة إلى منهج، ومنهجية يمكن أن تقترحها الحكمة البسيطة «كل الأشياء تتعلق معا»، وهذا له تطبيق ويتداخل مع مشكلات في الفلسفة: وضع الإنسانية في الطبيعة، والبحث عن أنواع جديدة من التفسير لهذا يتم عن طريق استخدام أنظمة ومناظير ذات علاقات.

ستسمي دراسة هذه المشكلات الشائعة بالنسبة لعلم البيئة والفلسفة فلسفة البيئة ، وهي دراسة وصفية، مناسبة، قل، لبيئة جامعية ؛ فهي لا تقوم بالاختيار بين أولويات القيمة الجوهرية، ولكنها تسعى فقط لاختبار نوع معين من المشكلة ، عند نقطة الاتصال الفسيح بين النظامين المعروفين جيدا.

لكن أولويات القيمة هذه تكون جوهرية في أي مناظرة برجماتية ، وقد تعني كلمة «فلسفة» ذاتها شيئين: (1) مجالًا للدراسة ، ومنهجًا للمعرفة؛ (2) القانون الشخصي الخاص بالفرد للقيم ونظرته للعالم التي توجه قرارات الفرد الخاصة (بقدر ما يشعر به الفرد من كل قلبه ، ويعتقد أنها القرارات الصحيحة) وعندما تطبق على موضوعات تتضمن أنفسنا والطبيعة، فإننا نسمي هذا المعنى الأخير لكلمة فلسفة «فلسفة بيئية» (انظر جدول 1-2)

جدول (1-2) : التقسيم الخاص بالدراسة ووجهة النظر بين منظوري فلسفة البية والفلسفة البيئية

		التركيز على العلاقات بالطبيعة
	الكل متضمن	
مجال الدراسة	فلسفة	فلسفة البيئة
الموضع ، ووجهة النظر	نوع من الفلسفة	الفلسفة البيئية

نحن ندرس فلسفة البيئة، ولكن لكي نتجه نحو مواقف عملية تتضمن أنفسنا، يجب أن نهدف إلى تكوين فلسفتنا البيئية الخاصة .. في هذا الكتاب أقدم فلسفة بيئية واحدة ، تسمى الفلسفة البيئية T، ولا يتوقع منك أن تتفق مع قيمها وطرق الاشتقاق . ولكي تتعلم وسائل تنمية أنظمتك الخاصة ، قل فلسفات بيئية x و y و z . وعبارة «الخاصة بك» لا تعنى أن الفلسفة البيئية هي بأي شكل ابتكار أصلى لك ؛ يكفي أنها نوع من النظرة الكلية التي تشعر معه بالراحة ، وبعبارة «أين تنتمي فلسفيا»، دائما في تغير يواكب حياة الفرد الخاصة.

«الفلسفة البيئية»«Ecosophy» مركبة من أداة بادئة «eco»، التي نجدها في economy الاقتصاد وecology البيئة ، وأداة لاحقة «sophy» كما في philosophy الفلسفة. وفي كلمة «فلسفة» ، فإن هذه الأداة تشير إلى البصيرة والحكمة، و«philo» تشير إلى الحب كما فى حب الأصدقاء. ولا يحتاج المقطع «sophia»لذريعة علمية محددة، على عكس الكلمات المركبة من «logos»مثل(biology وanthropology و geology إلى آخره)، لكن كل «sophical» أي بصيرة يجب أن تكون - بشكل مباشر - وثيقة الصلة بالعمل ، وتتمثل Sophia والحصافة والحكمة ،أو نقصها ، في أعمال الأفراد والمنظمات. تفصح Sophia عن معرفة وفهم وليس

موضوعية أو نتائج مجردة ، ونظريه پيتر ويسيل زاپفي[1] «biosophy» تفعل الشيء نفسه: تقييم الحياة خصوصا «الحالة للإنسانية» المعضلة. والمنهج الأكثر تأسيسًا للحوار المؤيد للمعارضة ، مع الأخلاق العلمية من احترام قواعد النزاهة (بالنرويجية «saklighet»، أي ملائمة للموقف المتاح)، يساعدنا في اكتشاف وجودنا.

ولغويًا، فإن كلمة «ecosophy» (الفلسفة البيئية) تجمع «oikos» و«sophia» بمعنى «منزل» و«حكمة». كما أنه في كلمة «ecology» (علم البيئة)، «eco» لها معنى متسع ، يمكن إدراكه من المعنى المباشر : أسرة، ومنزل، وجماعة.

«منزل الأرض» هي الأقرب للهدف ؛ لذلك فإن ecosophy تصبح رأيًا عالميًّا فلسفيًّا أو نظامًا مستوحًى من ظروف الحياة في مجال البيئة ، ويجب أن يكون قادرًا على أن يخدم كأساس فلسفي فردي لقبول مبادئ أو برنامج البيئة العميقة ، كما أوضحته في بداية الفصل الأول.

والتغيير الواعي في الموقف نحو ظروف الحياة يستلزم أن نربط أنفسنا بوضع فلسفي في كل المشكلات الجوهرية لصنع القرار ؛ لذلك، فإن الفكر السياقي والمنظم يتم التأكيد عليه من خلال هذا العمل.

---

(1) پيتر ويسيل زاپفي هو الفيلسوف الأول للنرويج قدم ربطًا بين الفلسفة ومكانة الإنسان البيولوجية في أوائل هذا القرن. ومنطقه الرئيسي أن الإنسان هو الكائن التراجيدي النهائي؛ لأنه تعلم ما يكفي عن الأرض ليدرك أن الارض كانت وستكون أفضل دون وجود الجنس البشري. وعمله الرئيسي هو om det tragiske قد تم ترجمته للإنجليزية (On the Tragic) .والترجمات الوحيدة المنشورة لـ «زاپفي» هي لريد وروثنبيرج .(1987)

ولكن أن تكون لك نظرة عالمية شيء، وأن تحاول أن تعبر عنه تعبيرا نظاميًّا، فإن هذا شيء آخر ؛ فالنظام الفلسفي لديه كثير من المكونات .. فالمنطق، والمنهجية العامة، ونظرية المعرفة، وعلم الوجود والأخلاق الوصفية والمعيارية، وفلسفة العلم، والفلسفة السياسية والاجتماعية، وعلم الجمال العام هي ضمن أكثر المكونات المعروفة. وعن ذلك التنوع تقول الفلسفة البيئية T : كلها متصلة اتصالًا حميما! وسوف تجد رأيًا عن كل منها معلنًا في هذا العمل. والمنطق الأساسي لا يمكن تنميته بشكل راسخ ، دون افتراض اتخاذ مواقف في المنهجية، والفلسفة المعيارية، إلخ. والفلسفة السياسية متضمنة في أي تنمية اجتماعية للفلسفة البيئية. وعلى العكس، فإن المرء لا يستطيع أن ينمي فلسفة سياسية ، دون افتراض منطق أساسي وافتراض نقاط استشراف بشأن علم البلاغة والاتصال، وهكذا في فلسفة اللغة. وافتراض موضع في نظام علمي يفترض نقاط استشراف في كل الآخرين ، ويكشف التحليل العميق الكافي للافتراضات أن نقطة الاستشراف في أي علم كان تفترض مقدما افتراض موقف في كل النظم الفلسفية ، وأن تكون لدينا وجهة نظر عالمية أو فلسفة ليس أمرًا طنانًا. وقد نركز على جهلنا العميق ، فإذا كان شيئًا طنانًا، فإنه ادعاء العمل كشخص كامل. وإذا ادعينا ذلك، فإنني أعتقد أنه لا مفر من الاعتراف بأن لدينا افتراضات مقدمة، معلنة أو غير معلنة.

والفكرة الجوهرية هي، أننا كبشر، مسئولون في أفعالنا عن الدوافع والمقدمات ، المرتبطة بأي سؤال يمكن أن يوجه لنا. ولا حاجة للقول، بأن الرأي الكلي لا يمكن لأي فرد أو جماعة أن تعبر عنه لفظيًّا بالكامل . إن الكنيسة في القرون الوسطي وكذلك المادية الجدلية كانت تهدف إلى نوع من الكمال، ولكنها نادرا ما كانت تحقق نجاحًا مستديمًا. ومع ذلك ،

فإن كل ما نفعله يغنى بطريقة ما وجود هذه الأنظمة، مهما كانت هذه الأنظمة تهرب من الوصف الملموس (انظر نايس (1964).

ويشجع هذا الكتاب القارئ على أن يحاول أن يبين الأجزاء الضرورية أو آراءه الخاصة، على أمل أنها ستؤدي إلى توضيح العملية الصعبة؛ لمواجهة واستجابة تحديات الحياة في مجالنا البيئي.

(جـ) أخطار «علم البيئة»: رؤية علم البيئة كعلم نهائي :

كل وجهات النظر الفلسفية الشاملة مستوحاة من العلوم؛ ففي الفلسفة الهندية، كانت قواعد اللغة مهمة بالنسبة لپانيني، بينما في الفلسفة الإغريقية، فإن الهندسة (لأفلاطون) والأحياء (لأرسطو) كانت موحية بشكل خاص. والفلسفة البيئية T هي بطريقة مماثلة مستوحاة من علم البيئة، ولكنها لا يمكن أن تكون مشتقة من علم البيئة أو أي علم آخر.

بعض وجهات النظر الفلسفية الشاملة، مثل الدروانية الاجتماعية لهربرت سپنسر، تشكلت كتعميم أو عولمة لعلم واحد أو نظرية داخل علم. وتعتبر اتجاهات إطار العمل المفاهيمي والمشكلة العامة داخل علم معين عالمية ونافعة داخل جميع مجالات البحث. وفي العالم الغربي، فإن مثل هذه البرامج النظامية قد أدخلت عندما جادل فيثاغورس «أن كل شيء هو رقم»، وهو بذلك كان يحاول أن يجعل الرياضيات عالمية. وجعل ديكارت الميكانيكا عالمية، ولكنه ادخر عودة صغيرة جدا لله والإرادة الحرة.

وقد تم الترحيب ببحث علم النفس بحماس كقاعدة عامة للتفكير، عندما أسس فيشنر الفيزياء النفسية. ولكن أحداثًا عديدة مثل محاولة إخضاع المنطق لدراسة علم نفس لقوانين الفكر أدت إلى حركة مضادة محمومة (فريجي)، ومازال الكره المستمر دائمًا لعلم النفس سائدًا في

الفلسفة التحليلية ، وهو نتيجة جزئية لهذه المحاولات. وجعل علم النفس مطلقًا-أي نظام كلى أو إطار عمل مشترك لكل العلوم - تم تسميته بـ Psychologism أي نظرية تستخدم المفاهيم. ولكن ، في أي مناقشة، فإن إطلاق إضافة «ism»غالبا ما تعني أنها تعميم زائد عن الحد للمفاهيم ، مثل : «sociologism» و«historicism» إلخ..

يميل كثير من الذين يؤكدون الاتساع الضخم لعلم البيئة ، لتحديده بالتتابع إلى حدٍّ ما ؛ فهم يدركونه كعلم طبيعي أو كعلم يستخدم بشكل أولي أمثلة ذات خاصية العلم الطبيعي. وطالما أن الفرد يستبقي مفاهيم حالية للطبيعة بدلا من Natura لإسبينوزا أو مفاهيم متسعة وعميقة أخرى للطبيعة، فإن وضع علم الطبيعة في إطار عمل علوم طبيعية يدعم الحركة البيئية الضحلة.

قد يشتمل علم البيئة على الكثير، ولكنه لا يجب أن يعتبر أبدًا علمًا عالميًّا ، عند التركيز على العلاقات بين الأشياء، وبالطبع فإن كثيرًا من مظاهر انفصالها المحدود تم تجاهلها ، والبيئية هي زيادة في عالمية وتعميم المفاهيم والنظريات البيئية. ومحاولة استبدال الكامل لنظرية المعرفة بنظريات بيئية محددة عن السلوك والبقاء تؤدي إلى صعوبات كبيرة جدًّا («متاهة علم المعرفة»، أو بشكل أدق .. فإن الفرد يقابل كثيرًا من عدم الاتساق والتناقضات (نايس، 1939).

ولا يكون للبيئية وجود إذا عمل أحد بنماذج تفكير محددة بيئيًّا ، تشتمل على ظواهر علم المعرفة ، ولكنها مقيدة وفقا لنظرية نموذجية، مثل غرض بحث بعض السمات المختارة بشكل اعتباطي («المتغيرات»). والنظرية في علاقتها بنموذج لا تتناقض بالضرورة مع نفى النظرية ، إذا تم تحديد الأخيرة في علاقتها بنموذج كلي مختلف. لذلك، فإنه يمكن أن

يتنافس نموذج معرفي مع الأكثر شمولية (مثل النظريات الفلسفية للمعرفة) ، والنماذج لديها ذرائع موجهة أكثر من العلاقة بعلم الوجود.

وغالبا ما تقدم الحركة البيئية الضحلة توصيات تقنية للإصلاح، على سبيل المثال، منع التلوث التقني والاستهلاك المخفض في بلاد العالم الثالث. والحركة العميقة عالمية، والبيئية دائما تهديد (انظر جالتونج (1973) والفصل السادس)- ربما ليس للأبحاث فلسفة واعية، ولكن لتعميمات لا مبالية في حرارة الجدال .

(2) التقييم المعياري :

(أ) *العلم الموضوعي لا يمكن أن يقدم مبادئ للعمل* :

إذا كان مصطلح «الموضوعية» يقصد به معنى اليقين، الذاتية، والثبات، فإن النصوص العلمية تكتسب موضوعية ، عندما يصاغ التقييم المستخدم كمقدمات على نحو واضح.

ترتبط القيم معًا: فنجد أن هناك شيئًا واحدًا يكون جيدا لشيء آخر، الذي بدوره يكون جيدًا لشيءٍ ثالث. البحث المفصل للتقييمات في بحث بيئي أو علمي لن يكشف النقاب أبدًا عن القيم في نهاية العملية. وفي نهاية العملية العلمية تقع افتراضات نهائية ذات نوع فلسفي. و بالنسبة لكل القيم الأخرى، فإنه من المناسب أن نسال: هل صحيح أنه شيء جيد لما يقال أنه جيد؟ بم يتكون هذا الجيد في الحدث تحت البحث؟ على سبيل المثال، فإن الإنتاجية الأكبر في رأى كثير من الناس مهمة ؛ لأنها تزيد من المستوى العام للوفرة المادية. وهذا بدوره قيمة بلاغية شعبية ، تعتبر مفيدة بشكل كبير للرفاهية. وعند نقد للقيمتين الأوليين ، يجب طرح سؤال مثل «هل الإنتاجية الأكبر توسع أو تضيق الفجوة بين الغني والفقير داخل البلد الواحد، أو الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة؟» هل المستوى

المرتفع للوفرة المادية موصل للسعادة؟ «ما تأثيرات الزيادة السنوية في الوفرة على مستويات الطموح؟» «هل يتم تشجيع الناس على الاعتقاد بأن هناك دائمًا تقلصًا في الوفرة التي تأتي من السماء؟» هذه الأسئلة يمكن الاقتراب منها بشكل تجريبي ، ويمكن اقتراح إجابات محتملة على أساس البحث العلمي. وعلى العكس، ماذا تستطيع حياة جيدة يقال إنها كذلك ؛ أي صالحة لشيء ما؟ كل من السؤالين والإجابات التي تثيرها هي بالتأكيد فلسفية.

ولا تنتقص قابلية الاختبار للمجموعة كاملة من هذه الإفادات موضع البحث هنا بالضرورة عند صياغة التقييمات، ولكنها أكثر تعقيدًا ؛ فبدلًا من عبارة p ، التي تشتمل على تقييم حقيقي وتوكيد وصفي، نحصل على عبارتين q و r ، إحداهما هو التقييم المذكور صراحة ، والأخرى العبارة الوصفية ، إلى حد أن q هي جزء من الرسالة المقصودة بـ p، وأنه من المعضل التخلص من q . القيام بذلك فقط يحج مظهرًا حاسما من الظروف الفعلية للشرعية أو الحقيقة. وعندما يشتمل الموضوع تحت البحث على كل من التقييمين والحقائق ، فإن الاستعلام غير المتحيز يتطلب تقييمات واضحة.

عدد كبير من الموضوعات المعنونة «بيئية» هي أيضا «فلسفة بيئية»، وهذا بصعوبة غير سار ؛ إذ دون فلسفة بيئية، فإن علم البيئة لا يستطيع تقديم مبادئ للعمل، أو دافع لجهود سياسية وفردية.

في الأيام الأولى لنمو الوعي البيئي، كان علماء البيئة يقولون أشياء مثل «المعرفة بشأن ما لا يجب أن يفعل... هي مشتقة من العلوم وعلم البيئة على وجه الخصوص.» (ك. كالدويل كما اقتبس في دارلينج (1956). مثل هذه العبارات تشجع الاعتقاد المتعذر الدفاع عنه أن، لو كانت المنح

الخاصة بالدراسات البيئية والعلمية الأخرى كبيرة بشكل كاف، لأشتق العلماء نتائج عما نستطيع عمله.ولكننا لا نستطيع أن نعمل دون قواعد! إذًا، بسبب مجرى مائي، قررنا أن مصنعًا ما يجب أن يغلق أو ينتقل لمكان آخر.. نوافق، بالإضافة إلى الافتراضات العلمية بشأن تأثيرات تلوث المجرى المائي، ثمة صف طويل من التقييمات ليست جزءًا من أي علم: «المجارى المائية لا يجب تسميمها!»، «موظفو المصنع لا يجب أن يسرحوا دون عمل». كل من الافتراضات العلمية والتقييمات يجب صياغتها بدقة، والعلاقة الخاصة المشتقة يجب شرحها. عندما يقول عالم البيئة إن هذا أو ذاك يجب أن يعمل، مثال : «نحن يجب أن نقلل مستوى السكان البشر على الأرض!» فإن عالم البيئة يلمح أن ذلك يمكن فعله ، ولكن لأي مستوى؟ ومن «نحن»؟ وهذا يتضمن أنه أو أنها تفترض مقدمًا نظريات ومعايير عن الظروف السياسية والمجموعات المحلية، والسياسية، والقوى العالمية. وهل يمكن لفظ كل ذلك في كلمات؟ لا، ولكنها تأمل بشكل كاف أن توضح الجدال .

(ب) *المعايير والنظريات والأنظمة المعيارية :*

سيتم تقديم طريقة خاصة لتوضيح الفلسفات. يمكن على الأقل رؤيتها كتدريب على التنظيم والترتيب المنهجي. أجزاء اللعبة هما صنفان من الجمل : الوصفي والفرضي. وبشكل مبسط للغاية ، يمكن ترتيبها في رسم بياني يظهر الخطوط للاشتقاق المنطقي بين العبارات.

ومن النوعين من العبارات، الأولى : تسمى بالمعايير أو القوانين - فرض أو إقناع بالتفكير أو العمل بطرق محددة ، وتستخدم معها علامات التعجب، مثال «لا استغلال!» أو «لا تُلوث!» ويتطلب تبرير، وتفسير وربط هذه المعتقدات والآراء بعضها ببعض لشبكة لدعم العبارات غير

المعيارية. وتكتب هذه دون علامة تعجب، وتسمى نظريات ، واسم النوع الثاني من العبارات ، فلم يتم اختباره أساسا ليعنى عدم التأكد، ولكن بالأحرى ليعنى تجريبية معينة أو قدرة على التعديل.

سيتم خلال هذا الكتاب تقديم قوائم بالمعايير بالحروف N2 ، N1، N3، والنظريات بالحروف H3 ، H2 ،H1 ...وتقديم رسم بياني لتوضيح الاشتقاق المنطقي داخل النظام المعياري.

وهناك الاعتراض على أن المصطلح «معيار » وعلامة التعجب تجعل العبارات المعيارية تبدو مطلقة وصارمة ؛ فالواقع ، أن وظيفة المعايير العامة هي خطوط هادية تجريبية ، فالقرارات الحكيمة - وهى هدف التفكير المعياري - مطلقة بمعنى كونها إما تنفذ أو تعطل. أما في الفلسفة البيئية ، وبخلاف الفلسفة الأكاديمية، فالقرارات والأفعال تعد أكثر أهمية من العموميات.

قد يكون الرأي الكلي منظمًا (منهجيًّا) بعدة طرق ، وليست هناك طريقة حاسمة لتتبع خطوط الاشتقاق؛ لأنها إلى درجة ما اعتباطية ؛ أي معايير تم اختيارها كأساسية، ونهائية أو أكثر جوهرية ، بمعنى عدم كونها مشتقة بشكل منطقي من معايير أخرى. وحتى لو كانت التعبيرات الشفهية للمعايير والنظريات مرتبة بطريقة محددة وشرعية، فإنه ما زال هناك مكان للاختلاف في التفسيرات.

هناك اعتبارات مهمة تفضل بعض الإبهام والغموض في تحديد النظم المعمارية ، وبدلًا من رفض أحد المعايير أو النظريات لصالح معايير ونظريات مختلفة تماما، فغالبًا ما يكون من الأفضل تقديم تفسيرات بديلة للصياغة المبدئية أو «نقطة الانطلاق».ويمكن للجملة المبدئية المبهمة والغامضة التي تعبر عن النظرية أو المعيار أن تعطى معانٍ تجريبية أدق،

تنتج عنها صياغات جديدة تسمى دقة. ومفهوم الدقة هو أحد المفاهيم المركزية للنظرية التجريبية لنظام الاتصالات (نايس، 1966). فالجملة S_1 أكثر دقة من غيرها، S_0، إذا وفقط إذا كانت الأخيرة، S_0، تسمح (في حديث عادي أو تقني) بكل التفسيرات السابقة، بينما لا تسمح S_1، بكل تفسيرات ، S_0. وباختصار .. فإن مجموعة التفسيرات «المعقولة» للجملة الأكثر دقة هي مجموعة فرعية حقيقية لتلك الأقل دقة.

واختيار جملة غير محددة وغامضة إلى حد ما في أكثر المجادلات الأولية، تجعلها أقصر وأسهل في الفهم ، وتفتح مجموعة متنوعة من الإمكانات المختلفة للاشتقاق والتفسير ؛ فبدلا من التحكمية المصرة على أن جملتك يتم تفسيرها بطريقة معينة مفردة، والخيارات هي، كما في العلوم الطبيعية، تبقى مفتوحة طالما أن ذلك مناسب بشكل موجه.

والجملة عالية الدقة تلك التي تكون لازمة ، في تنظيم مجرد وعام ، عرضة ، لأن تكون طويلة ومعقدة. لذلك، فهي لا يمكن أن تؤدي الوظيفة الخاصة بتلك الأقل دقة. التفاصيل الأكثر والوضوح لا يجعلان المبهم والغامض كشيء عفا عليه الزمن ، ويجب أن نعمل بشكل مستمر عند المستويات المختلفة للدقة.

عندما اقترحت أن تكون المعايير أكثر دقة، لم أقصد أي شيء أكثر من نقطة شكلية ، مؤلف من آراء، أو من صياغة محددة الموضوع: نحن نشيد شبكة هشة من علاقات المعايير والنظريات ، والتي عند كل لفتة تندمج مع بحر غامض من الضمنية. ويجب السماح بالطبيعة المجزأة للعبارات دون خزي ، وبغير تحفظ ، وألا نغوص في مستنقع للتفكير السياسي على شكل شعارات، ونحجب عدم الملاءمة عن طريق قوة الكلمات ، مثل : «الديمقراطية» و«الحرية».

ويمكن أن نخلص إلى أن الاتصال لا يجب اعتباره كعملية لفردين أو أكثر ، يستخدمون «لغة مشتركة» تمامًا، ولكن كل ينفذ عملية شخصية من التفسيرات في اتجاهاتها الخاصة من الدقة (انظر جالقاج (1983). لذلك ، فإن أي نظام يستخدم كنوع من البرنامج المشترك يجب أن يوضح عند مستوى منخفض من الدقة.

وبالعودة للجدل العملي، هناك نقاط أساسية عديدة :

(1) نظام معياري، مثال الأخلاق لا تتكون فقط من معايير. معظم نظم الآراء المعيارية تظهر تفوقًا للجمل غير القياسية.

(2) المعايير بشكل عام مشتقة من معايير أخرى ونظريات ، ونادرًا ما تكون فقط من معايير أخرى.

(3) إن وجود نظرية واحدة - على الأقل - كمقدمة لاشتقاق معيار يؤسس الشخصية الفرضية للمعايير المشتقة. التغير في النظريات المستخدمة كمقدمات عادة ما يغير من المعايير ، وتعتمد الشرعية على شرعية الافتراضات غير المعيارية، والمسلمات، والنظريات، والملاحظات. مثال: المرء لا يقبل المعايير المعادية لعنصرية نظامية دون قبول نظريه معينة بخصوص الناس الذين نحن بصددهم ، فالمعايير ليست مشتقة منطقيًا من النظريات، ولكنها فقط محفزة بها نفسيًا.

منهجيًا ، فإن النقطة الأخيرة هذه هي ذات أهمية حاسمة في الجدل: عندما تترك العلاقة المعقدة بين المعايير والنظريات غير موضحة، فإن كل معيار قابل لأن يؤخذ على أنه مطلق أو نهائي ، وذلك يقلل أو يزيل إمكانه المناقشة المنطقية. وتماشيًا مع المنهجية المقترحة هنا، فإنه من

المناسب دائمًا، عندما تتم معارضة المعايير في جدال، أن نسأل المعارض: «أي النظريات تعتقد أنها مناسبة للمعايير التي تتبناها ؟»

يجب أن نحاول الكشف عن جذور التقييمات والنظم الكلية في كل من مقدماتنا ونتائجنا الخاصة بنا وخصومنا. ومصطلح «الجذور» هنا يشمل الحوافز النفسية والاجتماعية العميقة، بالإضافة إلى المعايير الأساسية والنظريات. ولكن في هذا الكتاب ، فإنني أركز على العلاقات المعرفية والمنطقية بشكل خاص بدلًا من الإرادي.

(جـ) الاختصاصي فينا :

عندما يفترض عالم أن هناك اتفاقًا عامًّا بخصوص صحة تقييم، فإنه غالبا ما يترك من غير تفنيد ، فصحته تفترض مقدما. وعلى أي حال فهو لا يقوم بذلك كعالم ، ولكن كاختصاصي وفيلسوف. وقد يقول عالم البيئة إن علم البيئة يبين لنا أننا يجب أن نأخذ التبعات المناخية الناتجة عن قطع غابات المطر المحيطة بخط الاستواء في الاعتبار. وقد يستنكر علماء البيئة للجهود البيولوجية لإزالة الغابات ، بينما يحذرنا علماء علم المناخ من تأثيره على الطقس، ويؤكد الاقتصاديون على التبعات الاقتصادية السيئة لهذه التأثيرات. ولكن مع وجود نظريات فقط كمقدمات، فإنه ليس من الممكن منطقيا اشتقاق الإعلانات القيمة هذه. الأخلاق الصارمة الناشئة هي غير كاملة: النتيجة يجب الحكم عليها كجيدة أم سيئة. وفقط يجب أن تبرر هذه الإحكام في ضوء علاقتها بالمعايير الجوهرية لحياتنا ، وهناك دائما مساحات ضخمة من الاهتمام ؛ لذلك، فإن الاختصاصي فينا يمكن أن يضع أولويات للقيمة للفلسفة البيئية ، التي تخلص إلى «نحن يجب» أو «نحن لا يجب»، وأخيرًا فإن ثمة رأيا كليًّا يفترض أنه صحيح.

إن أحكام قيمنا السطحية هي فقط وسائلية بشكل صرف .. أما الأكثر عمقًا فهي أهداف جوهرية، أو أصيلة، يتم الوصول إليها من أجل ذاتها، وليس كوسيلة تجاه أهداف أخرى. دون هذه الأهداف في ذاتها، سيكون هناك ارتداد غير محدود ، ولا يمكن أن يعطيك علم البيئة مثل هذه الأهداف. والأشياء يمكن أن يكون لها قيمة حقيقية وقيمة وسائلية معا ، على سبيل المثال، فإن الغابات يمكن المحافظة عليها من أجل فائدة تجنى أو من أجل الاستجمام، ولكن ذلك لا ينفى نظرية المحافظة كهدف في حد ذاته ، وبهذا يكون للغابة معنى مستقل لقيمتها الإنسانية الضيقة أو النفعية المتسعة.

هناك طرق كثيرة لعمل خريطة لأولويات القيمة : التنظيم التحليلي طبقًا للمعايير والنظريات كما هي مقدمة من خلال هذا العمل هو واحد فقط. كما أنه من التفاهة أن نزعم أن المجتمع والثقافة، والأحياء أو الاقتصاد هو الذي يقرر هذه الأولويات النهائية . ونحن بذلك غير معفين من مهمة إيصالها للوعي كأشخاص متكاملين يقدرون صحتها، ومثل هذه العبارات هي العمود الفقري للفلسفة البيئية.

ونحن يوميًّا نقرر بين اعتبارات واهتمامات متناقضة. وللعمل نحو أسلوب حياة أكثر مسئولية من الناحية البيئية والاجتماعية ، هو ليس فقط وظيفة أخصائي البيئة أو الفيلسوف ؛ إذ يجب أن نقوم جميعًا بذلك معًا، على الأصح كاختصاصين وليس أخصائيين. وكلنا لدينا قدر معين من الممارسة في اختيار مسارات العمل، وذلك يفترض قدرة على عمل تحكيم القيمة الشاملة.

والجهود الأكيدة لتبرير هذه الاختيارات على أساس مجموعة من المقدمات ، تؤدى في النهاية إلى تطوير نظام فلسفي، الذي يعد تمثيلًا

للارتباطات القرنية بين كل مظاهر وجودنا. لحسن الحظ، فإنه يبدو أننا ندبر أمورنا بشكل أفضل يومًا بعد يوم دون الكثير من الصرامة. ولكن التحدي البيئي يشجع محاولات توضيح القيمة الشاملة والحل.

والتأكيد على أحكام أولوية للقيمة الشخصية والآراء العالمية يمكن أن يساء فهمه ، ليعني أن أولوية القيمة هي ضرورية فقط للمرء نفسه. ويمكن تحقيق تأثير عالمي من خلال المشاركة بجهود منظمة كتلك التي تشكلت بوضوح في الإستراتيجية العالمية للمحافظة على البيئة (1980) المهمة ولكن المهملة. والإهمال هو نتيجة لضعف السياسة البيئية في كل دولة ، ويدعو إلى نشاط سياسي في كل دولة ، ولكن هذه المهام الجماعية لا تجعل أحكام أولويات القيمة الشخصية والآراء العالمية غير ضرورية. والمرء يعمل في منظمة كشخص وليس كموظف. والعمل في تنظيم فقط كموظف هو التخلي عن الكرامة الإنسانية لصالح مجهولية الأوتوماتيكية.

كل هذا الحديث ضروري بسبب أن هدف مؤيدي حركة البيئة العميقة ليس إصلاحًا طفيفًا لمجتمعنا الحالي، ولكن إعادة توجيه جوهري لكامل حضاراتنا.

(د) *بيولوجيا المحافظة على البيئة :*

لقد تم تأسيس علم جديد في السنوات العشر الماضية ، تتضمن بصيرة من علم البيئة مع مظاهر معيارية اختصاصية للتحرك نحو إعادة التوجيه الجوهري. وبيولوجيا المحافظة على البيئة هي رأس الحربة لبيئية تعتمد على العلم ، والبيئيون الملتزمون بشدة والمدربين على علوم الحياة، هم الذين يستخدمون تخصصاتهم في خدمة مباشرة ، للمحافظة على البيئة، يميلون إلى التجمع حول هذا النظام الجديد .. إنه نظام أزمات، مثل

بيولوجيا السرطان، وبذلك فهو أداة للتعاون بين مديري الطبيعة والباحثين لا يمكن الاستغناء عنها.

وأحد الباحثين الرواد في هذا المجال هو مايكل سوليه، والذي تتبعت عرضه الأساسي (سوليه، 1985)، حيث يضع أربعة معايير كأساس لبيولوجيا المحافظة على البيئة المصاغة ببساطة، هي: (1) «إن تنوع الكائنات هو شيء جيد»(2) «التعقد البيئي جيد»(3) «التطور جيد» (4) «التنوع الحيوي له قيمة جوهرية».

ولتضمين هذه المعايير في الفلسفة البيئية T_1، أفضل أن تكون كتاباتهم كأسماء بعلامة تعجب مثل «تنوع الكائنات!» ولا يحتاج اشتقاق المعياريين الأولين داخل الفلسفة البيئية T، إلى تعليق .. أما فيما يتعلق «بالتطور!» فإن هذا المعيار يدرج منظورا بعيد المدى، يميز حركة البيئة العميقة:«صلاحية بعيدة المدى لكامل النظام!». إن ما يحدث اليوم هو تحطيم للظروف الضرورية للتطور المستمر، متضمنًا الدقة خلال ملايين السنوات.

التقييم المستمر لا غنى عنه للصيانة طويلة المدى لتنوع وثراء أشكال الحياة (نقطة 2 من البرنامج، الفصل الأول). ويدخل عدم الاستغناء هذا إلى الفلسفة البيئية T في شكل نظرية. ومن النقطة 2 و من هذا الفرض نشتق المعيار الثالث لبيولوجيا المحافظة على البيئة. المعيار الرابع، «التنوع الحيوي» هو حالة خاصة «لتنوع أشكال الحياة!» إذا استخدمنا المعنى المتسع «للحياة» المستخدمة في النقطة (1) من البرنامج. وعالم أحياء المحافظة على البيئة واضع في اعتباره بالطبع، أنظمة بيئية، وبيئات ومجتمعات.

ونتج عن الطبيعة المعيارية لعلم الأحياء المحافظة على البيئة توصيات وقرارات، يمكن أن تتم بالسرعة التي تقتضيها هياكلنا السياسية الحالية.

وقد أثرت هذه على سبيل المثال على القرار السياسي في غرب غينيا الجديدة (أريان چايا) ؛ لتأسيس سلسلة من الحدائق الوطنية. لقد تمت التوصيات قبل أن يقوم علماء الأحياء بأبحاثهم العلمية المعتادة فيما يتعلق بفقد أجناس ... إلخ ، وإن كان التسجيل سيستمر . وقد جعلت القيود السياسية هذه الأبحاث مستحيلة، ولكن الطبيعة المعيارية لعلم الأحياء المحافظة سمحت للعلماء بأن يكون لهم رأى في عملية اتخاذ القرار.

إن خطورة الموقف واضحة بشكل بارز من بعض من النظريات المؤكدة لعلم بيولوجيا المحافظة على البيئة. والأجناس هي جزء بارز من بيئة الآخرين، لذلك .. فإن الميل نحو مجتمعات غير طبيعية (علم أصول الإنسان وتطوره) يهدد هيكلها، ووظيفتها، وثباتها. إن انقراض جنس في المجتمع قد ينتج عنه في آخر الأمر انقراض المئات من الأجناس الأخرى ؛ لذلك فإن إنقاذ جنس قد يؤدي إلى إنقاذ المئات من الأجناس ، ولكن الوقت يمر!

وهناك نظرية أخرى: الجنس لديه فرصة أكبر للبقاء في منطقة طبيعية أكبر أو فى المحميات الطبيعية ، مثل : النمو المفاجئ الضخم «الانفجار»السكاني لأحد الأجناس قد يحطم الأجناس الأخرى. وهذا أكثر احتمالا في المواقع الصغيرة التي ينقصها نظام كامل من آليات الحد من السكان ، تشمل نقص البيئات لانتشار الأفراد،ووجود الضواري الكافي هو أسس تغذية بديلة أثناء الطقس القاسي ، والكثافات السكانية العالية بشكل غير عادي غالبًا ما تحدث في المناطق الطبيعية ، والتي يمكن أيضًا أن تزيد من معدل انتقال الأمراض، وكثيرا ما تؤدي إلى أوبئة قد تؤثر على كل الأفراد.» (سوليه 1985، ص 730).

من الواضح، أن الاعتدال في المعدل الحالي للانقراض على هذا الكوكب يتطلب محميات طبيعية أكبر بشكل ملحوظ، ويتطلب أيضا انخفاضًا ملحوظًا في مدى البيئات البشرية:

> **المحميات الطبيعية غير متوازنة بشكل متأصل للكائنات الكبيرة، والنادرة. وهناك سببان لذلك : أولا، الانقراض حتمي في بيئات جزر بحجم المحميات الطبيعية؛ لذا يجب المحافظة على تنوع الأجناس باستخدام الطرق الصناعية ، لأن المستعمرات الطبيعية (إعادة التأسيس) من المصادر خارجية هي شيء غير محتمل إلى حد كبير. وثانيًا، إننا لا نستطيع العمل بالتحديد، الوسيلة الوحيدة غير الطبيعية لإحلال الأجناس، بالنسبة للكائنات النادرة والكبيرة في المحميات الطبيعية ؛ لأن المحميات تكون دائما صغيرة جدًّا بحيث تستطيع الاحتفاظ بكائنات كبيرة أو نادرة معزولة داخلها لمدد طويلة ، ويجب المحافظة على السكان المنعزلين في محميات مختلفة بالطرق الصناعية عن طريق تدفق الجين ،ذلك إذا أرادت البقاء (سوليه، 1985).**

إن استيعاب حتى جزء بالغ الصغر من المعلومات التي يزودنا بها علم أحياء المحافظة على البيئة يجعل من الواضح أن المحافظة على جزء كبير من التنوع ، القائم والثراء في أشكال الحياة ، على هذا الكوكب ، تتطلب تغييرات في الأنواع الرئيسية ، المعبر عنها في نقاط البرنامج من (4) إلى (6).

عند تعميم نوع الشرح الموضح من خلال معايير علم الأحياء المحافظة على البيئة ، وجعله أكثر صقلًا.. فإننا، إذن نصل إلى أنظمة معيارية على مستوى التفسيرات المعقدة للفلاسفة ، أو حدود الآراء الكلية النظامية ، ولكن هذه لا يمكن تجاوزها دون بحث للطرق المتنوعة لإدراك وممارسة الطبيعة نفسها.

(3) الوصف الموضوعي، والذاتي، والظواهري للطبيعة :

غالبا ما تسمى الفروق العميقة في اتجاهات الناس نحو الطبيعة والبيئات الحميمة المحيطة بهم بالذاتية: «مشاعر مختلفة ومدركات يتم

استقراؤها في أشخاص مختلفين عن طريق الشيء نفسه». هذا الشيء من المفترض أن يكون موضوعيًا، أما الإدراك فهو ذاتي. ولكن ماذا يدفع المرء للاعتقاد أنه الشيء نفسه الذي لدينا اتجاهات مختلفة نحوه؟ الإجابة سهلة: الطبيعة .. وبناء على ذلك ، فإن البيئات المباشرة المادية يكون لديها في أى لحظة مجموعة فريدة ومحددة من الخصائص ، وهذه الخصائص تعتبر مستقلة عن كيفية فهم الناس لها ، وهي تنتمي إلى الأشياء في ذاتها Dinge an sich.

ومن المفترض أن البشر يواجهون الأشياء المادية وأشياء أخرى ، يصنعون منها الصور أو المفاهيم المختلفة. ويجب أن يكون المفهوم الموضوعي، الذي يصف الشيء كما هو في ذاته، مستقلا من هذه الفروق. وتحد طريقة التفكير، من ضمن أشياء أخرى، كل الفروق الفردية لصفات الحس ؛ لذلك فإن الشيء في ذاته لا يمكن أن يكون له لون، أو شكل.

ماذا يتبقى إذن؟ ربما فقط هيكل مجرد من نوع معين ، وعلى أي حال .. فإنه يبدو أن التطورات الحالية في الفيزياء توضح فقط ذلك ، ولا يبدو أنه لا يتبقى هناك سواء عالم أو طبيعة ، فقط عديد من نقاط للإشارة المناسبة بها عند الوصف الرياضي.

الإجابة السائدة بين جمهور المطلع، تكون في كل الاحتمالات – بالتحديد – أن العلوم الطبيعية الرياضية هى التي تقدم الوصف الصحيح تقريبا للبيئة ، كما هي في ذاتها (لقد تعلمنا أن نعترف أن الوصف قد لا يتوافق أبدا توافقًا تامًّا). هل نحن نقترب من الخطوات العلمية الطويلة المبنية على عمل جاليليو ونيوتن؟

يغني الشاعر الروسي تيوتشيف معارضا لهذا الرأي الثابت (برمينوف، 1970، ص 54) قائلًا :

الطبيعة شيء آخر بخلاف ما نعتقد

إن لها روحًا، ولها حرية،

ولها حبًّا، ولها لغة.

وقد حاول الفلاسفة والعلماء أن يقدموا وصفًا لمفهوم الأشياء في ذاتها، وصفًا مستقلًّا تمامًا عن إدراكهم بالحواس أو بأي طريقة أخرى. وأعتقد أنه يمكن القول ، دون تخوف ، أن كل المحاولات قد باءت بالفشل ، وأن الخطأ يقع في صياغة المشكلة.

هناك عرف فلسفي قوي يمتد من نيوتن إلى مبدأ كانط : Ding an sich ، ولا يوجد شيء إيجابي يمكن أن يقال عنه. إن كتبنا الدراسية التي تموج بالمتناقضات التي لا يمكن السماح بها ، دائما ما تتوقف في منتصف الطريق: فالشكل والوزن وبعض صفات أخرى معينة هي موضوعية ، بينما صفتا اللون والرائحة يقال إنها ذاتية.

على أي حال، إذا أخذنا خصائص مثل «مستطيل» و «مربع» على سبيل المثال، سنجد أنها لا يمكن أن تكون صفات موضوعية لمائدة ؛ لأن الصفة لا يمكن أن تنفصل عن مفاهيم الوقت والسرعة في نظرية النسبية. والخصائص المذكورة ليست ذاتية، ولكن، مثل الرائحة، مرتبطة في علاقة متداخلة مع مفهومنا للعالم ، وهذا ما يقصد به عند تسميتها «اتصالية»- بدلا من «نسبية» أو «ذاتية». وهناك مبرر أن نشير إليها كموضوعية ؛ بمعنى أنها مستقلة عما يحبه الفرد أو يكرهه. ونحن نصل، ليس إلى الأشياء نفسها، ولكن إلى شبكات أو مجالات للعلاقات ، تتشارك فيها الأشياء ولا تستطيع أن تنعزل عنها.

وقد سعي آينشتاين إلى مواصفات هيكلية تنطبق على كل مراقب للطبيعة ، بصرف النظر عن حالة حركة المراقب في علاقته بهذا الذي يراقبه. ويمكن تفسير الموضوعي «بالسمة المشتركة لمجموعة كبيرة من المراقبين أو لكل المراقبين».وعلى أي حال ، فإنه من المهم ملاحظة أن الشيء المشترك هو شديد التجرد وغير ملموس بالكامل ، وغير واضح بأي طريقة (أعتقد، أن النسبية العامة لن تكون أبدًا واضحة) . إن محاولة خلق وصف لمضمون العالم تأسيسًا على هذه المفاهيم محكوم عليها بالفشل. وفي أحسن الأحوال، يمكن أن يصل الفرد إلى عالم طيفي، غير إنساني بالكامل .. شيء مثير من الخيال، ولكن غير مجدٍ كوصف فعلي.

والاعتقاد أن ما هو مشترك للأفراد في طبقة ما يجب أن يكون هو نفسه فردًا في هذه الطبقة، هي فكرة خاطئة وتأثيرها على علم الدلالة والتعلم المفاهيم هو تأثير مؤسف. على سبيل المثال، أي تعبير بمكن أن نبرر كونه أكثر دقة في عشرة اتجاهات، وبذلك يعتقد الفرد أن ما هو مشترك للعشرة اتجاهات هو اتجاه حادي عشر، الذي يجب أن يكون بالضرورة «الأكثر صحة». وهناك الكثير الذي هو مشترك بالنسبة لكل الكلاب، ولكن محاولة تخيل كلب لديه الخصائص المشتركة، وفقط الخصائص المشتركة لكل الكلاب تغفل ليس فقط اللون ، ولكن تغفل أيضًا كل شيء يفرق البولدوج عن كلب الصيد ،التريير. إن الطبيعة تحتوي فقط على الخصائص التي نحن باستمرار في اتفاق معها ، وبشأنها هي مثل الكلب الطيفي – لذلك فإن أي فكرة موضوعية عن الطبيعة لا يمكن أن ترى كتلك التي نتفق عليها جميعا إنها «موجودة ».

تنجح فيزياء الكم بالاحتفاظ بالاستدارة أو بالاستطالة الثابتة والمحددة ، التي نفترض أن تكون شكل الطاولة نفسها. ولكن علماء

الفيزياء لا يحتاجون إلى إدراك مضمون الطبيعة فعليًا وموضـوعيًا ككونـه مختلفًا بشكل كبير عن الطريقة التي نحن (وأنصار الطبيعة الكلاسيكيين) قمنا بتجربتها. وقد يكونوا مكتفين بقول أنه بناء على نـماذج معينـة ، فـإن الطاولة أو الكون يجب أن يوصفا بطريقة معينة. ويمكن فقط عـن طريـق دراسة المنهجية تسهيل فهم وظيفة التفكير المادي ، وذلك يريحنا من كثير من المحاولات العقيمة للتفرقة بين الأشياء والطبيعـة فى حـد "an sich" ذاتها والطبيعة من أجلي"an mich" .. إن الاختلاف نفـسه يمكـن إزالتـه تدريجيًا.

قد يكون وصل للبعض الانطباع بأنني قد استنتجت بشكل أساسي أن كل شيء هو ذاتي، وأن اختلافنا الأصلي الذاتي/ الموضوعي هـو اخـتلاف غير مجدٍ. وقد يتبدد هذا الانطباع ، إذا وضع الفرد في ذهنه أن هنـاك فرقًـا بين شيء ذي اتصال وشيء ليس أكثر من تعبير عن حكم شخـصي لفـرد. وعندما نقول إن «برج إيفل هو على اليسار»، فإننا نصف حالة لا تعبر عن حكم شخصي فردي ، ولكن العبارة تصبح غير كاملة، «موجزة»، عنـدما تنفصل عن موضع جغرافي محدد. وبالنسبة لأماكن أخرى ، فإن برج إيفل هو على اليمين ، وليـست الأمـاكن الشخـصية ضروريـة لتبريـر الموضـع النسبي لبرج إيفل ؛ فالنسبي ليس ذاتيًا.

باختصار .. ليس هناك وصف واحد للعلوم الطبيعيـة للطبيعـة، فقـط عدد من المساهمات. تقدم الطبيعة بعض النقاط المشتركة للارتكاز ، مثل : ارتباط الوقت والمكان، ودرجات الطول والعرض. ولكن على نحو مميـز إلى حد ما، فإنها لا توجد بأي مكان: هناك قليلون مما يعتقدون أنه عنـدما تعبر سفينة خط الاستواء، فإن الإنسان يجب أن يقف على القوس ويقطعه بسكين .. إن خط الاستواء المادي لا يوجد في أي مكان!

إن نقاط الارتكاز هذه تكون معًا هيكلًا أو شكلًا صرفًا ، ويكون الشكل صرفًا بمعنى أنه ينقص المضمون المادي أو المضمون الآخر. يمكن للفرد بسهولة أن يتخيل أن تكون نواة الذرة أصغر شيء بألوان وسطح صلب، ولكن المضمون العلمي في عبارات تتعلق بالنواة الذرية هو مضمون مجرد ، ويعتمد قط على البنية. مثل هذا العلم النظري يمكن تعلمه، وفهمه والاعتراف بأنه صحيح في أي ثقافة مهما كانت ؛ ليس لأنه تصف الواقع المشترك، ولكن لأنها تصف هيكلا مستقلا عن معظم المفاهيم الثقافية. فالهيكل ينتمي للواقع ، ولكنه ليس الواقع .. يمكن مراجعته مرة وأخرى، وعمل التفسيرات المختلفة دائما للواقع وإلى الواقع.

لذلك، فإن مفهوم العالم كمجموعة من الأشياء ذات صفات ثابتة أو متغيرة يتحطم ، عندما يحاول الفرد أن يقيمه بدقة شديدة ويطبقه في بحث طبيعي علمي أو تاريخي. ويجب أن نجاهد من أجل ألفة أكبر مع فهم أقرب إلى ذلك الخاص بهيراكليتس : كل شيء يتدفق ، كما يجب أن نتخلى عن النقاط الثابتة والصلبة محتفظين بالعلاقات المباشرة نسبيًّا والمستمرة من العلاقات المتبادلة ، ويجب أن نعتبر «الوصف الموضوعي للطبيعة » الذي تقدمه لنا الفيزياء ليس وصفًا للطبيعة ، ولكن وصفًا لبعض حالات الارتباط المتداخل ، وبذلك يمكن أن يكون عالميًّا، ومشتركًا لكل الثقافات. وعلى أي حال ، سيحقق التعاون في هذا الصدد قصد العالمية ، وفي الوقت نفسه يحمي تنوع الثقافات البشرية.

إن تخصيص «وصف ظواهري» يستخدم في عمليات مختلفة جدًّا نفسيًّا وفلسفيًّا ، فعلى سبيل المثال ، في علم النفس وصف راكبي السيارات والمشاة يقال إنه ظواهري ، إذا كان يصف بوضوح - وبالكامل - كيف أن راكبي السيارات يدركون المشاه، والعكس- ليس هناك سبيل للسؤال

عما إذا كان المشاة هم كما وصفهم سائقو السيارات (مثال لا مبالين جدًّا)، أو إذا ما كان سائقو السيارات متعجرفين جدًّا كما يصفهم المشاة ، ولا السؤال المثار بالنسبة لما يجب أن يكون، أو لماذا وكيف ثار. والفلسفة الظواهرية (مستوحاة بشكل أو أخر من عمل إدموند هسيرل) أيضًا تحاول أن تعطي وصفًا للمفهوم بشكل مباشر ، وفعلًا لفهم الذاتي نفسه.

إن وجهات النظر الظواهري قيمة لتنمية وعي بمضمون غير وسائلي وغير نفعي للخبرة المباشرة للطبيعة. وعلى سبيل المثال، يفكر المرء في الألوان دون التفكير في طول موجاتها كنتيجة للحسابات الرياضية أو «الوظائف الإشارة» التي لديها : فالبني بالنسبة لبعض الأشخاص وظيفة الإشارة «جاف» و«محصول ضعيف» ؛ مما يمنع الإدراك لبعض الصفات الطبيعة للصحراء. يجب أن ينمي كل رسام براعة رؤية الألوان مستقلة عن الأعراف ، ودون ممارسة، فإن الفرد يرى الأشياء ك « das Man»(هيدجر) ، وبمعنى آخر .. فإنه يرى أشياء في مجتمعنا كنفع- إدراكي ، متوسط، وسط، كطريقة لرؤيتها. وتعتمد التجربة المبهجة للطبيعة جزئيا على تنمية الوعي أو اللاوعي بحساسية الصفات.

وهناك صفات كافية لكل شخص! هؤلاء ذوو الحساسية العميقة للوفرة في الصفات المتنوعة هم في وضع ممتاز في الحياة ؛ شريطة أن يستطيعوا العيش في الوقت نفسه .

(4) الصفات الأولية، والثانوية والصفات من الرتبة الثالثة: هل لها وجود في الطبيعة؟

قال أ. إن. وايتهيد بسخرية: «الطبيعة شيء باهت» «دون صوت، أو رائحة، أو لون» (وايتهيد، 1927، ص.68). ويجب على الشاعر أن يمدح نفسه على رائحة الوردة ، فالوردة نفسها لا يمكن أن يكون لها لون

أو رائحة .. لقد كان وايتهيد يمزح. ولكن بعض علماء الطبيعة والتقنيين يعتقدون في ذاتية الصفات الحسية ؛ ربما لأنها لا يمكن أن تقاس بواسطة نماذجهم. وبالنسبة لهم ، فإن الطبيعة الحقيقية هي شيء مختلف بشكل مطلق عما يمارسه ويقدره الجنس البشري بشكل مباشر ، والحوار مع الطبيعة غير وارد. أنا – أنت تكون مستحيلة!

ونحن نجد وجهة النظر هذه نفسها بين بعض علماء البيولوجيا ذوي العقلية الفلسفية ؛ مثل : برنارد رينش، رئيس معهد علم الحيوان بجامعة مونستر ؛ إذ إن عمله في «فلسفة البيولوجيا» هو محاولة لخلق نظام علمي فلسفي بأساس بيولوجي. والشيء الذي تنتمي إليه«وردة»، بشكل موضوعي، مميزات معينة كيميائية ونفسية فقط، يشير إليها إدراك حواسنا. الصفات الحسية هي ذاتية، وليست موضوعية (رينش، 1971، ص.258):

> **نحن واثقون أن الوردة نفسها لا تمتلك لونًا، ولكن موجات الضوء المنعكسة منها تولد تفاعلات ضوئية كيميائية في الخلايا البصرية في أعيننا، وتمر نبضات معينة خلال الأعصاب البصرية إلى المخ. إن إحساس اللون مرتبط فقط مع النشاط الفسيولوچي...**

هذا «الارتباط» هو أكثر شيء غير قابل للشرح في فلسفة رينش.

ودعنا ننظر للموضوع في ضوء تاريخي: خلال القرن السابع عشر، أصبح التمييز التالي مقبولًا بشكل عام بين العلماء.

(1) الصفات الأولية، صفات هندسية – ميكانيكية – الحجم، والشكل، والحركة. ولقد كانت تعتبر جزءًا من الأجسام المادية ، كما هي «في الأشياء نفسها».

(2) الصفات الثانوية– اللون، الدفء، والمذاق، إلخ : لقد كانت هذه الصفات تعتبر مجرد مسميات للأحاسيس والمشاعر ، التي مرت

بنا كتأثير (لا يمكن تفسيره) للعمليات المادية والنفسية في العالم الخارجي المادي.

أسس ديكارت وجاليليو هذا التمييز، بينما أعطاه نيوتن موافقته الرسمية في Optics .

(3) إن مصطلح صفات الرتبة الثالثة يتضمن الصفات المعقدة للإدراك الحسي، مثل : نوعية القوة المعبر عنها بواسطة الأوتار الأوركسترالية المرتبطة بالتعبيرات البصرية لثور مهاجم، وصفات، مثل : محزن، جميل، مهدد، مثير للشفقة. ويمكن تفسير الصفات المفتوحة والمغلقة بالإشارة إلى الطبيعة من الرتبة الثالثة، وهذه الصفات كلها لديها بشكل أو آخر صفة بنية معقدة مؤكدة (انظر لاحقًا في هذا الفصل).

فيما يتعلق بالفرق بين (1) و (2)، يمكن القول بأن الصفات الأولية كانت تعتبر موضوعية، مستقلة عن كل فرد له علاقة بها، بينما كانت الصفات الثانوية تعتبر غير- موضوعية، تعتمد على مكونات الفرد، وبخاصة جهازه الحسي. علاوة على ذلك، كانت الأولية تعتبر في الواقع «في الخارج هناك»، بينما كانت الثانوية تبدو - فقط - كأنها في الخارج هناك، ولكنها في الحقيقة كانت داخل الوعي. وكان يعتقد أنها بطريقة ما «تبرز» في الطبيعة: فالمروج البرية، والمزدهرة هي في الواقع في ذهن الإنسان .. هذا شيء مذهل حقًا! كان يوجد في الخارج هناك فقط ذرات دون ألوان، حتى اختفت فكرة الذرات في هذا القرن؛ لتصبح هياكل رياضية مجردة.

يوضح مثال مأخوذ من عالم الميكانيكا الكبير توماس هوبس كيف أنه كان يعتقد أن الفروق في شكل أصغر أجزاء الجسم، تسبب فروقًا في

تجربتنا لصفة التذوق. يمكن أن تتخيل أن المذاق الحلو تسببه الذرات المستديرة في حركة بطيئة، ودائرية، بينما المذاق الحلو المر تسببه الذرات المستطيلة، والضيقة في حركة دائرية عنيفة، والمذاق الحامض تسببه ذرات رفيعة مستطيلة في حركة خطية للخلف والأمام. واعترف هوبس أن ذلك كان تأملًا صرفًا، ولم يقل شيئًا عن هذه العلاقات الاستثنائية العرضية ، التي تحدث داخل الناس.

تقدم وجهات النظر المعادية للطبيعة والبيئة بشكل شائع كوصف للظروف الواقعية/ الموضوعية، بينما يشار إلى آراء المعارضة بشكل مشابه لتعاليم الصفات الثانوية، كإظهار للتقييمات الذاتية العرضية، «مجرد» مشاعر وعواطف. والصفات من الرتبة الثالثة مثل كئيب (سوداوي) غير مقبولة كصفات في الطبيعة أو البيئة، ولكنها توضع داخل الفرد، على سبيل المثال، كشعور بالكآبة الذي ينعكس بعدئذ للخارج إلى الطبيعة. وقد يمتد المنظر الطبيعي إلى 40 كيلو مترًا مربعًا ، ولكنه ليس كئيبًا. ولكن هل من الممكن التوقف في منتصف الطريق؟ من الصعب أن نفهم لماذا أنه ليس من الضروري أيضًا أن «نبرز» الطول وكل الصفات الأخرى من داخل الذات البشرية. وإذا فعلنا، نصل إلى «الشيء في ذاته كـ x ، والذي لا يوجد شيء يمكن قوله عنه، بينما يعزو كل شيء إلى الفرد الذي يخلق العالم كما يعيشه بالفعل ، إدراك يدعو للإطراء ولكن ليس به أي معلومة.

وقد نجد أن رائحة الصنوبر يصعب تخيلها دون وجود أعضاء الشم. وقبل أن تكون هناك أعضاء شم، كيف كانت هناك روائح في العالم؟ وبالمثل بالنسبة للألوان .. فدعنا نتفق أنه قبل أن تكون هناك عيون، لا يمكن أن تكون أنهار الجليد بيضاء، ولا السماء زرقاء، ولا الليل أسود، ولا الضباب رماديًا . ونصل إلى ما سماه الفيلسوف فيشنر الرؤية الليلية

(وجه الليل) للطبيعة، فى مقابل رؤية النهار- النـي تكـون دون شـكل أو حتى دون ظلام، ودون أي من الصفات التي نعرفهـا. الطبيعـة كـما هـي مفسرة في الفيزياء الذرية، على سبيل المثال، ليست مظلمة أو مضيئة. ومن خلال وجهة النظر هذه، فإن الواقع الإنـساني هـو منفـصل عـن الطبيعـة تمامًا. وأي نفوذ أو اعتبار ينتمـي إلى جـوهر الواقـع الـذي هـو حقيقـي، ويمكـن قياسـه - إلى جانـب كونـه علميًّـا ، والاحـتمالات التـي يتعـذر الوصول إليها والمحسوبة (اختصار ادينجتون) - من المفـترض أن يكـون جزءًا من «الواقع الفعلي»؟

ولكن نحن نرى في كل كلمات فين ألنيس، كاتب القصة النرويجي، أنه حتى هذه العمليات «الحقيقية» تثير الخيال والمشاعر ؛ حيث يسعى الفـرد أن يكون جزءًا من الجذب والتنافر ، اللذين تتنبأ بهما الحسابات الرياضـية «الموضوعية».

> **ياللقوة! الذرات تتجمع ذرات جانـب ذرات، المـادة تتـآمر في إيقـاع مـنظم، والجسيمات الدقيقة تتحد في سحابة مكثفة، و الضباب كله يدور مثـل عجلـة عملاقة... هناك الدوامات الأصغر التي تتجمع في حلقة حول الأكبر- فهـذا هو القانون: الكتلة الأكبر تجذب الأكثر ...**

ومن الواضح أنه حتـى هـذا العـالم الجـوهري، الـذي ابتكـر ليغطـي الكينونات الرياضية، هو بعيد كل البعد عن كونه جافًّا أو دون لون . انظر ماذا يحدث عندما يسحبنا ألنيس في كتابـه «الـديناميّات» حيـث إمكاناتـه الرومانسية الخاصة.

يقول وايت هيد (1927، ص 69) أنه يوجد الافـتراض المتنـاقض بـأن الطبيعة هي في الواقع دون ألوان، أو أصوات، أو رائحة لأننـا قـد أربكنـا أفكارنا التجريدية بحقائق راسخة ، وأن البديل الـصارخ يكـون ممكنًـا في

عصرنا هو ربما نتيجة للقوى المتزايدة بأن الأفكار التجريدية تسيطر علينا في عصرنا ذي التكنولوجيا المرتفعة- ربما أن 99% من كل «الخبراء» قد تعلموا الاعتقاد بأن كل ما هو جميل ومحبب (أو قبيح و «كريه») هو مخلوق بواسطة الإنسانية، مع كون الطبيعة لا شيء في ذاتها. ولكن الإنسان ليس منفردا! هل نستطيع أن نستغني عن الطبيعة في مدينة فاضلة تكنولوجية؟ هل تستطيع الآلات أن تحفز النظام العصبي بمحاكاة صفات الطبيعة نفسها التي يحبها بعضنا...؟

إذا تخلينا عن الاعتقاد أن عالمنا الغني بالحواس هو تصور خلقه البشر، فنحن في حاجة لمحاولة استرجاع الصفات إلى الطبيعة. هذه معضلة، ولكنها ليست مستحيلة، كما سنرى فيما يلي.

(5) نظرية «كلاهما- و» لپروتاجوراس :

(أ) المجال النسبي :

لنفترض أننا قد احتفظنا بيدٍ واحدة في جيبنا، والأخرى في الهواء الطلق البارد. وإذا وضعنا كلتا اليدين في جردل من الماء، فقد تخبرنا يد أن الماء دافئ وتخبرنا الأخرى أن الماء بارد. والطريق المعروف جيدا لمتناقضات الـ Ding sache، ولنظرية الواقع الحصري للصفات الأولية، قد يبدأ بالإجابة عن السؤال بلا هذا ولا ذاك: «هل الماء دافئ أم بارد؟» الإجابة تؤكد أن الماء في حد ذاته، ليس باردا أو دافئًا. نحن كأشخاص نسقط صفات مختلفة على الماء طبقا لحالة أيدينا. ولكن طبقًا لسيكتس امبريكس، فقد أجاب پروتاجوراس بـ: «كلاهما - و» ؛ إذ قال إن أساس كل ما ندركه هو في المادة؛ لذلك .. فإن المادة في ذاتها لها كل الأولويات التي يدركها كل فرد ، والبشر يفهمون ويدركون بشكل مختلف، ونفس الأفراد بشكل مختلف في أوقات مختلفة.

وطبقا لذلك، فإن هذه النظرية تؤكد أن الماء دافئ وبارد معا ، وعندما تكون أيدي الفرد في حالات مختلفة، فكلاهما يمكن إدراكه في وقت واحد.

افترض الآن أن عشرة آخرين غمسوا أيديهم في الماء نفسه ، وكلهم صرخوا «إنه فاتر!» هل هذا الإدراك قائم على أساس أفضل؟ ويبدو أن بروتاجوراس قد أجاب بالإيجاب. فيما يتعلق بالماء، فإن البشر لديهم حالة طبيعية (*kata fysin, secundun naturam*). في هذه الحالة، فإنهم يدركون تقريبا الشيء نفسه ، وقد يقال إنهم ينطقون الإجابة الصحيحة اجتماعيًّا، أو الإجابة القياسية لأسئلة عن دفء أو برودة الماء. لكن بالحقيقة نفسها ، فإن الماء يظهر نفسه للبعض باردًا وللآخرين دافئا، إنه الاثنان معًا.

وطبقا للفلسفة البيئية، فإنه يتم فهم النقاط الرئيسية (1) الصفات الثانوية كصفات أصلية للمادة أو الطبيعة نفسها، (2) أن حقيقة أن شخصًا ما يدرك شيئًا دافئًا أو باردًا أو أخضر أو أسود ، فإنه في ذاته مجرد ذلك (3) تقريران مختلفان عن الشيء ، أنه دافئ وأنه بارد، ليسا متناقضين، (4) وما يسميه بروتاجوراس «بالإجابة الصحيحة اجتماعيًّا» هي فقط إجابة منتصف الطريق ، وبذلك تكون غير مشوقة فلسفيًّا.

وأقترح استمرار وتهذيب إطار البروتاجوريين. وبدلًا من المادة، سأتحدث عن المجال النسبي. يشير المصطلح «المجال النسبي» إلى مجموع خبراتنا المتداخلة، ولكن ليس للوقت والمكان بشكل عام. والأشياء من مرتبه «الأشياء المادية» تدرك كروابط داخل المجال ، والأشياء نفسها تبدو بشكل مختلف بالنسبة لنا، وبصفات مختلفة في أوقات مختلفة، ولكنها تكون على الرغم من ذلك الشيء نفسه . أنا أفسر ذلك بأنه يعني أن العلاقات التي تحدد الشيء من ناحية المفاهيم تتقارب عند الرابطة نفسها.

لا يؤدي الشيء الدافئ والبارد في الوقت نفسه إلى التناقض، فهو شيء دافئ في علاقة واحدة ، وشيء بارد في الأخرى. كل العبارات «عن الشيء» هي عبارات نسبية : العبارة مثل الشيء «ألف» هو «باء»، قد تم التخلي عنها في الفلسفة البيئية T لصالح عبارة الشيء «ألف» هو «باء» بالنسبة لعلاقته مع «جـ» أو الشيء ذي العلاقة «ألف» «ج» لها الصفة «باء» ، فمثلا الماء دافئ بالنسبة لليد «باء».إذن علاقة الشيء «باء - يد - ماء» لها صفة الدفء.

ويوضح المثال أن النسبية المقدمة هنا لا تشير دائمًا إلى الحواس، أو المدركات، أو الروح، أو الوعي أو الفرد. والعوامل التي تربطها هي الماء، واليد، والبرودة، والماء واليد والدفء. وقد قدم نايلز بوهر علاقة نسبية مماثلة في مناقشته المشهورة في موسكو مع الماديين الجدليين: ميكانيكا الكم لا تدخل الشيء إلى الفيزياء، فقط أدوات (انظر موللر ماركوس ، 1966). وفي مثالنا ، تلعب اليد دورًا مماثلًا بالنسبة للأداة في فيزياء الكم.

وثمة تعبير مهم عن مبدأ عدم التناقض ، هو أن الشيء نفسه في العلاقة نفسها لا يمكن أن يكون في الوقت نفسه له أو ليس له الصفة نفسها . وهذا المبدأ ليس متناقضًا مع التفسير «كلاهما – و» : «ألف» دافئ و«ألف» ليس دافئ تعنى أن «ألف» لديها وليس لديها صفة الدفء. وهذه العبارة تنتهك مبدأ الهوية! على أي حال، «أ» في علاقتها بباء باردة ، و «أ» في علاقتها بـ «جـ» دافئة» لا تفعل ذلك.

وإنه لجدير بالذكر ملاحظة أنه، داخل التفكير النسبي ، فإن مبدأ الهوية لا يمكن انتهاكه ، إلا إذا تم تقديم صفات سلبية ، مثل : «غير بارد» أو «غير دافئ». وصفات الغياب هذه لها حالة لافتة للنظر: فهي لا توجد! هناك أشياء دافئة وأشياء باردة، وأشياء ليست دافئة وأشياء ليست باردة،

ولكن لا أشياء غير دافئة أو غير باردة. ونحن نفقد القليل جدًّا بالتخلي عن صفات الغير . وبصدد التحدث بشكل صارم، فنحن لا نفقد أي شيء على الإطلاق.

ونظرية «كلاهما - و» التي تم إعادة بنائها تسمح بالواقع الحسي مع الحالة الصرفة لعلم الوجود. والصفات الثانوية، ومن الرتبة الثالثة، هي الوحيدة التي في متناول يدنا ، إذا تم تفسير الصفات الأولية ، كما هي مسردة في وصف العالم الميكانيكي ؛ أي العلاقات الرياضية المادية المثالية والمجردة (الطول، الانحناءات، الموجات .. إلخ.) مثل هذه الصفات المادية تحقق نوعًا واحدًا من الوجود المثالي ، ولكنها لا يمكن أن توجد مختبئة تحت شجرة أو شجيرة، أو أي مكان آخر.

ويحقق المجال النسبي، مثل المادة في الفيزياء الرياضية، مثل هذا الوجود المفاهيمي. النسبية لها قيمة في الفلسفة البيئية ؛ لأنها تجعل من السهل إضعاف الاعتقاد في كائنات أو أشخاص ، كشيء يمكن فصله عن بيئته. ويؤدي الحديث عن التفاعل بين الكائنات وبيئتها إلى ربط خاطئ، ككائن في تفاعل ؛ فالكائن والبيئة ليسوا شيئين. فإذا تم رفع فأر إلى الفراغ المطلق ، فإنه لن يصبح فأرًا . إن الكائنات تفترض البيئة مقدمًا .

وبالمثل، الفرد هو جزء من الطبيعة لدرجة أنه أو إنها أيضًا تكون رابطة نسبية داخل المجال الكلي ، وعملية التعرف هي عملية تتسع فيها العلاقات التي تحدد الرابطة لتشمل أكثر وأكثر. «الذات» الصغرى تنمو لتصبح «الذات الكبرى» (انظر الفصلين: الثالث والسابع).

ولكن لا يمكن أن ينقد التحليل السابق بشكل مباشر كلمات جاليليو: «كتاب الطبيعة مكتوب بلغة الرياضيات». وكهيكل، فإنه يمكن الوصول إلي الشبكة النسبية جزئيًّا أو كليًّا للوصف الرياضي ، وبالتالي الذاتي.

ولكن هذه الكلمات يجب ربما، حتى نعرف أكثر، أن يحل محلها «أحد كتب الطبيعة» أو «كتاب الطبيعة» ، أو «أن كتاب الطبيعة مكتوب بهذه اللغة...»

(ب) عالم المضامين الملموسة والثابتة :

باختصار .. فإن إجابة «كلاهما-و» يمكن أن تصاغ هكذا: ليست هناك أشياء منفصلة تماما ، لذلك فإنه ليست هناك ذات منفصلة أو وسيط. ولكن ما المضامين الفعلية للمجال النسبي؟ داخل هذا المجال، أي مضمون ملموس يمكن أن يرتبط واحد بواحد بهيكل لا يتجزأ، وبمجموعة من العوامل. إن المضامين الملموسة والهياكل المجردة تصنع الواقع كما هي في الحقيقة ، ومن المضلل تسميتها واقعية فقط كما يشعر بها الفرد.

وللمضامين الملموسة ارتباط فردي بالمجموعات- هناك تماثل في الشكل بين الملموس والمجرد. وعندما نقول إن البحر هو الآن رمادي، فإن ماء البحر هو فقط جزء من المجموعة. ورغم ذلك ، فهو بطريقة ما الجزء الغالب. ولا نقول إن الهواء بين البحر وبيننا رمادي ، أو أننا رماديون.للبحر آلاف من أشكال الألوان الفردية كصفات متأصلة، ولكن ليس كشيء منفصل. ويجب أن نأخذ في الاعتبار : لون السماء، ولون العوالق، والموجات وحواس الملاحظة ، وألوان البحر هي جزء من جشتالت لا تحصى.

وعلم الوجود الذي أرغب في الدفاع عنه ، هو الذي تكون صفاته الأولية (بمفهوم ضيق) خصائص .... للهياكل المجردة ، ولكن ليست مضامين للواقع. إن هندسة العالم ليست في العالم.

إن إجابة «كلاهما-و» ترفض بشدة، كما هي موضحة هنا، نظرية الإسقاط ، ليست هناك عملية إسقاط لصفات الحس. النظرية هي اختراع

بارع ؛ مما يجعل من الممكن الاحتفاظ بفكرة الأشياء في ذاتها ، والاحتفاظ بهويتها المنفصلة ، على الرغم من التنوع المذهل للصفات الثانوية وذات الرتبة الثالثة. ولكن ثمن هذه المحافظة لعلم الوجود لجاليليو مرتفع بشكل متباين: ليس هناك دليل أيًا كان لعملية إسقاط.

(6) الجشتالت والتفكير الجشتالتي :

«كل الأشياء تتعلق معًا»شعار جيد، ولكنه لا يحملنا بعيدًا ، إذا لم نشكل بعض الأفكار عن كيفية تعلق الأشياء معًا. ماذا عن «الأشياء» ، ربما يجب أن نبتعد عن بعض المفاهيم عن حالة «أشياء». في معالجتنا للصفات الثانوية وذات الرتبة الثالثة، أهملنا مهمة اقتراح طريقة فعالة لوصف كيف تتعلق معًا. وفيما يلي أقترح طريقة إدراك العالم ليس ككتلة من الأشياء أو كتلة من الصفات.

من خبرتنا التلقائية للواقع، ما نجرب هو تقريبًا شامل ومعقد. عندما نستمع إلى النغمات الأولى من قطعة موسيقية معروفة ومعقدة، نجد أن خبرة هذه النغمات القليلة تختلف جدًّا عن خبرتها ، إذا لم تستمع إلى القطعة أبدًا. في الحالة الأولى، يقال إن النغمات تناسب الجشتالت ، وفهمنا للقطعة ككل. وتؤثر الشخصية الأساسية للكل بشكل حاسم في خبراتنا بكل نغمة.

خذ مثال سوناتا بيتهوفن Pathetique باثيتيك، والتي بها ثلاث حركات : الليجرو واداجيو والليجرو. كثير من الناس يعرفون فقط الحركة الثانية ، وهذا هو الكل الأصلي في ذاته، وسوف تؤثر كل الحركة بشكل حاسم على خبرة كل نغمة ، ولكن عادة ما تختلف الخبرة إذا سمع الناس السوناتا بالكامل. والحركات هي كل تابع ، الجشتالت تابع كجزء من الواقع الموسيقي. قد تكون داخل الحركة مجموعات من الأنغام ،

تشكل كلًّا متناقضًا . لذلك ، فنحن لدينا عالم معقد من الجشتالت ، في تسلسل هرمي ضخم ، فنستطيع إذًا أن نتحدث عن الجشتالت السفلى والعلوي. وهذه المصطلحات أكثر فائدة من التحدث عن الكل والكلية ؛ لأنها تحث الناس على التفكير بقوة أكثر بشأن العلاقة بين الكل والأجزاء .. إنها تسهل التحرر من الاتجاهات القوية الذرية والميكانيكية في التفكير التحليلي.

تاريخيًّا، بدأ البحث البيئي في علم نفس الإدراك، وليس علم الوجود ومدركات الواقع. ونجد أنه من المعروف جيدا تلك البيئات البصرية الغامضة التي تسبب الإدراك المتذبذب للصور؛ فأنت ترى وجهًا، ثم بعد ثوان ترى وجهًا مختلفًا، وتتعلم بسرعة أن تتحول للخلف والأمام.

وعند دخول غرفة، قد تكون هناك خبرة تلقائية بها ككل ، حتى مع لون قوي محدد سواء أكان سلبيًّا أم إيجابيًّا. وداخل الغرفة، خبرة تابع الكل – مثل ترتيب الكراسي حول المدفأة – قد تغير خبرة الغرفة بشكل حاسم، على سبيل المثال من نوع محدد من الجشتالت السلبية إلى نوع محدد من الجشتالت الإيجابية. إذًا ، فإنه داخل التسلسل الهرمي البيئي، قد يتجه التأثير في أي اتجاه، أعلى وأسفل التسلسل الهرمي ، أو بشكل أفقي داخل مستوى واحد.

جشتالت القطعة الموسيقية المعقدة هي تابعة لخبرة هذه القطعة في موقف معين ، وقد تعزف القطعة الموسيقية في الهواء الطلق أو في بيت جميل أو قبيح. وإذا كان لديك رفيق معين .. فإن علاقتنا بالرفيق في هذا الموقف تؤثر على خبرة الموسيقى ، ولا يمكن لجزء من الخبرة أن يوجد منفردًا.

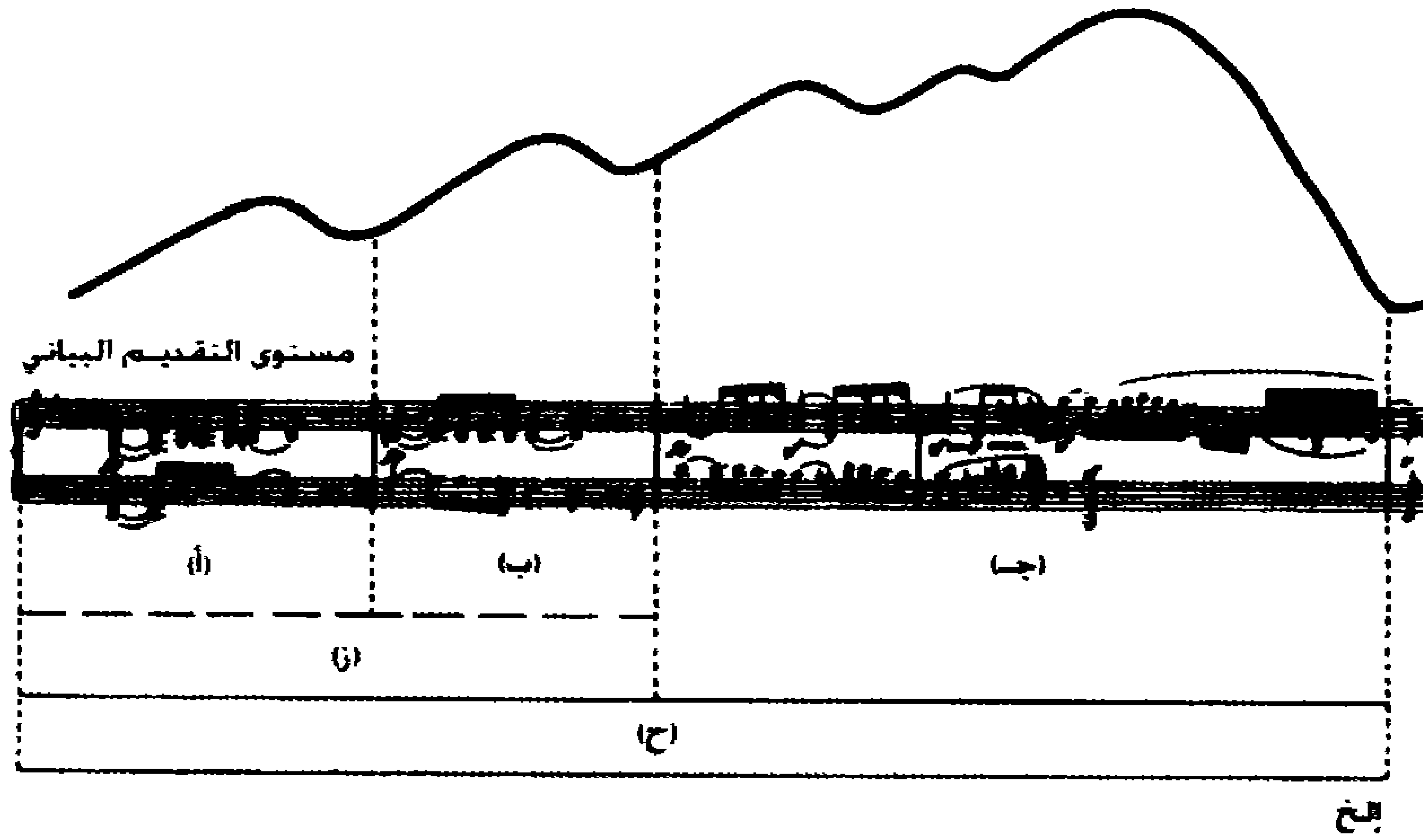
وبالطريقة نفسها ، فإن الجشتالت الزهرة – بكل أجزائها معًا – يتأثر بنظام جشتالت مرتفع يتضمن البيئة المحيطة ؛ إذ وجد نبات طوله 30 سم

مع نبات طوله 5 سم ذي أزهار كبيرة نسبيًّا، فإنك تشعر أن الأول صغير وأن الثاني كبير، بسبب الجشتالت المكون من خلال الخبرة ، والمعرفة بالنوعين ، ومتوسط حجميهما.

ومن أكثر الشعارات المعروفة في فلسفة الجشتالت أن «الكل أكبر من مجموع أجزائه».. إنه شعار جيد مقابل النماذج الميكانيكية، ولكنه لا يشير إلى أن انصهار شخصية الكل في كل جزء واحد ؛ فإدراك جزء على سبيل المثال من قطعة موسيقية كأكثر من جزء يستمد على معناه من الكل ، كما لو كان يمكن أن يوجد الكل بمفرده .. الكل والجزء مرتبطان داخليا ، ولا يقبل التفكير الجشتالتى العام وعلم البيئة هذا الشعار، وكذلك أيضا شعار «الكل في الجزء». هذه الجملة ذات معلومة من حيث كونها توحي به أنه لا يمكنك أن تحصل على الكل كشيء ، أو كشيء يمكن أن يظهر عن طريق كل ثانوي.

ونقصد «بجزء» fragment شيئًا يمكن فهمه بسهولة كجزء من جشتالت أكبر .. قد تشير حبة الرمل بشكل مباشر إلى الشاطئ ، ولكن بالطبع هذه الذرة يمكن فحصها ، وسيتم اختبارها كشكل محدد وأنماط محددة من الألوان ، وسيتم اكتشافها كعالم صغير ، يمدنا بفرص لا نهائية من الاكتشافات. إذن حتى ولو كان ذلك شيئًا صغيرًا جدًّا ، فإنه يمكن أن تكون له صفة جشتالتية . كل شيء في الطبيعة، كالطبيعة، له هذه القدرة أو القوة.

والجشتالت السمعية والبصرية متصلة بالجشتالت ذات المرتبة الأعلى. ثلاث هضاب أو ثلاثة جبال تظلل السماء.. مثلًا المنخفض على اليسار، والتالي في الانخفاض في الوسط ، والأعلى إلى اليمين بطريقة نحصل بها على خط مقوس مرتفع ، يعطي ارتفاعًا مباشرًا والجشتالت مماثلة كالمقدمة في الارتفاعات الثلاثة الأولى في سوناتا بيتهوفن پاسيتيك (انظر الشكل 1-2).



(شكل 1-2) : الفهم الجشتالتى لقطعة موسيقى (سوناتا بيتهوفن باسيتيك. الفكرة الأولى «أ» يتم التأكيد عليها عن طريق إعادتها، «ب» كجشتالت «أ» فهما معًا يكونان الجزء الأول من العبارة الأولى من السوناتا. إضافة ذروة ونهاية للعبارة «جـ» يكمل العبارة ، والتي هي من مرتبة الجشتالت العالية «ب». وبطريقة مماثلة ، فإن الأقسام المتنوعة السوناتا باسيتيك بالكامل يمكن فهمها فقط ، بوعي كامل ، بمشاركتها في تتابعات الجشتالت.

إن الخط يرتفع لأنه يتضمن تصورًا للحركة ، تتحرك فيه الرأس والعيون بشكل أكثر طبيعية من اليسار إلى اليمين ، ومن المنخفض إلى المرتفع. وتمتزج طبقة النغمة والقوة أيضا في الجشتالت، ولكنها تبقى جشتالت حسيًّا وإدراكيًّا. الخط المرسوم في الشكل والمنحنى عند حافة الصفحة يعنى ارتفاعا ؛ ربما بسبب وضع الصفحة أمامنا. ونحن نتحدث على سبيل المثال عن «قمة الصفحة» ، وتعني سماكة الخطوط الجشتالت القوة، وغالبا ما تسمى الخطوط الرفيعة بالخطوط الضعيفة. ويوضح مثال «الموسيقى والهضاب أن المرتبة العالية الجشتالت يمكن أن تتضمن «أشياء»ليس لها علاقة ببعضها بشكل تقليدي، ولكنها أجزاء أصلية من واقع مشترك .. هذا هو المشترك بين الضباب والموسيقى ، فيما عدا الإيقاع

والشكل؟ وماذا عن المضمون؟ هل يتوافق المصطلح «النمو»مع مضمون ملمـوس ذي طـابع جـشتالتي ، أو أنـه فقـط يـزود أدوات معنويـة في تفكيرنا؟

لقد تم كتابة كتاب كامل عن الجـشتالت الخـط ، ولـذا فإنـه ذو قيمـة رمزية: پول كيليه، *العين المفكرة* (1961). عندما يتركـب الجـشتالت عـلى الأقل من عنصرين في وحدة أعلى (أكثر شمولا) ، فإن عنـصرًا واحـدًا – على الأقل – هو من المنطقـة الحـسية ، وعـلى الأقـل عنـصرًا مـن المنطقـة المعيارية و/ أو الجازمة. سوف أسميها الجشتالت بالإدراك الترابطي ، وفي الصناعة القديمة تصبح من مشاركة العمل إلى تفتيت العمل ، وهذا يعنى انحدارًا في الجشتالت العليا، الأشياء ذات المغـزى، والأغـراض- الطبقـة المهمة الجشتالت في الإدراك الترابطي.

عندما لا يكون انتباه الفرد مركزًا بتعمد على الجشتالت الإدراك ، فـإن كـل الخـبرة تكـون ترابطيـة ، وتكـون وحـداتها هـى جـشتالت الإدراك الترابطي، وليست عناصر حسية، أو عناصر فكرية. الفرق بـين «حقـائق» و «قيم» يظهر فقط من الجشتالت من خلال نشاط التفكير المجرد ، وهـذه التفرقة مفيدة، ولكن ليس عندما يكون القصد هو وصـف العـالم المبـاشر الذي نعيش فيه، عـالم الجـشتالت، والواقـع الـذي نعيـشه، وهـو الواقـع الوحيد الذي نعرفه.

ويسهل تحطيم الجشتالت ذات الطبيعة المعقدة جـدًا بتحليـل أجزائهـا بشكل واعٍ ، وهي حساسة جدًا لتأملات الذات ، ويندر تعلمها بأسلوب عادي. يستطيع بعض الناس التفرقة بين أجناس من الطيور ، وهى طائرة على مسافات كبيرة بتأكد كبير ، حتى في الضوء المعتم. وثبت أن محاولات صياغة الخصائص بدقة (التي هي المكونات الفرديـة الجـشتالت الإدراك)

غير مجدية، ومع ذلك، يمكن أن تقلل من قدرة الفرد على التفرقة بين الأجناس ، تحت ظروف صعبة (لورينز، 1959). ويجب أن نتوقع أن تطبيق سلوكيات الملاحظة العلمية على ميادين أكبر وأوسع سيقلل من قدرات الجشتالت ، إذا لم يتم تقديم قوى مضادة في مستوى دراسي مبكر.

وتربط الجشتالت الأنا معًا وليس أنا في كل ؛ فالابتهاج يصبح، ليس ابتهاجي أنا، ولكن شيئًا مبهجًا ، ذلك الذي أكون فيه أنا ، وثمة شيء آخر أجزاء متبادلة وغير منفصلة. «شجرة البتولا ابتسمت/ مع الابتسامة السهلة لكل شجر البتولا... »الجشتالت هو خلق الذي يمكن أن يقسم بشكل غير كامل ؛ ليعطي الأنا التي تضفى الضحك على شجرة غير ضاحكة.

يؤدي تمجيد الفكر «العلمي» التقليدي إلى السخرية من هذا الإبداع .. إنها تمزق الجشتالت إربًا.

ويجب أن تستخدم علوم الكم الطبيعية نماذج للسمات المنفردة للواقع ، فذلك يتداخل مع مفهوم الجشتالت للطبيعة ؛ حيث إنها مكونة من الحياة اليومية. ولكن ما يسمى بالتفكير الأسطوري هو تفكير الجشتالتى ، فاللغة تتطابق مع الجشتالت المشترك لثقافة ما .. هذا هو أصل الكلمات وتعبيرات وحدات الجشتالت ، التي تضم مكونات واسعة التنوع.

يخبرنا سكان الشيربا أن جبلهم الكبير يدعى «تسرينجما». وقد نظن أن «تسرينجما» مفهوم جغرافي. ولكن عندما نعرف أن «تسرينجما» هي أيضا اسم أميرة بيضاء ، وأيضًا «أم الحياة الطويلة»، فإننا نعتقد أننا قد اكتشفنا غموضًا ولكن ليس هذا كذلك ؛ فالكلمة مذكورة بوضوح لتكون اسمًا للشيء نفسه في الحالتين. (وهي أسماء مختلفة للخصائص الجغرافية لثقافتنا الخاصة) ، فالوحدة يقال إنها تكون «أسطورية» ، وكان التفكير

الأسطوري يتميز بالتناقض الذاتي بالنسبة للصغير ليڤي برهل (وقد شجب هذا الأخير هذا الرأي) وباحثين آخرين في عرف أوجست كومتي. لقد لاحظ شخص ما أن الحجر الذي يعتبر بالنسبة لعالم انثروبولوجي أوروبي هو ببساطة حجر صلب، كان أيضًا، روحًا، شيء غير صلب .. ولقد اعتبر ذلك استحالة منطقية! إذا افترضنا أن إعطاء الاسم هو مطابق مع وحدة الجشتالت، فإن التفكير الأسطوري يصبح مدركًا بشكل أكثر ، وإذا كانت الجشتالت، وليس أجزاؤه يتم التعرف عليها كمضامين للواقع، فإن التفكير الأسطوري إذًا يميز مضامين غير متاحة بشكل كبير في ثقافتنا. وهذا النمط من التعريف (انظر الفصل السابع) يكون جوهريًا في علم الوجود للفلسفة البيئية T ، وغالبًا لم يحقق علماء الأنثروبولوجي الأوربيون خبرة الجشتالت المشترك للثقافات الأجنبية. كان السكان الوطنيون منطقيين، وكان التفكير الجشتالتى هو مفتاح الاتصال المهم بين الثقافات المتباينة ، والتدهور الشفهي للجشتالت («الحجر هو حجر!») يعنى تدهور الثقافة .. هذا أيضًا صحيح بالنسبة لثقافتنا الخاصة.

في الثقافات غير البدوية، خصوصًا الزراعية ، يكون الإحساس الجغرافي بالانتماء حيويًا ؛ خاصة الغرف، وداخل الغرف ، والسلالم، وفناء المزرعة، والحدائق والأشجار القريبة، والشجيرات .. كل هذه الأشياء تصبح، ككل بشكل غير واعٍ ، جزءًا مما هو ملكنا.. تصبح نوعًا قويًا من الجشتالت ، والعلاقات الجغرافية هي ذات أهمية كبيرة في تقييمه أو تحضيره وتصميمه وتحوله النافذ للشخصية.

عندما ينمو طفل، فإن الجشتالت ذات الرتبة العالية للمنزل تتغير تدريجيًا. وثمة أشياء معينة كانت تشكل تهديدًا لا تصبح كذلك ؛ إذ أصبح الفرد أكبر وأقوى. كما أصبحت بعض الأشياء التي كانت أكثر بعدًا

أو رمزية تتحرك بشكل أكثر قربًا بسبب تحسين القدرة على عبور المسافات. والجوهر الذي يتبقى يشكل شخصية الانتماء، بكونه في المنزل ، هو تنوع جشتالتى منسوج مع قيمة رمزية فعالة جدًّا: « أ » لديها القيمة الرمزية «ب» عندما تكون « أ » ممثلة لــ «ب» في الخبرة الإدراكية ، (الصيغة القديمة «*aliquid stat pro aliquo*») . يجب التفرقة بين الوظيفة الرمزية والوظيفة الإشارية، حيث « أ » يمكن أن تكون إشارة لــ «ب» دون الامتزاج في الجشتالت . وعلى الجانب الآخر ، فإن « أ » يكون لديه وظيفة رمزية في العلاقة بـ «ب» ، ولكن هذا فقط إذا تم خلق جشتالت يتضمن كلًّا من «أ» و«ب» . الضوء الأحمر يجعلنا نتوقف، ويمكن أن ننمي جشتالت يجعله رمزًا للتوقف، ولكن الأكثر احتمالًا، أنه يستمر في أن يكون ارتباطًا خارجيًّا، إشارة للتوقف. في الترميز «ب» من خلال «أ».. « أ » و«ب» مرتبطان معًا بعلاقة داخلية ، وليس علاقة خارجية فقط.

قد يبدو أن وصف محيط المنزل باستخدام الوصف التقييمي كجميل، وجيد، وممل، وآمن ومألوف .. إلخ ، مصطنعًا بالنسبة لأناس لم يبتعدوا لفترة طويلة ؛ حيث يتضمن محيط الجشتالت نفسه تقييمات ، ويبدو الوصف المحايد الذي أعطى الاسم أكثر صحة. وهذه النقطة مهمة ؛ لأنها إلى حد ما تفسر لماذا لا يجد الكثير – ممن يتكيفون معه ويعيشون في موقع معين – أنه من الطبيعي أن يمدحوا الطبيعة أو البيئة. وهنا يوجد مقدار من الحشو في الكلام : الجمال يكون «في الداخل»، ولا يوجد أو يتم التحدث عنه.

ماذا يتبقى من هيمنتنا؟ عندما نذهب إلى الطبيعة، فإننا غالبا ما نسمع أن «المرء يمكن أن يكون نفسه»، ويبدو أن هذا يعنى أن المرء لا تضغط عليه الطبيعة، وأنه «يُترك يعيش فى سلام». بالطبع .. فإن ذلك يشكل

تحديًا ، ويمثل مشكلة تحتاج إلى حل، ولكن هناك عنصرًا تطوعيًّا في الارتباط ، الذي لا يعتبر سمة جوهرية للمحيط الاجتماعي.

يمكن في المناطق الصخرية المنزلقة ، في النرويج ، دراسة الحدود بين العلاقات التي تكون فيها الطبيعة ملحة، ومقيدة ومهددة ، وتلك التي تكون فيها متحررة ومتسعة ،ومحققة للذت. «هل يجب أن نتحرك ، أم يجب أن نبقى هنا حيث ننتمي، بالمنزل؟» المنزل كقيمة إيجابية، مكان ذو قيمة مضافة يمكن تحديده هنا جزئيًّا كالعلاقة مع الطبيعة ، وعلاقة الصخور المنحدرة تولد ضغطًا وتكون بالطبع سلبية. ويعنى الانتقال من المنطقة المنحدرة فقدان جزء ممكن تقديره من الذات- فقدان الجشتالت الذي يتضمن «جذور الفرد»، و«الأشياء المحيطة بي»، و«الأشياء المحيطة بنا».ويجب أن يبنى الجشتالت الجديد على الموقع الجديد، ولكن بعد سنوات التطور يكون من المستحيل خلق الجشتالت والرموز الأكثر جوهرية ، ويبقى الفرد غريبًا تجاه نفسه أو في نفسه؛ أو يحتفظ بالارتباطات القديمة، وبذا تنتمي إلى مكان آخر أي مهاجر.

هذه الرموز والعلاقات الجشتالتية مهمة ؛ لأنها تتعلق بالثمن الاجتماعي للمركزية، والتحضر، وبكفاءة أكبر، والقدرة المتزايدة على الحركة. ومن الأسهل أخذ هذه العلاقات في الاعتبار في المرحلة الأولى من مراحل السياسة البيئية، المسئولة عن أخذه في الاعتبار في سياسة للنمو المادي المستمر ؛ لأن الأول ،المجتمع المحلي، هو نقطة البداية للتداول السياسي.

إن الدرجة المرتفعة من «اللا معنى» الذي يشعر به الذين أبلوا بلاء حسنًا يرجع جزئيًّا إلى عدم المبالاة بالرموز ، ويميل الذين نجحوا طبقًا للمعايير المعتادة إلى اعتبار كل شيء كوسيلة. في هذا الموقف ، أعتقد أن

العلاج يجب أن يكون - إلى حد كبير - علاجًا بيئيًّا وعلاجًا طبيعيًّا ، وأن البيئة السليمة لديها مصادر مجهولة لحياة جيدة وذات معني. إن مفهوم الطبيعة المناسب هنا يعنى أن الطبيعة ليست شيئًا ، يستخدم فقط كوسيلة لذلك الهدف أو لأي هدف آخر .. إنها شيء مستقل يتطلب انتباهنا الكامل ، ويأخذ علم النفس البيئي والطب النفسي ذلك بجدية.

و«النظر فقط إلى الطبيعة» هو سلوك متميز. والخبرة بالبيئة تحدث عن طريق فعل شيء فيها، والعيش فيها، والتأمل والعمل. ولا يمكن أن نقصر المفاهيم الفعلية للطبيعة والبيئة على طريقة الفلسفة البيئية ، دون الإشارة إلى التفاعل بين العناصر التي نعمل بها ، وينظر سپنيوزا إلى المعرفة كتصرفات معرفية للفهم/ الحب.

والصياغة الجشتالتية تعبر الحدود بين ما يصنف بطريقة تقليدية كتفكير، كشيء منفصل عن العاطفة. وتميل الصفات ذات الرتبة الثالثة إلى أن تكون منفصلة عن الجشتالت ، ويشار إليها فقط بالعواطف الذاتية ، وللتغلب على هذا الحكم المتحيز نتائج عميقة بالنسبة للبيئة.

(7) العاطفة، والقيمة، والواقع :

غالبا ما يتم تفسير فعالية الحركة البيئية على أنها غير عقلانية، كمجرد رد فعل عاطفي للمجتمع الغربي الحديث. ويتم تجاهل أن الواقع - كخبرة مكتسبة بشكل تلقائي - يمزج العاطفي والعقلاني في كل لا يتجزأ؛ أي الجشتالت ، وغالبا ما يقال إن التقييم ليس أكثر من التعبير عن اتصال عاطفي إيجابي لشيء ما.

وليس فقط في الأدب التكنولوجي يكتشف الفرد تحذيرات ضد التأكيد العاطفي (خصوصًا من النوع الديني) داخل الحركة البيئية ، ويحذر بعض علماء البيئة من «العاطفية الدينية» أو «التواضع الديني في

وجه الطبيعة» (واطسون، 1985). ولكن أثبتت الخبرة أن هذا التواضع منسجم مع الرصانة العلمية، ويمكن أن يحرك الحافز الديني على المستوى العميق رد فعل عالمي: كان حافز راتشل كارسون في كتابه «الربيع الصامت» جزئيًا شعورًا من التواضع العميق. والتواضع، «القطرة من ينبوع الحياة» لا ينبغي لها أن تغير دون تفكير هذا الينبوع.

في مناقشة لتفكير القيمة، نجد أنه من الضروري توضيح العلاقة بين المشاعر التلقائية، وتعبيراتها من خلال أصواتنا المتذبذبة، وعبارات القيمة أو إعلان القواعد التي تحركها المشاعر القوية، ولكن لديها وظيفة إدراكية واضحة .. إنه مما يدعو للإغراء وصفها كنتيجة للتعامي عن القيمة، عندما تصاغ شكاوى عن تعبير المشاعر في صراعات بيئية. بالطبع .. فإن انفجار المشاعر ليس من المجادلة في شيء، ولكنه دليل على أن هناك شيئًا ما نشعر أنه حاسم. من أمثلة عبارات المشاعر: «من الجيد أن أكون هنا»، «.... هو صديق حقيقي لي»، «المبني مهدد، وبارد، وصلب»

في هذه العبارات، ترتبط المشاعر ارتباطًا وثيقًا بالقصد، فقد يكون الكاتب مخطئًا. «جو خاص في هذا التوقيت أثر على عبارتي» «إنه من الجيد أن أكون هنا». «....بالكاد يمكن أن يسمى صديقًا - لقد أثبت ذلك بالأمس» « فقط يمكن أن يوحي الانطباع السريع الأول بالبرود لقد كنت مخطئا» إذا كانت الجمل هي فقط تقريرًا عن المشاعر، فإنه لا يمكن للكتاب أن يستنتجوا فيما بعد أنهم كانوا مخطئين.

يضم مضمون التفكير للعبارة مضمونًا توكيديًا، ومن المفيد توضيح الأخير عن طريق البحث عن أخطاء ممكنة. ومن الطبيعي أن هذا الأسلوب لا يصلح عندما يشعر أن العبارة صحيحة بشكل لا يمكن إنكاره. وباختصار .. فإن عبارات القيمة عادة ما تكون مكونة من مشاعر إيجابية أو سلبية، ويكون من الهراء طلب المحايدة.

وإنه من الصحيح أن انطلاق هذه المشاعر لا يقدم دليلًا مناسبا لنظام القيمة الخاص بالفرد. وفي الصراعات البيئية، على سبيل المثال، لا يكون التعبير عن حب الطبيعة كافيًا. ما يهم، أو بالأحرى ما يجب أن يهم هي المعايير وصفات القيمة المعبر عنها بشكل عملي في الصراع . وفى تأييد لمشروع سيء للكهرباء المائية في المنطقة القطبية في النرويج، قال رئيس البرلمان النرويجي إنه يحب الطبيعة مثلما يحبها المعارضة، ولكن الموضوع هو موضوع أولويات ، وفى العمل تأتى السياسات ثم الحب.

ولا تكون ردود الفعل التلقائية الإيجابية أو السلبية غالبًا أكثر من التعبير عما يحبه المرء أو يكره ، ونقاط استشراق القيمة هي انعكاسات فيما يتعلق بردود الأفعال هذه: «هل أحب أن أحبها؟»ونحصل على تقسيم ذي أربع اتجاهات: تقييم ايجابي- الفرد يحب أنه يحب، أو يحب أنه يكره؛ تقييم سلبي- الفرد يكره أنه يحب، أو يكره أنه يكره.

لذلك .. فإنه غير مجاز أن نطالب بإقصاء المشاعر عند أي مناقشة محايدة. وإذا أردنا أن يستمر نقاش متعمق .. فإن هذه المشاعر يجب أن توضح، وتصبح جلية حسب الحاجة. ويجب أن تفصل المكونات المحددة الشخصية والخصوصية جانبًا ، إذا كان النقاش مرتبطًا بشكل أو بآخر بالمعايير العامة.وإذا رفضنا أي عبارة توكيدية أو تقييمية لأنها ذات محتوي عاطفي شديد ، فإننا بهذا نكون قد فقدنا نقطة المناقشة. ولتجنب هذا ، على المهتمين بالبيئة أن يقوموا بالتمرين على التعبير بوضوح عن القيم والمعايير ، فقم بصياغة تعبيرات قوية وواضحة للقيمة والمعايير ، التي لا يستطيع المعارض التغاضي عنها!

(8) من العاطفة إلى التقييم :

حيث إن الغرض الرئيسي من هذا العمل هو ربط المقدمات الفلسفية والتقديرية بالمظاهر الراسخة للمشكلات البيئية ؛ لذا سوف ألفت الانتباه

إلى هذا السؤال الأكاديمي التالي : هل من المناسب القول بأن الصفات التي تعبر عن المشاعر يمكن أن تطبق على الأشياء نفسها، أو هل يمكن لهذه الصفات فقط أن تميز الفرد الذي يشعر بها؟ سوف أصف كيف يتم تناول هذا المنهج داخل الفلسفة البيئية T.

«انظر إلى هذه الشجرة المرتفعة والمظلمة والمعتمة»نحن نضطلع بكثير ، إذا وضعنا الظلام أو العتامة في وعي الفرد أو عقله، بينما نسمح لصفة الارتفاع أن يكون صفه خاصة بالشجرة. وللصفات ذات الرتبة الثالثة لأشياء حالة خاصة بعلم الوجود ، نقوم بالتعبير عنها بشكل أفضل العلاقات المعقدة ، فهذه تحدث بين صفات الشيء المعقد والمجال. وفي المنطق الرمزي، عتمة الشجرة S برمز العلاقة ع (أ ، ب ، جـ ، د ،...) حيث «أ» يمكن أن يكون موقعًا على خريطة، و«ب» موقع المشاهد، و«جـ» الحالة العاطفية للشخص، و«د» الكفاءة اللغوية للواصف. هناك عدد هائل من المتغيرات مقارنة بالارتفاع التقني، h (P,Q) ؛حيث P هو عدد وحدات الارتفاع، و Q نوع الوحدة.

ولا يجب أن تظهر الذاتية في أي من S أو H، إذا كنت قادرًا على تحديد السياق الصحيح ، الذي تظهر فيها الصفة.

فالعتامة لا توجد في«داخل» وعينا مثلها مثل ارتفاع الشجرة ، وقد تم تمثيل هذا الموقف داخل علم النفس منذ عهد وليام چيمس .. الوعي ليس نوعًا من مخزن للصفات ذات الرتبة الثالثة! أما فيما يختص بالعقل ، فإنه استخدام غير ملائم للميكروسكوب الإلكتروني المكلف بالبحث عن العتامة في العقل. والصفات يمكن اكتشافها في مكان آخر - في الأشجار، مع الأخذ في الاعتبار شبكة الاتصال.

وتؤدي مماثلة الصفات الأولية مع تلك الأشياء نفسها إلى مفهوم للطبيعة ، دون أي من الصفات التي نجربها بتلقائية. الآن، ليس هناك سبب جيد يمنعنا من أن ننظر إلى هذه الطبيعة المجردة كمصدر فقط، وقيمة مساعدة لكسب خبراتنا. وتعتمد كل مناشدة لإنقاذ أجزاء من الطبيعة بالرجوع للصفات الحسية من أي نوع تصبح دون مغزى ، وتتضمن كل مناشدة عاطفية مشاعر عميقة، والتعاطف حتى التماثل مع الظواهر الطبيعية يجب أن يستبعد لكونه غير مناسب ، ويتم تضييق مجال الحقائق الواقعية ليصبح فيزياء رياضية مفسرة ميكانيكيًّا.

لكن هذا ليس هو الحال بالنسبة للعالم الذي يتم اختباره كمجموعة من المضامين الملموسة والمفسرة من خلال هياكل مجردة .. عندما يستغرق المرء في تأمل شيء ملموس وطبيعي ، فإنه ليست هناك علاقة الفاعل- المفعول. ولا أيضًا عند الاستغراق في العمل النشط، سواء في الحركة أم لا. ليس هناك أنا معرفية تمتد لرؤية أو فهم شجرة أو خصم في قتال، أو مشكلة قرار ، والشجرة كما يتم اختبارها بشكل تلقائي هي دائمًا جزء من المجموع الكلي، وجشتالت. وقد يكشف التحليل مكونات هيكلية كثيرة، أحيانا ما تكون علاقة أنا وأحيانا لا. والجشتالت هو الكل، هو القرار لذاتي والمعتمد على الذات ، وإذا أسميناه «خبرة الجشتالت »، فإننا نكون قد أخطأنا واتجهنا تجاه الذاتية.

عندما نصف مجموعة من العلاقات الجشتالتية .. فإنه من المهم ألا ندع الضغط المعتاد على التفرقة المعرفية بين الفاعل- المفعول يسيطر على التعبير ، وقد يكون هناك، وفي الخبرة التلقائية ، أو لا يكون أي مكون يتطابق مع التفرقة.

وتكشف المواجهات بين المنادين بالتطور والمنادين بالمحافظة على الموارد الطبيعية عن صعوبات في ممارسة ما هو حقيقي. إن ما يراه

المحافظون على الطبيعة ويمارسونه كواقع، لا يراه المنادون بالتطور على نحو نموذجي- والعكس صحيح. فيرى المحافظ على الطبيعة ويتعايش مع الغابة كوحدة، وجشتالت، وعندما يتحدث عن قلب الغابة، فإنه لا يتحدث عن المركز الهندسي ، والمنادى بالتطور يرى كميات من الأشجار، ويجادل أن الطريق خلال الغابة يغطي كيلومترات مربعة قليلة جدًّا مقارنة بالمنطقة الكلية للأشجار، إذًا فلماذا يقوم بكل هذه الجلبة؟ فإذا أصر المحافظ، أنه يقترح ألا يلمس الطريق مركز الغابة ، وقد يظن أنه قد تم بذلك إنقاذ القلب. الفرق بين المعارضين هو خاص بعلم الوجود أكثر منه بالأخلاق ، وقد تكون لديهم فروض أخلاقية جوهرية مشتركة ولكنهم يطبقونها بشكل مختلف ؛ لأنهم يرون ويمارسون الواقع بشكل مختلف جدًّا ، وكلاهما يستخدم مصطلحًا واحدًا ، وهو «الغابة» ، ولكن كل منهما يعني به شيء مختلف.

وجشتالت «قلب الغابة»و «حياة النهر» و «هدوء البحيرة» هي أجزاء جوهرية من الواقع بالنسبة للمحافظ على الطبيعة. وبالنسبة أيضًا للمحافظ، ويبدو أن المنادى بالتطور يعاني من عمى راديكالي ، ولكن أخلاق الفرد في الموضوعات البيئية تعتمد - بشكل كبير - على كيفية رؤية الفرد للواقع. إذا استطاع المنادى بالتطور أن يرى الكليات، فإن أخلاقياته قد تتغير. ولا توجد وسيلة لجعله شغوفًا بإنقاذ غابة ، طالما أنه يحتفظ بمفهومه عنها كمجرد مجموعة من الأشجار ، واتهامه بأن المحافظ مدفوع بالمشاعر الذاتية ، يعتمد أساسًا على رأيه في الواقع. وهو يعتبر مشاعره الإيجابية الخاصة تجاه التنمية تعتمد على الواقع الموضوعي، وليس على المشاعر ، وحيث إن المجتمع يقوده المنادون بالتطور بشكل كبير، فليس هناك حاجة إلى أن تكون تعبيراتهم عاطفية .. إنها الأقليات

المكافحة، التي تميل إلى أن تكون عاطفية بخلاف الذين يتبعون التيار الرئيسي.

ومن المهم، على ما أعتقد في الفلسفة البيئية التحرك من الأخلاق لعلم الوجود والعودة ، وقد تسهم توضيحات الفروق في علم الوجود بشكل كبير ، في توضيحات السياسات المختلفة وقواعدها الأخلاقية.

في التحليل الذي يبدأ بالمضامين الملموسة، فإن التقسيم الثنائي :يكون - بتعين الحقيقة -لقيمة لا تبدو كما كانت تبدو حيث بدأ هيوم، أساسًا كتأكيدات واقعية وقيمية ، والتعبيرات ذات المضامين الثابتة هي دلالات وليست جملًا تقريرية.

تؤدي التعبيرات من النوع الشيء x له قيمة y مباشرة إلى السؤال: إذا كان لدينا شيء x ، فكيف نقيم قيمته y ؟ إذا بدأنا بدلالات مضامين ثابتة، على سبيل المثال «الطماطم اللذيذة الحمراء تؤكل في الحال» أو «الطماطم الكريهة العفنة» المصطلحات التقويمية موجودة منذ بداية تحليلنا ، وليست هناك طماطم منفصلة تخضع للتقييم!

يقول ج. بيرد كاليكوت (1982) أن علم الوجود يغير قيمنا عن طريق تغيير مفاهيمنا عن العالم وعن أنفسنا في علاقتنا بالعالم ، وهي تكشف علاقات جديدة بين الأشياء ، والتي بمجرد أن تكشف، تحرك مراكزنا القديمة للمشاعر الأخلاقية.» (ص 174) والتحريك هو جزء من جشتالت، ولا يجب أن ينفصل عن «الأشياء» ، وما فعلته هو محاولة توضيح ما نوع التغيير في مفهوم العالم ، وحالة الشيء موضوع السؤال.

وبين مفردات العالم المدركة كمضامين في شكل جشتالت ، هناك علاقات هيكلية داخلية، ولكنها لا تضيف إلى مجموعة المضامين. ونحن

لنا الحرية في أن نضع لها علاقة ذات مفاهيم بطرق مختلفة. ومفهوم النظام البيئي يستخدم لوصف هياكل مجردة، وحركة البيئة العميقة هي - إلى حد ما - معنية بالهياكل المجردة. وأهمية اعتبارات الهياكل المجردة لا يمكن أن نغالي في تقديرها، ولكن مثل الخرائط، فإن وظيفتها ليست الإضافة إلى الإقليم، أي المضامين، ولكن جعلها مرئية أكثر ؛ فكل الأرض ليست الأرض بالإضافة إلى خرائطها.

لذلك .. فإن الانتقال من العاطفة للتقييم ليس حركة فعلية بشكل كبير، ولكن مجرد انتقال في التأكيد الذي يعتمد على قبول الشعور كحافز رئيسي لآرائنا المختلفة والفعلية للعالم ، ولا يبقى إلا البحث عن نوع المشاعر ، التي يمكن أن نقبلها «كنجوم» هادية لتبرير أعمالنا، وكيف ندرك هذه الأضواء في نظام متماسك، يوضح ويفسر معتقداتنا بحيث يترجمها إلى عمل.

الفصل الثالث

الحقيقة والقيمة ؛ معايير أساسية

(1) أعلن بقوة عن أولوياتك للقيمة :

تتصور حركة البيئة العميقة تحولا في الاتجاهات الأساسية من النموذج السائد في المجتمعات الصناعية المتقدمة. ويجب مقارنة المعايير والقيم مرة بعد أخرى ،ولكن ليس مع أي فلسفة واضحة تبرر النموذج السائد (الذي لا يبدو أن له وجودًا) وإنما مع ممارستها.

لذلك، فإننا نحتاج إلى توضيح لمعاييرنا وقيمنا ، التي تتطابق مع تحول الاتجاهات الأساسية ، وذلك يتطلب التنظيم التجريبي لهذه المعايير والقيم. هذه هي الخلفية النظرية التي تعد لهذا الفصل ؛ حيث ستتم مناقشة الموضوعات الفلسفية الصعبة، آخذين في الاعتبار أهميتها للنقاش البيئي العملي. وسوف أناقش الموضوعات نفسها بطرق مختلفة ؛ لأننا وجدنا أن القراء ذوي الخلفيات المختلفة يحتاجون إلى مناهج مختلفة للموضوعات نفسها .

«ليس كل شيء يمكن إثباته – فكرة قديمة» لقد كان أرسطو أول من أكد هذا ، ويجب أن يبدأ خيط الإثباتات في أي مناسبة محددة من مكان ما. والروابط الأولي غير المثبتة في هذه السلاسل من البراهين تسمى «بديهيات» أو «مسلمات»، وتلك التي يتم إثباتها عن طريق هذه المسلمات

تسمى «نظريات». ويظهر تاريخ الرياضيات والمنطق اختلافًا في الأنظمة، ولكنها كلها لديها نقطة بدء لا تخترق ما بعدها ، ولها أيضا قواعد، بعضها مستنتج من قواعد أخرى، ولكن على الأقل يجب افتراض إحداها ببساطة، دون أي تبرير أيًا كان.

عندما يتم تتبع أولويات القيمة للأساسيات الفعلية، فإن صلاحية الأخير يمكن أن تكون موضع شك. ويعتمد الدليل دائما في النهاية في أي وقت على شيء لم يثبت أو قابل للإثبات، أو مفسَّر أو قابل للتفسير.

ولكن أليست بدهيات القيمة بالضرورة أكثر ذاتية من التقييمات الأخرى؟ الموقف من حيث المبدأ لا يختلف عن البدهيات والقواعد الأساسية في الرياضيات. إن ظهورها دون دليل في صفحة 1 من الكتاب لا يجعلها أكثر ذاتية. وإذا كان ذلك الحال، فكيف يمكن للمرء أن يفسر حقيقة أن النظريات المستنتجة باستخدام بدهيات «ذاتية» وقواعد البرهان يمكن أن تكون صحيحة ذاتية متداخلة وموضوعية؟

في العلوم ، يجب أن نبدأ كما في المجالات الأخرى للاتصالات، من مكان ما، بقواعد ومعايير واضحة، وتقديرات ضمنية وتوكيدات واضحة. ونستطيع أن نقول مع مارتن لوثر «هنا أقف، ولا أستطيع أن أفعل أي شيء آخر!» ونستطيع - كذلك - أن نضيف: «وهكذا أرى وأجرب العالم!» وكلمات «وهكذا أرى وأجرب»يمكن أن تكون بين أقواس. نحن نعرف من قبل ، وعند مواجهة خصمنا أنه شخص معين الذي يقدم الرأي. لماذا إذن إضافة «أعتقد» أو «كما أجربها» عندما أعبر عن تقييمات؟ فنحن لا نقول «الحافلة تغادر الساعة الثانية حسب تجربتي مع الحافلة»؛ إذ تكون بعض المعايير والتقييمات واضحة مثل جدول مواعيد الحافلات. دعنا ننس العبارات المتواضعة مثل «أعتقد أن»

أو «لا يسعني إلا أن أعتقد أن...» عندما تكون حالة تقييمات شخصية تم التفكير فيها بشكل جيد! بعيدة عن بكل أشكال وسواس المعايير!

ولكن يجب أن يصحب أي زيادة في الصراحة المعيارية بشكل تلقائي تجاهل للاستبدادية، والتكبر و «الأبدية» ، فيما يتعلق بالصلاحية في الوقت ، وفي الفراغ الاجتماعي والطبيعي.

ولقبول معيار معين ليكون جوهريًّا، أو ليكون معيارا أساسيًّا، لا يتضمن توكيد النجاح أو إدعاء أن قبول معيار يكون مستقلًا عن تبعاته الثابتة في مواقف معينة .. إنها ليست محاولة للسيطرة أو التلاعب.

وكما هو الحال بالنسبة للعبارات الوصفية، يجب أن نستبقي مبدأ قابلية التعديل ، بجعل التشبث بالعناد في عالم المعايير النقاشي الهادئ مستحيلًا عمليًّا. وبشكل عام، قبول معيار أساسي معين. على سبيل المثال، يتم تحفيز الرفض العام لاستخدام القوة، بحالات معينة يكون فيها استخدام العنف قد تم رفضه دون تحفظ. والبداية من هنا، لأن التفكير في المواقف الأخرى المحتملة يؤدي إلى تعميم المعيار. ومنطقيًّا، فإن المناظرة تتقدم في الاتجاه المضاد، من العموميات للخصوصيات. والمرء يبرر الحالات المحددة في ضوء المعايير الأساسية، بينما يتم تحفيز قبول المعيار بالخبرات والتفكير المرتبط بالحالات المحددة. والتغيير في المعايير المشتقة له ما يبرره منطقيًّا ، وله صفة دافعية، بينما التغييرات في المعايير الأساسية هي محفزة بشكل نامٍ.

ربما نحن، في مجتمعنا، وربما الناس ، في معظم المجتمعات ، قد تأثرنا بقلة حيلتنا عندما كنا أطفالًا ، ويقول لنا الكبار الأقوياء «أنت سوف تفعل!» أو «يجب أن تفعل!»، أو «عليك أن تفعل!». قد تنتشر المعارضة اللاحقة لهذا السلوك في الكلام لكل التقييمات المباشرة، حتى الأكثر

محايدة: «من الصحيح أن...» ويكون ذلك صحيحًا بشكل خاص في التقييمات المقدمة من منابر مدارسنا وجامعاتنا. وربما يعيش الحاضرون جانبًا غير ملائم من طفولتهم ؛ لشعورهم بأنه قد تم التلاعب بهم وتعرضوا لتأثير سلطة أكبر.

يبدو أن كثيرًا من العلماء يحاولون تجنب التأثير المباشر باستبدال الجمل الوصفية بالجمل التفسيرية ، ولكن إذا كنت سأستبدل عبارة «من الصحيح أن «بواسطة» طبقًا للقانون النرويجي، فإنه من الصحيح أن» فما زلت أمارس تأثيرًا ؛ ولا يمنع الاقتصار على العبارات الوصفية التأثير الممكن؛ على العكس، فإنها غالبا ما يتم جعلها أكثر تركيزًا ؛ فإن العبارة غير المعيارية:«المدخن المعرض للخطر يدخن عددًا من السجائر» ربما أكثر إيحاءً من «دخن عددًا من السجائر»!

وكان أحد الاعتراضات من جانب الأبعاد الفلسفية أن المناقشة غير المتحيزة يجب أن تتوقف ، عندما ينشأ تصادم معياري مباشر : فإن التقدم أكثر من ذلك لا يكون ممكنًا، وقد تكون الاستبدادية أو نقص التدريب في النقاش المعياري مسئولة ، وسيضمن هذا، خاصة مع عدم العنف في الاتصالات، أن تستمر المناقشة بشكل بناء.

إذا اعترف المرء بأنه يمكن تأكيد صحة التقييمات، فإن الموقف لا يختلف كثيرًا عن ذلك التصادم الوصفي المباشر (غير المعياري) ؛ فنجد عبارة «وفقًا للقانون النرويجي...» وعبارة «لا، القانون النرويجي لا يقول إن...» التعارض يقع في وصف القانون النرويجي. «ليس من الخطأ أن تسرق الخبز من المتجر ، إذا كان الشخص جائعًا جدًّا ومفلسًا!» «لا، ذلك لا يمكن تعميمه!». في العبارتين السابقتين، تمت محاولات لتوكيد صحتها. وفي الحالتين تم افتراض منهجيات أساسية ، لا يمكن توكيدها دون تفكير غير مباشر.

وبمعنى آخر .. فإن عبارة أن «استمرار المناقشة غير المتحيزة يكون مستحيلا في الصراعات المعيارية المفتوحة» لا أساس لها من الصحة. وقد يكون صعبًا، لكن ذلك أيضا هو الحال لكل أنواع الخلافات. وهذا صحيح بالنسبة للرياضيات، والفيزياء، والمجالات الأخرى، التي تنشأ فيها مثل هذه الاختلافات.

إذا كان الرأي المعياري للمتحدث «إنه من الصحيح إنكار x»، وتكون الإجابة عنه من المستمع «ليس من الصحيح إنكار x»، فإنه ليس هناك شيء يستحق الجلبة ، بل إن الموقف يستلزم أن تتم مناظرته ، والتي تتطلب توضيحًا لأولويات القيمة. وقد تؤدي عبارات النوع «أعتقد أن...» «كما أشعر...» إلى نشوء مناظرة ، ولكن غالبًا ما تكون غير صادقة. هناك القليل جدًّا من المواجهة وجهًا لوجه، والكثير من الخفاء. والفرد لا يريد أن يجرح أي أحد ، أو أن يقف ويعترف بأي شيء .. إنه من المفيد أن يذكر المرء موقفه بطريقة مباشرة وثابتة بقدر الإمكان.

والعناية في تعبير المعايير مرتبطة إلى حد بعيد بدورها التوجيهي من أجل العمل ، ومواجهة العمل تنشأ من مواجهة المعيار، والعكس صحيح. أنا أبحث عن قضيب الذهب، كما يفعل أي شخص آخر. إذا اعتبر كل منا موقفه مسئولًا أخلاقيًّا ، فمن الممكن اللجوء إلى إستراتيجية حل النزاع على طريقة غاندي. نحن نحتفظ بقبضتنا على قضيب الذهب ، ولكن نتناقش في الوقت نفسه مع خصمنا. وحتى في مثل هذا العمل المباشر، فإنه لا حد للتفاعلات ذات المغزى.

ما أهمية الصفحات السابقة ومناسبتها بالنسبة لحركة البيئة العميقة؟ لدى أعضاء السلطة والسياسيين ومستشاريهم العلميين والتقنيين في مسائل «البيئة» حمل من العمل ومسئولية من النوع ، الذي يجعلهم

يبحثون عن البراهين التي تعتمد حصريًّا على «حقائق». وأي شيء لا ينسجم مع الإطار الثابت بسهولة يشعرنا بالتهديد، وأي شيء ينم عن التقييم المباشر يتم إقصاؤه.

لا يمكن فهم أهداف حركة البيئة العميقة، ويتم الوصول إليها بشكل أقل، دون الإعلان القوي لأولويات القيمة داخل إطار عمل أكبر.

تتكون أكثر المناقشات المضادة شيوعًا بين الجماعات القوية المذكورة بشكل مميز بالإشارة إلى الرأي العام: ويطالب الجمهور بأجور أعلى، وضرائب أقل، وأدوات أكثر، وأجازات أطول، ومستوى معيشة أعلى، وبطالة أقل؛ وإشباع على المدى القصير!

وفي الصراعات الاجتماعية، يكون الخصوم عادة صورًا نمطية من بعضهم البعض، وهؤلاء الذين هم - بشكل أو آخر - مسئولون عن القرارات الحاسمة من وجهة نظر البيئة العميقة، يميلون لأن تكون لديهم أراء معارضه وغريبة عن المؤيدين، خصوصًا نشطاء الحركة. ويميل هؤلاء إلى أن تكون لهم آراء نمطية عن المؤيدين. وقد تقوي الآراء المتحيزة الباعث داخل المعسكرات المتعارضة، ولكنها تجعل الاتصال مشوشًا وغير متماشٍ مع مبادئ الصراع المناهضة للعنف. ويمكن أن يتغلب تفتح الأذهان واللعب النزيه على هذه الصعوبة.

اعتقد كثير من الناس، في أوائل هذا القرن، أن السياسة في مجتمع صناعي متقدم تتخذ صفة التقنية الاجتماعية: ونستطيع أن نحسب ما يمكن أن يكون الأفضل. وكان شعار «هدف الأيديولوجية» شعارًا قويًّا، وسينقرض «السياسيون» كجنس، وسيكون هناك خبراء - إداريون، اقتصاديون، وتقنيون - بدلًا منهم، وحينئذ ستؤخذ القرارات على أساس حسابات، تفوق قدرة الإنسان العادي.

إن الإيمان بحكومة التقنيين ما زال قائمًا، وغالبًا ما يكون الجدل القائل «ولكنه فقط موضوع تقني» هو افتراض أننا نعيش في مجتمع حيث «التقدم نفسه» يقاد ، ويجب أن تتم قيادته بشكل تقني. ولا يتم التفكير في المناقشة العامة - ببساطة - للقيم النهائية على أنها ضرورية .. إن الأحداث تسير نفسها.

وهناك أشياء قليلة كان لها تأثير هدَّام على الكلام الصريح ، وبشكل عام .. كان لها تأثير أكثر على التدخل الشخصي في الحركة البيئية، أكثر من الإدعاء بأنه «ليس هناك معنى لمحاولة إيقاف التقدم». يتم التفكير في «التنمية» و«التقدم» في ضوء النمو التقني- الصناعي، والتغير نحو وحدات تنظيمية أقل وأكبر، والمركزية والعمليات الأكثر «كفاءة»: وتستلزم التنمية التقنية مطارات «أكثر وأكبر»: التقدم يتطلب «وحدات صناعية أكبر»؛ والتنمية تقتضي «وحدات أكبر من الحكومة».

إنه من المثير للاهتمام - ولكن من المقلق أيضًا - ملاحظة أن بعض جوانب التقنية-الصناعية للوجود هي الآن مقبولة كشيء غير قابل للتغيير وموضوعي ، ونحن لا نقول «إن التقدم يتطلب التخلص من الأحياء الفقيرة، فليس هناك معنى لمحاولة إيقاف هذا!» وقد يمكن التخلص من الإحياء الفقيرة عندما نصل إلى الطيران التجاري، ولكن لماذا تكون لكلمات «التنمية» و «التقدم»جاذبية قليلة جدًا هنا؟ أو: نحن لا نقول إن «التقدم يقتضي أن تكون لكل منا إمكانية الوصول للطبيعة وبيئة مقبولة لأولادنا ، وليس هناك معنى لمحاربة التقدم.» أو:«التقدم يتطلب تغييرًا من الديمقراطية الدستورية إلى ديمقراطية من المعيشة معًا (*samliv*) ».متى نختار أن نستفيد من هذا المصطلح «التقدم»؟ ولماذا لا نتحدث عن التقدم في نوعية الحياة؟

تعتمد قوة حركة البيئة العميقة على رغبة وقدرة مؤيديها على إجبار الخبراء المعتمدين على الحقائق، والذين يعززون قرار البيئة في ضوء القيم والأولويات (نايس، 1986أ)

(2) الأنظمة الكلية؛ نماذج النظام المعيارية في شكل هرمي:

إن كلمة *Systema* هي مزيج من *syn*، أي معًا، مع شكل من الأفعال اليونانية histemi، أي يضع. وينظم تعنى أن يجعل شيئًا يتوافق معًا ككل. و نحن نهدف فيما يلي، أن نجعل كثيرًا من المفردات تتفق معا، وأن نقترح وجهة نظر كلية. والمجموعات التي يجب أن نتعامل معها مرتبطة بشكل مباشر جدًّا لدرجة أن المكونات المفردة، لا يمكن فصلها، دون أن تنتج عن ذلك خصائص مختلفة للمجموعة؛ بمعنى آخر، فإن المجموعات ذات وحدات معشقة. وما يميز التفكير البيئي هو الميل لرؤية الأشياء في سياق؛ أي التنظيم كما هو معرَّف هنا، ومن ثم .. فإن شعار «كل شيء مترابط»يقترح ضرورة توضيح الآراء الكلية .. كل شيء كمبدأ مرتبط بكل قرار متخذ.

ولذلك .. فإن «النظام»، هنا كلمة ذات دلالات قيمة إيجابية؛ وليست سلبية كما في كثير من ردود الفعل، ضد بناة النظام الكبار للتفكير الفلسفي المعاصر (إكونياس، ديكارت، سبينوزا، هيجل .. إلخ.)، ولكن تشجيع التنظيم لا يعنى تشجيع جزمية النظام- الميل إلى الترحيب بنظام على أنه الحقيقة المفردة، والأبدية، والنظام هو تركيب هيكلي للعبارات، كلها مؤقتة وتجريبية. والنظام الفلسفي الشامل للكل يقصد به التعبير عن كل المقدمات الجوهرية و (أو الأساسية) للتفكير والعمل، واقتراح بعض المجالات من التطبيق الثابت.. هذا هو الحد الأدنى، فلا يمكن للنظام أن يمتد لكل القرارات. وقد أوضح چيرمي بنثام فلسفته السياسية لتشمل

اللون المفضل لصندوق التصويت! ويمكن أن تكون القرارات الأخرى أكثر أهمية.

وتتطلب قواعد المناظرة غير المتحيزة وجهة نظر في موضوعات التفسير، والتعريف، والتوضيح. وإذا تم تقديم أكثر من توكيد ، فيجب أن نجيب عن اتساقها المتبادل. وفي كل الأحوال، يجب تصور تبعات توكيد معينة . وعلاوة على ذلك، فإن المسار «العكسي»، من النتائج إلى المقدمات، يجب أن يكون مرئيًّا ، ويمكن المرء من متابعة سلسلة البراهين التي تقود إلى التوكيد ؛ فاحتمالات الاختبار التجريبي يجب التعامل معها ، عندما يكون هناك على الأقل مكون تجريبي واحد. ويجب أن يكون المرء مستعدًّا لتحمل مسئولية النتائج أو التبعات ، الناجمة عن وضع أعماله على أساس هذا التوكيد.

ما اللازم والضروري بالنسبة لمؤيدي حركة البيئة العميقة؟ إنهم مدربون على مناقشة الحقائق، بشكل أقل من مناقشة القيمة، ولكنهم مازالوا أقل في التحليل التنظيمي لأولويات القيمة، وأقل حرصًا في ربط حقائق الصراع البيئي الملموس بالأحوال الفلسفية والدينية القوية الأساسية، لاسيما مقدماتها النهائية الخاصة. وهي في الأغلب متماشية تمامًا مع تلك الخاصة بالخصوم . وما يلزم لإقناعهم، أو على الأقل لجعلهم أقل لينًا في مقاومتهم، هو تحقيق النقاش على الأولويات، خصوصًا الأولويات بعيدة المدى ، ودعوتهم – مرة بعد أخرى – ليصرحوا بمواقفهم بخصوص القيم بعيدة المدى، والقيم المستقرة بعمق، وحتى المعايير الأكثر أهمية.

ماذا عن بعض ردود أفعالهم، «أنت دوجماتي جدًّا ، أنت تبسط كثيرا».. «أنت تؤمن بشدة بنظامك»؟

وهذا يعني في المناظرة أنك، إذا كنت تشعر مثلي، فإنه يجب أن تعلن بشجاعة عن موقفك، وحتى حينئذ.. يكون ذلك بكل التواضع فيما يتعلق بالحقيقة. أعترفُ بالارتباك، ولكنني أصر أنه حتى المرتبك يجب أن يعمل- حتى الامتناع عن المشاركة له تبعات سياسية. تذكر أن هناك شيئًا يسمى «الإهمال الجنائي» ، ومن الأفضل أن تكون فعالًا وتشترك في المعركة. وغالبًا ما يكون لدى خصومك تقدير عالٍ لمزيج من الأمانة الشخصية والتكامل ، مع الاتجاه بالاعتراف بالضعف والقابلية للخطأ. ولكن مناقشة القيم بشكل علني يتطلب تدريبًا، والبعض منه (وبالطبع بعض منه فقط) يكون نظريًا.

تظهر باستمرار اعتبارات جديدة غير متوقعة، وتتصادم داخل الحياة والمجتمع ، وتتحول المواقف التي يجب تحكيمها بشكل متزايد. وسوف تكون نظريتنا فيما يتعلق بتأثيرات أعمالنا وسياساتنا، سواء كانت عامة أو خاصة - بشكل أو آخر - أقل خطأ ، ويكون تصادم المعايير حتميًا ، كما يكون الاتساق المطلق عبر الوقت وهميا: أنت تتغير ، والأشياء تتغير.. هل يجب أن نوصي باستمرار بإيقاف فوري للمنتجات الملوثة للمواد «عديمة الجدوى»، أم هل يجب باستمرار أن ننشيء أولًا أعمالًا جديدة في الجوار للعمال ، تسري مع توقف الإنتاج؟ وهل ربما لا يكون هذا أو ذاك؟ ولكننا في حاجة إلى خطوط إرشادية عريضة عامة!

يعتمد رأينا فيما يتعلق بما يتم - أو ما يجب أن يتم - بشكل كبير على نظريتنا بكيفية تنظيم العالم ، وإذا طبقنا هذا على العلاقات البيئية، فإن ذلك يعنى أن تعتمد معاييرنا على معتقداتنا ، فيما يتعلق بالعلاقات القائمة على بعضها البعض داخل المحيط الجوى.

يمكن ترتيب مجموعة من المعايير في شكل هرمي، أو بشكل أكثر دقة، على شكل مخروط ناقص من الهرم مع قاعدة عريضة وقمة ضيقة. وتوضع المعايير غير المشتقة على القمة (انظر شكل 1-3). وعلى الرغم من أن ذلك يمكن أن يكون وسيلة مفيدة للمفاهيم، إلا أنه يمكن أن يكون مشكلة ، إذا قام المرء بعمل قياس للهياكل أو التنظيم أو التنفيذ: تذكر أن الهرم هو فقط بغرض الاشتقاق المنطقي!. ولا تعتبر المعايير العليا بديلا أخلاقيا ، فنحن نستفيد من التنظيم الهرمي، ولكن فقط مع اتجاهنا المفاهيمي المعدل للمصطلحات المهمة للسلوك والأولويات. (يجب أن نفهم ذلك جيدًا، لنتجنب سوء الفهم من النوع، الذي قد ينتقده فريتجو كابرا (*نقطة التحول*، *1982*)- إذا كانت صورة «شجرة من المعايير» حيث تبدو معايير المستوى العلوي كالجذع أو الساق أكثر مناسبة، إذًا لا مانع من استخدامها.)

لكل معيار موضعه الخاص. والمعايير العليا قد تخص الحرية، والمساواة والإخاء، وحب الجار، أو البحث عن الحقيقة. ويتم فهم كل المعايير الأخرى والتقييمات داخل المجال الذي يجب تنظيمه، كمعايير مشتقة في علاقتها بالمعايير الجوهرية. و قد يسمى الاشتقاق منطقيًا ، ويتم هنا تجنب الاستخدامات الأخرى للمصطلح «اشتقاق»، مثل: الاشتقاق التاريخي ، أو النشوئية (البحث عن الأصول).

عندما يتم توكيد القيمة كوسيلة في نظام معين، فإن ذلك لا يعنى أنه ينقصها القيمة الجوهرية، ولكن يعنى فقط أن أي قيمة مستقبلية جوهرية لا تظهر في النظام. لتوضيح: من «اختار الذي يستمر لمدة أطول!» و«الأمانة تستمر لمدة أطول» يتبعها (بمنطق مقبول) «كن أمينًا!» ، ولكن لا يتعارض مثل هذا الاشتقاق مع القيمة الأساسية للأمانة.

يسمي المعيار الذي يكون صالحًا فقط كوسيلة لتحقيق معيار أساسي آخر أكثر،بالمعيار الوسائلي المحض. والمعيار الحقيقي هو الذي لديه صلاحية مستقلَّة عن الوسائل/ والعلاقات ذات الأهداف، ولتحقيقه قيمة جوهرية على أي قيمة وسائلية ممكنة. وكونه معيارًا حقيقيًّا لا يحول دون تضمنه ،بالإضافة إلى ذلك، قيمة وسائلية. ويمكن التفكير في الأمانة بأن لها قيمة جوهرية ، بالإضافة إلى قيمة وسائلية في تحقيق كثير من المعايير في وجودنا الاجتماعي. «كن أمينًا!» هي من ثم معيار حقيقي، أساسي وأيضا معيار ذرائعي.

إذا تم اعتبار معايير الامتحان وإعطاء الدرجات معايير وسائلية بشكل محض في علاقتها بوسائل التعاون، والإخاء، والحب .. فإن هذا الأخير يحتل مستوى أساسيًّا أو مستوىً أكبر في هرم الغايات/ الوسائل. وصراعٍ المعايير بين «ساعد أصدقاءك» و«لا تساعد أحدًا في امتحان»يتم حله إذاً بتجاهل معيار الامتحان.

تذكر أن المقارنة تكون فقط بالاشتقاق المنطقي، وليس أبدًا بالأولوية الأخلاقية. وإذا كان المعيار الأساسي هو «لا تستخدم شخصًا آخر ببساطة كوسيلة!» (كانط) والناس منقسمون إلى : أصفر، وأبيض، وأحمر، وأسود (تصنيف مثير للفضول)، فإن النتيجة تكون أربعة معايير مشتقة: «لا تستغل أبدًا شخصًا أصفر»، «لا تستغل أبدًا شخصًا أبيض»، إلخ. ومن السخافة منح المعايير صلاحية أخلاقية أقل أو أي صلاحية أخرى بسبب صفة اشتقاقها ، مثال آخر: إذا قارنا «لا تقتل» بـ «لا تقتل أمك»، فإن الأولى لها الأولوية المنطقية، لأنه منها نستطيع اشتقاق الثانية، ولكن ليس العكس. الثانية لها أولوية أخلاقية: إذا قبل شخص ما الأولى ، ولكن لديه ميلًا لقتل كلبه أو أمه ، فلابد أن يكون الموقف الأخلاقي واضحًا.

يتطلب الاشتقاق ذو الاهتمام العملي عبارات تتعلق بظروف فعلية في العالم، وبميولنا الفعلية، وأكثر من ذلك. وإحصائيًّا، فإن العبارات التي تسمى بالحقائق في الإيديولوجيات اللفظية، هي في الأغلبية الساحقة من الحالات، التي تمت بالنسبة للعبارات المعيارية. ونذكر هنا مثالًا سيئًا ولكنْ مركزي، وهو كتاب «كفاحي» لهتلر، الذي يتكون في أغلبه من عبارات ذات مضمون وصفي ونظريات عن اليهود. ولكنها نظريات من الواضح أنها خاصة جدًّا ويجب قبولها، وإلا فإن البناء الكامل للكتاب ينهار. وحيث إن معظمنا اليوم لا يقبل بأي من هذه كنظريات، فإننا غير قادرين على قبول معايير هتلر، بخصوص كيفية معاملة اليهود.

وقد يقوم المتحمسون من المشاركين في الحركة البيئية بتعريض الآخرين لعاصفة حقيقية من المعايير. ويتخذ الكثيرون أشكال النداءات، والحكم، والشعارات وهي غير دقيقة بشكل مفهوم، وقد تبدو جازمة، ضيقة الرؤى، أو متعصبة لغير المطلع (أعيدوا لوس أنجلوس إلى النسور!!) لذلك .. فإنه من المهم بالنسبة للذين يستخدمونها بأن يكونوا مدركين أن مثل هذه الشعارات كمبدأ، ليس لها معنى وغير مبررة خارج موقف إدراكي معياري ووصفي شامل. حتى إذا كنا قادرين على تفسير النظام المعياري المفترض مسبقًا، فإنه يجب أن نكون واعين بالحدود الضيقة بمقدار بالاتصال في موقف معين.

على سبيل المثال، يقترح شعار ممتاز أن تستبدل السيارات الخاصة بدراجات كوسيلة للمواصلات من وإلى العمل. ولكن لكي تعلن للعالم معيارًا عامًّا «قُدْ دراجةً بدلا من القيادة، إلى العمل!»فإن هذا شيء غير منطقي. ومن ثم، لابد من تنظيم الموضوع، ويجب أن تأخذ في الاعتبار كثيرًا من العوامل : الظروف المختلفة في مئات المجتمعات المحلية،

والظروف المناخية المتنوعة، والاحتمالات المختلفة للمواصلات العامة، وبالطبع كل المسافات المعنية، وتلوث بيئة راكب الدراجة، وأخطار ركوب الدراجة في الزحام المروري الكثيف. وفي بعض الأحوال، قد يعني التحول للدرجات استهلاكًا متزايدًا للموارد - لنقل إذا أخذ راكب الدراجة ساونا مسخنة بالزيت بعد كل رحلة ، فإن مثل هذا التحول قد يخرب استخدام الوسائل العامة. وإذا حاول شخص تنظيم موضوع مليء بالصراع، فإنه يجب للصياغات أن تكون دقيقة وموزونة بعناية ، ويجب أن تذكر بوضوح ملخص المعايير والنظريات، مع العيوب، على سبيل المثال نقص الكمال!

إنه من المفيد للحركة البيئية أن أقل معايير ممكنة يجب أن تكون مساعدة بشكل محض ، وعندما نناقش الدراجات يجب أن نذكر - ليس فقط القيم الجوهرية التي يجب الحصول عليها ، مثل كونك أقرب للحياة الخلوية - ولكن أيضا المتعة البريئة في الضغط على بدَّال الدراجة ، بدلا من بدّال الغاز. تذكر أن المعايير ضد التلوث غالبًا ما تكون لها طبيعة وسائلية: «أعط صيحة استهجان! لا تلوث!» (كما جاء في إعلانات وودسي أول عن الخدمات الأمريكية للحديقة القومية خلال السبعينيات) ، وثمة طريقة جذرية لتجنب هذا المعيار ، هي - على سبيل المثال - اتخاذ إجراء غير مباشر ضد استخدام علب الشراب المعدنية. ولكن إعلان: «لا تستعمل علب الشراب المعدنية» هو مجرد استبدال معيار ذرائعي بآخر.

إذا كانت المعايير المتعلقة ببعض المواضيع غير مرتبطة الواحدة بالأخرى، فإنه قد تنشأ صراعات معيارية عند كل منعطف ، ولا يمكن تطبيق أي من المعايير على الإطلاق أو بالكامل . ويجب أن يؤخذ كل منها

في الاعتبـار أو يتـأقلم مـع الآخـرين. قـد توقـف المعـايير المفرطـة ضـد استهلاك الموارد كثيرًا من الأنشطة مثـل البحـث البيئـي ، وذلـك يعـوق احتمالات السياسات البيئية العالمية المسئولة. وقـد تعنـي المعـايير المفرطـة المتعلقة بالاعتماد على الذات أن المرء لا ينجز أكثر، من الذي يقدمه لنفسـه فقط .. هناك عوامل توسط وعوامل مؤهلة لكل المعايير.

يوضح المثال السابق سياق النظـام للموضـوعات البيئيـة .. وعنـدما تعزل معايير معينة وتصبح عالميـة، فلـن تكـون النتيجـة سياسـات بيئيـة مسئولة، ولكن فوضى للسياسات المتعارضة.

ولسوء الحظ، فـإن هنـاك مـيلًا للتأكيـد بـأن التبعـات النهائيـة لمعيـار تكشف عن طريق عزلها وجعلها عالمية ، ويمتدح الـذين يـدافعون وهـم ملتزمون بمعيار ، كما لو لم يكن جزءًا من وحدة كاملة ، لكونهم منطقيـين ومتسقين!.

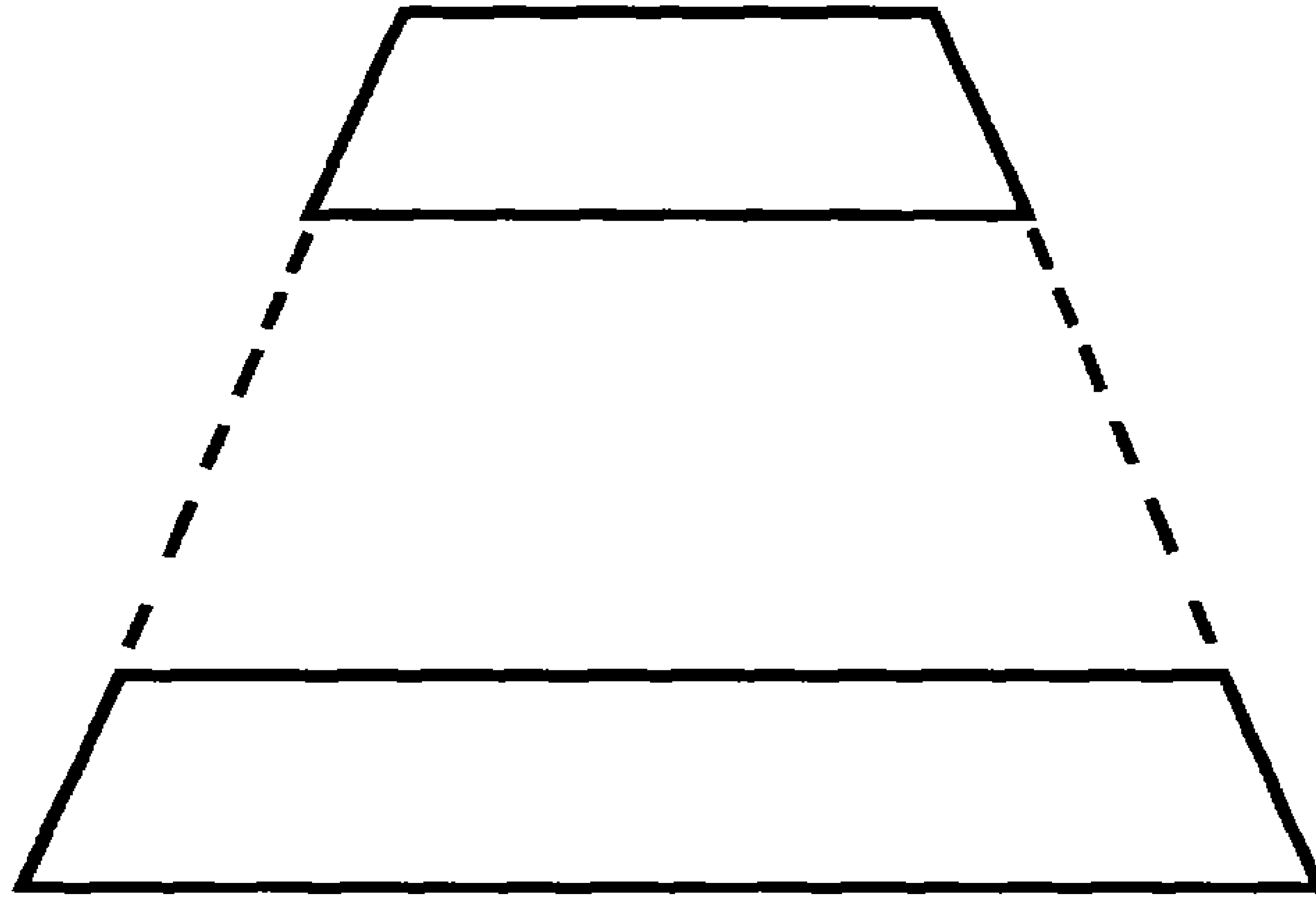
تحدث المداولة البيئية في المجال الأوسع للتفكير .. لذلك فإن محاولات الربط بينها ينتج عنها ظهور نظام فلسفي ، حتى مـع افـتراض أقـل اتجـاه جازم ممكن، مثل: ببساطة وضع أسئلة، يبنيها المرء على نظريات ومعايير ، وإلا .. فإننا لا نستطيع صياغة أسئلة محددة على الإطلاق.

تكون نقطة البدء في كـل مـشاركة في النقـاش، ثنائيـة: عالمنـا الخـاص أو رأي العالم أو تلك الآراء ، التي نجد أن لها مغزى في البيئـات المحيطـة بنا. وتقع أفعالنا في مجال اجتماعي ، ويجب أن نأخـذ في الاعتبـار تقيـيمات وتفسيرات الحقائق، أو نقص المعرفة في ذلك ، والتي تسود سياقًا معينًا .

والفلـسفة الاجتماعيـة – كـما تبـدو في النقـاش العـام ، وعـلى وجـه الخصوص ، وكما تبدو في اتخاذ القرار الـسياسي – تأخـذ شـكلًا هرميًـا ، ولكن القسم الأوسط من الهرم بشكل عام يكون غير منظم بدرجة كبـيرة

أو حتى أجوف ؛ بمعنى آخر: غالبًا ما يكون الاشتقاق المنطقي للقرارات الملموسة من المعايير الأساسية مزعزعًا ، والطريق الذي يجب أن يؤدي إليه من المبادئ الرئيسية للديمقراطية، والحرية، والعدل، والرفاهية إلى السياسات الملموسة ؛ لتحقيق هذه المبادئ ، هو طريق مجهول كالطريق الخلفي للمدينة! وقد تتضمن العبارة الحكومية مبادئ بيئية سياسية مهمة، ولكنها غالبًا دون أي صلة بالقرارات. وكلما كانت العبارة السياسية الملموسة تذكر خططًا محددة للعمل ، لا تتزامن عادة مع المبادئ، فإنها تتبع طرق جيدة ، سبق اتباعها للعمليات السياسية السابقة.

ويمكن توضيح والنظام الهرمي ذي القسم الأوسط الأجوف (شكل 3-1) ، كما لا توجد خطوط اشتقاق على طول الطريق من المبادئ إلى القرارات العملية.



شكل (3:1) : النظام الهرمي ذو القسم الأوسط الأجوف.

ويمكن أن يوجد المثال على النقص الكامل لتوضيح القسم الأوسط في خطة المنهج الحالي للمدارس النرويجية الابتدائية ، إذ إنها تنص على أن تكون المدارس وسيلة لإعطاء التلاميذ اتجاهًا نحو الحياة ، والتي تدور

حول : الحقيقة، والأمانة، والإخلاص، والتعاون والعفة. ولكـن ليـست هناك أي محاولة، لتوضيح أفضل طريقة للحصول على هذا الهـدف. هـل يمكن أن يصبح التلاميذ خيرين عن طريق دراسة أشياء، وموضـوعات؟ هل الامتحانات مرتبطة بشكل وثيق بهذه القيم؟ لماذا لا يستطيع التلاميـذ التعاون أثناء الامتحانات؟ لماذا لا يكون ذلك عملًا جماعيًّا؟

إن المفهوم الضمني في هذا المنهج مفهوم ضيق جدًّا للمـدارس ، وهـو أن دورها يقتصر أساسًا على تقديم المواد لمجموعات التلاميذ، في تنافسهم مع بعضهم البعض .. ومـن دواعـي الرحمـة أن عـددًا كبـيرًا مـن المعـايير والنظريات ليست عرضة للآراء النقدية ؛ فهي تنتمي للقسم الأوسط من الهرم. وترفرف القمة عالية في الهواء دون هـذه المعـايير والنظريـات. وإذا استخدم تعريف متسع جدًّا، فقد يصبح النقاش المدرسي المثمر ممكنًا، مـع ضمان وجود جمهور أكبر من المهتمين.

(3) تفكير النظام البيئي :

كما أن ثمة عددًا مبهمًا بالكامل من التفاعلات يمكن أن تحدث في نظام بيئي، فإن استخدام نماذج منهجية يلعـب دورًا حاسـمًا ؛ خـصوصًا تلـك التي تعبر عنها الرياضيات ، واختيار العلاقات داخل النظام البيئي محدد ، ويحاكي الاختيار «الواقع» إلى حد ما. وهناك مبدأ رئيسي هو «حالة النظام في الوقت «**واو**» »، وحالته موصوفة في عدد معين من الاعتبارات، ويتميز كل اعتبار بمجموعة من المتغيرات.

يعتمد التقدم في نظام البيئة على تخطيط الأنظمة المبنيـة مـن مـستويات من المجالات والتفاصيل، فعلى سبيل المثال، يستطيع المرء الدراسة والتنبؤ بكيفية أن سكان الرنة بشمال أمريكا لهم علاقة، ومعتمدون على عدد مـن الضواري ، وعوامل أخرى معينة دون دراسة علاقة الفرد بضوارٍ معينـة.

وتحدث دراسة الأخير في مرحلة أقل في نظام التفاعلات. وبالمثل .. فإن المرء يمكن أن يدرس حياة وموت حيوان معين ، دون دراسة خلاياه الخاصة. ويمكن أن تدرس الخلية بطرق كثيرة ، دون دراسة التركيب الكيميائي لكل جزيء في الخلية. وقد يتحدث المرء عن مستويات التكامل حيث يمكن دراسة سلوك مجموعة من مكونات نظام معقد ، دون ضرورة لدراسة كل المكونات الفرعية للمكون.

والنقطة الرئيسية هي أن كل هذه الدراسات هي دراسات مجزأة ؛ فهي تختار وتعزل الشبكات النسبية عن طريق التحليل المجرد. ولا يحاول أحد أبدًا دراسة الشبكة الكلية.وإن يكن وطبقا لحدسنا، فإن هناك شيئًا يمكن أن نسميه الواقع وهو الوحدة ، وفكرة الكلية لا يمكن إهمالها.

وتكون الدراسات الجزئية كافية فقط ؛ لأن الأسئلة الموضوعة هي أسئلة جزئية. وتكون الأسئلة جزئية؛ لأننا لا نستطيع دراسة كل شيء في الوقت نفسه . ففي عملنا اليومي، وتعاوننا مع الأنظمة المتداخلة، يجب بطريقة ما أن نقسم اعتبارات الكلية. ولكن يجب تنفيذ التركيب في كل مرة ، عند اتخاذ قرار بيئي سياسي. إذن نحن مسئولون عن كل مظاهر وجوانب الموضوع المطروح.

دعنا نأخذ في الاعتبار بعض نقاط الاستشراف، المفرطة نسبيًّا في موضوع العلاقة بين الكليات ومكونات الكليات – والتي غالبًا ما تسمى نقاط الاستشراف «كلية» – مما يؤكد الكل بشكل خاص.

ويمكن اعتبار الخلية – على المستوى السطحي – حية فقط، كشيء له صفات، حيث يؤدي الوصف الأكثر شمولية إلى تفكير ميداني ، يتم فيه إسقاط محاولة تعيين الخلية نفسها في الوقت والفراغ، وأبعاد أخرى. وتمتد القوى المحركة لكامل الخلية لأبعد من حدودها الملحوظة ، وتحدث

الشحنات الكهربائية والعمليات الكيميائية في منطقة شاسعة ؛ لذلك فإنه ليس من المجدي عزل الخلية نفسها عن البيئة. إن حوائط الخلية ليست مستقلة عن البيئات المحيطة، وهي ليست حوائط بالطريقة الصائبة ، فنحن نتعامل مع شبكة من القوى والتفاعلات (وايس، 1971).

كما سبق وقدمنا هنا، فإنه من الواضح أن التفرقة بين الكل/ الجزء ليست مناسبة بالنسبة للخلية الحية ، ولا يمكن عزل الأجزاء ، ولا شيء يمكن فصله بشكل عرضي. ومن هنا ، كان الشعار «أن الكل هو أكثر من مجموع أجزائه»، وذلك يوضح التفكير الجشتالتي بشكل رائع.

ويساهم باحثو النظام البيولوجيين في تغيير الهيكل المفاهيمي المعتاد للعلاقة بين البشر والبيئات المحيطة بهم.

(1) الإنسان ليس شيئًا في بيئة، ولكنه نقطة اتصال في نظام نسبي ، دون فواصل محددة في الوقت والفراغ.

(2) النظام النسبي يربط البشر، كأنظمة عضوية، بالحيوانات والنباتات، وبالأنظمة البيئية التي يقال بشكل تقليدي أنها داخل أو خارج الكائن الحي البشري.

(3) لا يمكن جعل عباراتنا التي تتعلق بالأشياء والصفات، وبالأجزاء والكليات أكثر دقة ، دون تحول للتفكير الميداني والنسبي.

يقول ديفيد بوم عن آرائه المقترحة المتعلقة بالطبيعة العامة «الكلية لكل ما هو موجود» ، أنه في أي لحظة معينة في هذا التطور (للواقع) .. فإن كل مجموعة من الآراء التي قد تنشأ سوف تشكل على الأكثر مقترحًا ، على أنها افتراض بشأن ما يفترض أن تكون عليه الحقيقة النهائية، ولا يجب أن

تؤخذ حتى بدرجة أقل كنتيجة خاصة بطبيعة هذه الحقيقة. وعلى الأحرى، فإن هذا المقترح يصبح نفسه عاملًا نشطًا في كلية الوجود ، الذي يشملنا، بالإضافة إلى الأشياء الخاصة بأفكارنا والأبحاث التجريبية.» (بوم، 1980. ص 213). إن قصور ما نفعل عندما نؤكد نظرياتنا ونعلن معايرتنا ، لا يقلل من حقنا والتزامنا في أن نؤكد ونعلن.

وتكون الجملة المقتبسة مفيدة في توضيح أن العمل مع «كشف» رأى «كلية ما هو كائن» هو نفسه جزء، جشتالت ثانوي من هذه الكلية نفسها. وعندما نكون نشطين في كشف آرائنا ، نكون مبدعين في تشكيل وخلق أي لحظة «ما هو موجود هناك».

(4) البحث عن أهداف نهائية : المتعة والسعادة، أو الإتقان

«سالتدال يريد الطبيعة- وليس قوى توليد الكهرباء من المياه» هذا هو العنوان الرئيسي للصفحة الأولى من الجريدة في النرويج. وربما قصد السالتداليون أن الحصول على الاثنين يكون أفضل، ولكن ماذا لو كان يراد بها واحد أو الآخر؟ «إن الطبيعة النظيفة أكثر أهمية لنا من أي أتعاب امتياز يمكن تصوره ، وهناك إجماع على ذلك هنا في المنطقة.»

إذا لم يعد مستوى المعيشة المادي والوفرة العامة يكفيان كأهداف رئيسية لكل السياسيين، فماذا يمكن أن يحل محلهما؟ الرفاهية؟ نوعية الحياة؟ الطبيعة الحرة.. مثل هذه الأشياء ليست رفاهية أو نوعية حياة ؛ لذلك فإنها يجب أن تكون شيئًا ما يتم الحصول عليه ، عن طريق حماية الطبيعة الحرة – وربما يكون شيئًا ما يخدم الرفاهية أو نوعية الحياة؟ ولكن ما صفات «الحياة الجيدة» ، وأي من هذه الصفات يجب أن يعطى أولوية ، إذا لم يمكن الحصول عليها جميعًا، على الأقل ليس في وقت واحد؟

وسأتناول فيما يلي بعض الاعتبارات الأولية جدًّا لتوضيح ما يسمى «المعيار الرئيسي» للمشكلة: ماذا يمكن تحقيقه كأكبر هدف شائع، يجب أن توجه إليه كل المساعي الشخصية والاجتماعية؟

هناك ثلاثة أنواع من الأهداف ، قد ذكرت ، وستذكر باستمرار في هذا السياق ، والتي ربما يكون قد تمت الإشارة إليها بثلاث مصطلحات معروفة (جدول 1-3).

والشخص العاقل لا يستطيع أن يعي فقط تبعات المبادئ الأساسية ، التي تقترحها هذه الكلمات، ولكن يجب أيضا أن يفكر فيها بوضوح ، ويقرر كيف يطبقها.

يجب على المؤيد للفلسفة البيئية أن يفكر، وأن «يشعر» أيضًا، بم يريد فعلًا، ليس فقط كموضوع شخصي، ولكن من منظور اجتماعي وفلسفي بيئي. والمسألة هنا ليست استخلاص تبعات وجهة النظر ، التي تم تقديمها بشكل جوهري، ولكن المسألة هنا هي مسألة توضيح اتجاهات، وعدم «إيجاد النفس» في عزلة ، ولكن في علاقة عميقة مع كل ما هو محيط بها.

جدول (1-3) : مصطلحات للهدف والمعيار.

الهدف	المعيار
(1) متعة	متعة!
(2) سعادة	سعادة!
(3) إتقان	إتقان!

ويعتمد إدراك المعايير المتوسطة، في مصفوفة المعايير، على الإيمان والبصيرة في كيفية حدوث ذلك، مع الأخذ في الاعتبار عوامل بيئة محددة.

وعندما يكون الإنسان مقتنعًا أو المجموعة مقتنعة بمزايا طريق واحد عن آخر،فإنه سيتم تحرير كميات مدركة من الطاقة، والكلمات هي: توهج وعاطفة وارتباط مكثف وحمية وحماس في ملاحقة الهدف. وعندما يكون شخص ما مشغولًا عاطفيا بشيء ما، فإن الهموم الأخرى والمعاناة تتقلص. بل وتتم مواجهة الإحباطات برأس مفعمة بالنشاط من القوة الدافعة. ولكن إذا خمدت الحماسة، فإن همومًا لا تحصى تقفز في الوعي، وتصبح مباهج الحياة سلبية أكثر وأكثر، وتصبح الفكرة العميل والمريض. وكمرضى تتم خدمتنا، ونضمن البضائع والخدمات.

مع أخذ فلسفة وعلم نفس تسلق الجبال، في الذهن، تم بث ونشر المعادلة التالية بمعرفتي في عام 1965:

$$W = \frac{G^2}{P_b + P_m}$$

حيث:

W – الرفاهية.

G – التوهج (عاطفة – حماسة).

P_b – الألم الجسدي.

P_m – الألم الذهني.

تعنى المعادلة أن مستوى الرفاهية يكون متناسبًا مع مربع مستوى التوهج؛ لذلك فإنه مع التوهج الكافي، يمكن التغلب على أي مقدار من الألم.

وتعتمد فائدة المعادلة (التي بالطبع يمكن جعلها أكثر تعقيدًا في بيئة الرياضيين وعلماء النفس) على قدرتها على جعل الناس يحاولون إيجاد ما

يريدونه بعمق وشغف ، وبالتالي جعلهم يخاطرون ببعض الألم والمشقة في السعي وراءه. قد نغالي في تقدير إلى أي حد يحاول الناس تجنب الألم الجسدي أو العقلي بأي ثمن ، ولكن – وبصفة خاصة – عندما يجد الناس أن الذي يمكن أن يجعل معنى لكل ليس هو المتعة أو السعادة ، ولكن شيئًا ما أبعد من ذلك، شيئًا ما قد تكون له هذه السعادة كنتيجة طبيعية، ولكن ليس هناك تأكيد لذلك.

وكما هو متوقع، فإن لبعض الناس ردَّ فعل ضد هذه «المعادلة» ؛ لأنهم يعتقدون أن قياس هذه الموضوعات المهمة شيء غير سار. ومع ذلك .. فإن المعادلة مقبولة، مع ابتسامة، وهذا هو المهم.

ويمكن صياغة المعايير الأساسية المرتبطة بالأهداف الثلاثة الممكنة ، كما يلي:

(1) تخير بديل العمل الذي يقدم أكثر متعة («مذهب المتعة»)! وفورًا، يبرز أمامنا السؤال: الأكثر بالنسبة لمن؟ الأكثر بالنسبة لي؟ أم بالنسبة للنرويج؟ أم للدول المتقدمة والنامية؟ أم لكل كائن حي؟ أم لجيلنا؟ على المدى البعيد، أم فورًا؟ أي نوع من المتعة؟

ماذا لو كان هناك بديل يعطي معظم المتعة، ولكن أيضًا بعض الألم؟ كيف يمكن إدخال الألم في الحساب؟ والإجابة الأكثر رومانسية: الحصول على الحد الأقصى من المتعة ، الذي يمكن تحقيقه على نحو أكثر إفادة بالبحث عن الموت فورًا بعد ذلك. يفضل المتشائمون – شوپنهاور وآخرون المعايير المصاغة سلبيًّا ، والتي تتحدث عن الألم بدلا من المتعة، مثل «تخير ذلك البديل الذي يعطي أقل ألمًا!»

تثير كل إجابة عن الأسئلة السابقة أسئلة أخرى: كيف نجد ما يعطي أقصى متعة؟ ما المنهجية الملائمة؟ وماذا لو كان هناك بديل ينطوي على

مجهود قليل ، ولكن يقدم في كل الاحتمالات متعة معينة متوسطة، بينما هناك بديل آخر يقدم وعودًا أخرى أكبر، ومتعة مكثفة أكثر، ولكن ينطوي على أوقات صعبة ، وفرصة قليلة للنجاح الحقيقي؟

تبدو المتعة (أو الألم)، كخبرة واضحة ومنفردة، مقصورة على وظائف فسيولوجية وروحية محدودة بشكل تام ، مثل : وخز الإبرة على القدم، شُرب الماء البارد في الجو الحار ، وخز الإبرة بالقرب من العين.. على أي حال، يمكن أن يسبب القلق، حتى الرعب، إذا رأى الشخص الإبرة تقترب. فإننا نشعر بموقف كلي محمل بالسلبية، ربما لمدة ثوانٍ قليلة .. الألم لا يذكر، ولكن الموقف غير السار.

ويمكن القول بأن لفلسفة تكنولوجيا الإدارة وفلسفة المتعة بعض الخصائص التي تجعلهما رفيقتين جديدين. على سبيل المثال، فإنه من المؤكد في بعض الدوائر الطبية أننا قد ذهبنا بعيدًا جدًّا في سعينا للتخلص من الألم ، عن طريق المساعدات التقنية في معيار ضمني، تسعى تكنولوجيا ثقافتنا لتحقيقه. ولكن ذلك قد يدمر الصحة الجيدة، ويؤدى للمعاناة (بمعنى متسع) التي هي أسوأ من إعطاء جرعة من الألم.

(2) ماذا عن السعادة، والرفاهية، وكحد أقصى ، joy a la hilaritas في مصطلحات سپينوزا. هذه التعبيرات ترتبط، كما هو مفهوم هنا، بالمواقف الكلية المستمرة. ويؤدي التفكير الجشتالتى - بالضرورة - من معيار المتعة إلى معيار السعادة هذا .. والرفاهية ضد ، على سبيل المثال، للكساد تختص بالكليات.

«ابحث عن السعادة» يتم تفسيرها من آن لآخر «بابحث عن النجاح»، بتعريف «النجاح» كنتاج مادي للرفاهية، وبالتالي مستقل عن الحياة

العاطفية. وكما هو مفهوم هنا .. فإن السعادة، أو الرفاهيـة، لهـا بعـد مـن العاطفة الايجابية، وأساس من الابتهاج.

ونستطيع في سياقنا تعريف السعادة أو الرفاهية كشيء مليء بالإيجابية.. موقف أو حالة كلية مستمرة. بعد الجري لمسافة عشرين ميلا ، فإن العداء في الماراثون يمكن أن يشعر مع ذلك بأنه سعيد، وحتى مبتهج على الـرغم من أن كل مشاعره هـذه هـي متغـيرات مـن الألم. وإذا كـان أداء العـدَّاء أفـضل بكثـير مـن المتوقـع، فإنـه يـشعر بـأن شـيئًا مهـمًّا جـدًّا يحـدث. وكجشتالت (كرؤية كلية)، فإن الموقف الكلي إيجابي، عـلى الـرغم مـن أن جزءًا معينًا قد يكون سلبيًّا، مثال : العداء قد يكون خسر الـسباق، أو قـد يكون مجهدًا كليًّا.

(3) يبدو أن تعاليم سپينوزا بخصوص الطبيعة الإنـسانية تجـادل في أن الزيادة في الإتقان والابتهاج يندمجان في كليـة واحـدة، جـشتالت؛ حيـث تكون الزيادة مرتبطة داخليًّا بالابتهاج. والابتهاج كشعور هـو فقـط شيء مجرد ، والإتقان لـيس أكثـر مـن كـشف لـشيء، يقـع في أعـماق الطبيعـة الإنــسانية (انظــر سپينوزا ، الأخــلاق (1949) ، 3PIISch ، و نــايس (1975).

وهذا يقودنا إلى تصنيف كبير من المعايير الأساسـية، معـايير الإتقـان، ويتم تفـسير المـصطلح عـلى أسـاس الدلالـة الرئيـسية للفعـل اللاتينـي *perficere*، ينجز، أو يقوم بالعمل وفقًـا للمطلـوب. ويميـل كثـيرون إلى تحديد الأداء، أو الإنجاز كقـيم أساسـية. «الـسعادة؟ الرفاهيـة؟ لا أريـد شيئًا.. قد أصبح سعيدًا إذا وجدته، ولكن ربما لا.»

كان سير صامويل وايت باكر، مصممًا على اكتشاف مصدر نهر النيـل. وقد تحمل المعاناة بيسر، ولم تغـير فكـرة وفاتـه المحتملـة في الرحلـة مـن

موقفه. وهناك آخرون لديهم معايير أخرى من الإتقان: أن يصبح غنيًّا ويعجب به الناس؛ وأن يقوم بالعمل على أساس من الكرم والحب؛ وأن يكون عادلا؛ وأن ينفذ واجبته وفقًا لأفضل قدراته؛ وأن يضحي بنفسه تماما من أجل شيء ما.

ويفترض من يُسمون بالوجوديين معايير مهمة ضمنية من الإتقان، ويصيغون إجاباتهم على «ما البشرية؟»، «ما الحالة البشرية المحددة؟» بطريقة وصفية، ولكن موظفة كمعايير. إذا قال الوجودي أن شيئًا ما هو بشري بشكل أصلي، وشيئًا ما آخر غير أصلي، فالعباراتان تبدوان، بالنسبة لهم معايير.

ويمكن أن يقيم دعاة الكمال المتعة والسعادة بدرجة كبيرة، ولكنهم يرفضون اعتبارها أهدافًا نهائية. وفي ضوء تكتيكي صرف، فإنه ليس هناك معنى في الاستمرار في «استجلاب للوعي» معايير المتعة والسعادة، حتى عندما يفترض أنها أساسية، فإنها تمهد للناظرين إلى الذات (هل أنا سعيد؟) الطريق للسلبية والإحباط. وتميل معايير المتعة على وجه الخصوص لأن تؤدي إلى الرضا الذاتي واستثناء كل الأنشطة، التي يشوبها الكره أو الألم. ويؤكد الباحثون في الجانب النظري للإتقان أن الرفاهية عادة ما تنتج عن حياة نشطة، حتى لو استلزم نشاط الفرد كثيرًا من الألم.

هناك دائما عبارات بارزة معينة، تشير إلى أكثر الأهداف جوهريةً لتنمية أخرى لأي مجتمع. ومن المفهوم ضمنًا أن الأعضاء، كأفراد، يمكنهم أن يحققوا «الحياة الجيدة» من خلال هذه التنمية. وفي إسكندينافيا،استخدمت عبارات: الرفاهية، والرخاء ومستوى المعيشة بكثرة. وداخل حركة البيئة العميقة، فإن عبارة «نوعية الحياة» لها الآن مكان مركزي.

لكن مثل الوجوديين ، فإن «مصداقية الحياة»تترك الكثير جدًّا مفتوحًا. كيف ترتبط بالأنواع الثلاثة الرئيسية للأهداف العليا: المتعة، والسعادة والإتقان؟ ولا أرى كيف نتجنب السقوط في الفئة الثالثة ، وهذا يعني أن الصفة الشخصية للحياة هي إلى حد ما متناسبة مع الدرجة ، التي يتم الوصول بها للأهداف الشخصية الأساسية (غير المعرفة في ضوء المتعة والسعادة). ويجب أن تعرف نوعية الحياة إذًا في مجتمع، في ضوء نوعية حياة أعضائه . ومرة أخرى ، هناك انفتاح كبير للمفاهيم المختلفة للأهداف، أي طريقة المرء الخاصة (svamàrga).

(5) تحقيق الذات كمعيار أعلى ومصطلح مهم لهدف نهائي:

يستخدم مصطلح «تحقيق الذات» في تنظيم الفلسفة البيئية T ؛ للإشارة إلى نوع من الإتقان. ويتم تصوره كعملية، ولكن أيضًا كهدف نهائي، في استخدام خاص لكلمه«النهائي». إنه نهائي بشكل منطقي في شرح تنظيمي للفلسفة البيئية T ، ويشمل المصطلح تحقيق الذات الشخصي والمجتمعي، ولكن من المفهوم أيضا أنه يشير إلى كشف الواقع ككل.

يجعل إبهام وغموض المصطلحات المهمة مثل «تحقيق الذات»الاشتقاق في أي معنى دقيق أمرًا مستحيلًا. لذلك .. فإنه من المهم توضيح أي اتجاه في التفسير، أو – بمعنى أفضل في الدقة – يتم اختياره. ولكن على الرغم من أهمية هذا المصطلح ، فقد لا يكون من الحكمة إعطاؤه معنى محددًا جدًّا ، ويجب أن يكون تفسير العبارة ذات المعيار الأعلى والعبارات الأخرى عملية متصلة ؛ حيث يتفاعل التعديل المبدئي في مستوى واحد ، مع التعديلات الدلالية المبدئية في المستويات الأخرى.

الوسيلة الدلالية الرئيسية المستخدمة ؛ لتكييف المصطلح «تحقيق الذات» مع الفلسفة البيئية T تكمن في تحديد دقيق لهذه الاتجاهات:

T_0 - تحقيق الذات

T_1 - تحقيق الأنا

T_2 - تحقيق الذات (بالحرف الصغير s .. self-realisation)

T_3 - تحقيق الذات (بالحرف الكبير S.. Self-realisation)

وهذا النوع الأخير من المفاهيم معروف في تاريخ الفلسفة ، تحت أسماء مختلفة: «الذات الشاملة»، «المطلق»، «الكينونـة الفرديـة *àtman* ».. إلـخ. ويستخدم كثـير مـن اللغـات الإندوأوروبيـة مـصطلحات متطابقـة مـع المصطلح الإنجليزي «الذات»بالمثل.

في التفكـير الفـردي والنفعـي الـسياسي الـسائد في الـدول الغربيـة الـصناعية، تـستخدم المـصطلحات : «تحقيـق الـذات»، «تعبـير ذاتي»، «مصلحة ذاتية» فيما سمى أعلاه «بتحقيـق الأنـا»، ونؤكـد عـدم التوافـق النهائي والمكثف لمصالح الأفراد المختلفين. «خبز رجل هو الموت لرجـل آخر»، وفي معارضة لهذا الاتجاه ، هناك اتجاهات أخرى تعتمد على نظرية، تقوم على أساس أن التوافق المتزايد يأتي مع النضج المتزايد للأفراد. وتميل الفلسفة البيئية بشدة إلى هذه الأفكار ، التي قام سپينوزا بتطويرها بـشكل ممتاز فى كتابـه «الأخـلاق» . وأفكـار سپينوزا عـن «حفـظ الـذات» (أو، بالأحرى المثابرة الذاتية) أكثر من ذلك دون مشاركة الفـرح والحـزن مـع الآخرين، أو بصفه أساسية ، دون تنمية الأنا الـضيقة للطفـل الـصغير إلى هيكل شامل للذات ، الذي يضم كل البشر. وحركة البيئة العميقة، مثلهـا مثل كثير من الحركات التي سبقتها، تتقدم خطوة أبعد ، وتطالـب بتنميـة تماثل أعمق (انظر الفصل السابع) للأفراد ، مع كل أشكال الحياة.

إن تطوير أشكال الحياة، خاصة منذ حقبـة الكمـبري Cambrian era، تظهر درجة كبيرة من التوسع في رقعة الحياة والتنوع المتماثل في الأشكال ،

مستغلة المناخ والظروف الأخرى المختلفة. وليس هناك مجرد تكيف سلبي فقط أو حفظ الذات فقط بالمعنى الضيق. ولكن هناك على الأصح «تطور مبتكر» بمعنى هنري بيرجسون، ابتكار يعبر عن الهائل *élan vital*. ولذلك .. فإن المصطلح «التعبير عن الذات» أو تحقيق الذات مناسب بشكل أفضل من مصطلح حفظ الذات. ولو شعرنا أن مصطلح «الذات» غير ملائم، فيمكن أن نركز على التعايش مع الحياة أو التوسع في الحياة .. ولكن حينئذ نكون فقدنا العلاقة الجوهرية بين الذات بالحرف الصغير s ، والذات بالحرف الكبير S.

وبإيحاء من كانط Kant، يمكن للمرء أن يتحدث عن عمل «جميل» و«أخلاقي».ويحرك الأعمال الأخلاقية قبول قانون أخلاقي، وتظهر بوضوح عند التصرف ضد الرغبة .. المرء يتصرف بشكل جميل ، عندما يتصرف بشكل خير نابع من الرغبة، وحينئذ لا نشعر أن البيئة شيء غريب أو معادٍ ، ويجب لسوء الحظ أن نكيف أنفسنا معه، لكن ثمة شيئًا ثمينًا نميل إلى التعامل معه بابتهاج واحترام، والثراء الغامر الذي يجب أن نميل لاستخدامه ، لكي نرضي احتياجاتنا الحيوية.

وبافتراض أننا نرغب في أن يزدهر عمل الخير ، يؤكد البعض منا الحاجة إلى التعلم فيما يتعلق بالقانون الأخلاقي، ويؤكد آخرين الحاجة إلى مزيد من الفهم للظرف، الذي يصبح به الناس كلهم خير وثقة من خلال الرغبة الطبيعية. أنا أقوم بهذه العملية، لكي أكون ناضجًا بالإضافة إلى التعلم. وإذا كانت ظروف النضج سيئة، فإن عملية التطابق تكون مكبوحة ، وتتحول الأنانية بمختلف أنواعها إلى سمات دائمة.

لذلك .. فإن معيار «تحقيق الذات!» هو تعبير موجز لوحدة بعض النظريات الاجتماعية ، والنفسية ، وتتضمن نظريات علم الوجود:

الشمول والنضج الأكثر عمقًا للشخصية الإنسانية، بما يضمن العمل الجميل. وهذا يعتمد على مميزات الطبيعة الإنسانية ؛ فنحن لا نحتاج إلى أن نكبت أنفسنا؛ بل نحتاج إلى تنمية ذاتنا. الأعمال الجميلة طبيعية، وبحكم التعريف لا يمكن إدخالها من خلال احترام قانون أخلاقي ، الذي هو غريب عن التطور الإنساني الناضج. وتنشط زيادة النضج الشخصية بشكل أكبر في علاقة أكثر مع البيئة ، وينتج عن ذلك تصرف أكثر اتساقًا من النفس ككل ، ويكون كذلك مغزى كبير ومرغوب فيه ، حتى إذا كان مؤلـمًا أحيانًا.

ويقال إن المرء يطور نفسه عندما يتصرف بأنانية ، وعندما يطور المرء نفسه من خلال مميزات تؤدي إلى «الفوز»: ما أقترح في هذه الأحوال هو أن الناس تبخس من قدر أنفسها ، وشخصيتنا ليست ضيقة كما نعتقد ؛ فمصادر الابتهاج أعمق وأبعد من ذلك. فنحن لسنا في حاجة إلى أن ننمي الأنا، أو ننمى فكرة الفوز على الآخرين؛ من أجل تحقيق إمكاناتنا. ولسنا كذلك في حاجة إلى تجاهل أو كبح الأنا ؛ لكي نوسع أو نعمق الذات بالحرف الصغيرs في اتصالها بالذات بالحرف الكبير S.

وإنني أشعر أن هذه الطريقة في التفكير والتعليم ، تقود إلى عمل الخير نفسه ، أكثر من اللجوء إلى القوانين الأخلاقية.

لماذا يحاول أي شخص أن يجعل مصطلحًا واحدًا ، «تحقيق الذات» يغطي كل هذا؟ أنا لا أدعو أي شخص للسعي وراء هذا الهدف ، ولكن إذا نحن - بدلًا من مصطلح واحد - استخدمنا عشرة أو عشرين مصطلحًا مهـمًّا على المستوى النهائي نفسه ، فإننا قد نقع في مشكلة: التعقيدات التي تقابلنا عند إثبات الاتساق والأولويات، في حالة تضارب المعايير.

ويعكس الرفض الحتمي لبناء المصطلح الواحد المغالاة في تقدير غرض ووظيفة النماذج كأدوات. وإذا كان المطلوب كثيرًا من هذه الأدوات، فمن الأفضل العمل دونها، ولكن لا ينبغي إهمال الوضوح المتزايد وإمكانه التواصل ، الذي يأتي مع هذا الإيضاح.

الآن دعنا نفحص ما يمكن أن تكشف عنه توضيح نماذج النظام هذه ، وسنعود إلى شرح فكرة تحقيق الذات في الفصل السابع.

الفصل الرابع

الفلسفة البيئية ، والتكنولوجيا وأسلوب الحياة

(1) الوعي الفلسفي البيئي وأسلوب الحياة :

كيف يمكن تقييم الدور الحالي للجنس البشري على هذا الكوكب ، في ضوء الآراء الفلسفية العالمية في الماضي؟ لا يهم أن يكون أي منها من أكبر الفلسفات التي يعتبرها المرء فعالة ؛ لأنه سوف يتم تقييم دورنا الحالي بشكل سلبي ، وهى متعارضة مع أولويات القيمة كما أعلنتها تلك الفلسفات ، وهذا ينطبق على الفلسفة الأرسطوطية، والبوذية، والكونفوشيوسية والفلسفات العظيمة الأخرى في الألفيتين الأخيرتين.

في الفلسفات العظيمة، تتم التفرقة بين العظمة والضخامة .. العظمة مطلوبة، ولكنها ليست بالحجم الكبير ، وهناك إدراك لأهمية التكنولوجيا، ولكن القيم الثقافية لها الأولوية في الاعتبار ، ولا يمكن أن نجعل الحياة الجيدة تعتمد على الاستهلاك ، الذي يقوم على عدم التفكير.

والناس مطالبون في الفلسفات العظيمة، بمحاوله تقييم تبعات أعمالهم على المدى البعيد، ويجب أن يكون المنظور المستخدم عالميًّا في الزمان والمكان ، ولم يعتبر أي من الفلاسفة العظام علاقات السوق وأساليب الإنتاج كمصدر للمعايير لدولة، أو لمجتمع، أو لفرد. وهناك إدراك لأهمية العلاقات الاقتصادية ، ولكنها تُرى كجزء داخل شبكة العلاقات الاجتماعية.

والخلاصة التي توصلت إليها ، هي أنه لا يوجد رأي عالمي معلن ، يؤيد الدور الحالي للجنس البشري في العالم البيئي ، وليس للبيئية نظام فلسفي معلن تخشاه.

ولكن ذلك لا يقدم أي عذر فعّال في الموقف ، الذي تم وصفه في استهلال هذا الكتاب. والسؤال الذي يجب أن يثار: كيف يمكن للطرق المدمرة بيئيًّا ، ولكن «المؤسسة بشكل راسخ للإنتاج والاستهلاك» أن تتغير؟

وتعي قطاعات عريضة من الجمهور الأوروبي الآن الدمار الهائل ؛ ذلك أن موت الغابات الألمانية معروف جيدًا. ولكن القطاعات نفسها لم تكن قادرة، و لم تكن حتى جزئيًّا راغبة في أن تغير طرق الإنتاج والاستهلاك ، التي هي مؤمنة به عن طريق مقاومة الأفكار السائدة للتطور، والتقدم، ومستوى المعيشة . وهذه الأفكار التي تظهر كاتجاهات وعادات راسخة، تكون عوامل قوية تمنع التغييرات الموسعة وطويلة المدى ، وفي هذا الفصل ستتم مراجعة أسئلة عن العقل والتكنولوجيا، وفي الفصل التالي سأناقش تطور وتقدم الأفكار في الاقتصاد.

والشعار الرئيسي لأسلوب حياة الفلسفة البيئية : «بسيط في الوسائل، غني في الغايات»، لا يجب مواجهته بالمناشدات ؛ ليكون إسبارطيًّا (بعيدًا عن الترف)، وصارمًا ، ومنكرًا للذات.

ويقدر أسلوب حياة الفلسفة البيئية الثروة والغنى والترف، والوفرة. ولكن الفرح يُعرف في ضوء أسلوب الحياة، وليس بمستوى المعيشة. وعندما تجبر الظروف، الذين يتمتعون بأسلوب مرتفع من الحياة، على أن يتقهقروا لمجرد مستوى مرتفع، فإن التحول يمكن أن يكون مؤلمًا وخطيرًا لاحترامهم لذواتهم. والرخاء والغنى والترف والوفرة هي داخل إطار

عمل أسلوب الحياة ، التي تم تعريفها بحيث تكـون الخـبرات الشخـصية لهذه الحالات رئيسية، بينما يتطلب مـستوى الحيـاة مـن الأشـياء الجذابـة والمقبولة اجتماعيًّا في الوقت الحالي أن تقوم بتعريف «الحياة الجيدة».

إن التراجع من أسلوب الحياة إلى مستوى الحياة يقود سريعًا إلى النظـر المغالى فيه للميزانية.«كم يمكننا أن نتحمله؟ مازال حتى الآن تباع سـيارة أفضل، وفيديو أفضل، إلخ .. لكن هل يمكننا أن نتحمل كل هذه الأشياء للحاق بما هو أفضل؟»

ما هو «أفضل» من حيث الفلـسفة البيئيـة لـشخص مـا يـرتبط برأيـه الإجمالي. إذا قيل أن هناك كاميرا أفضل بكثير من الكاميرا الخاصـة بـك ، فقد لا يكون من المعقول شراؤها، وقد تكون على الرغم من ذلـك أسـوأ بكثير بالنسبة لك، ولن يشعر معتنق الفلسفة البيئية آنذاك بأي ندم؛ بسبب عدم امتلاكها.

(2) مساعدة مشتركة تجاه أسلوب الحياة للفلسفة البيئية :

«المستقبل في أيدينا»

يظهـر الـوعي الفلـسفي البيئـي الآن عـلى مـستوى أسـلوب الحيـاة الشخصي ، من خلال طرق المعيشة في تضاد درامـي ومثـير للـصراع مـع الطريقة السائدة للحياة في مجتمعاتنا الصناعية ؛ لأنـه بـسبب الـصراعات والمواجهات التي يحاول الأفراد أن يعيشونها بشكل مختلـف ويواجهونهـا بشكل حتمي .. *فإنه لا مفـر مـن وجـود مراكـز للمعلومـات ومـنظمات للأشخاص ، الذين يبحثون عن بدائل لمساعدة بعـضهم الـبعض.* هنـاك كثير من المنظمات حول العالم، ولكن قليلًا منها كان لـه تـأثير، عـلى نـسبة كبيرة من سكان البلد كتأثير الحركة ، التـي سـميت بحركـة «المـستقبل في أيدينا» في النرويج، والتي بدأها إريك دامان في عام 1973. وتضم مركـزًا

للمعلومات في أوسلو ، وعديدًا من المجموعات اللامركزية النشطة ، وننقل هنا أحد المبادئ الأساسية عنها:

... المحافظة على البيئة الطبيعية والبيولوجية الكلية، مع كون البشر جزءًا لا يتجزأ، شرط ضروري لتنمية نوعية حياة الجنس البشري، والمحافظة على المستقبل.

وتم توضيح هذا المبدأ كالآتي:

... أسلوب الحياة هنا يعتبر شيئًا غير متوافق مع المقاييس الصناعية والمادية التي هي ضرورية لإرضاء الحاجات الجوهرية، وثانيًا، أن الاعتبارات البيئية تعتبر شروطًا مسبقة لأسلوب الحياة ؛ لذلك ليست خارج المسئولية الإنسانية... إن أسلوب حياة الغالبية يجب أن يتغير؛ لكي يصبح المستوى المادي للمعيشة في الدول الغربية قابلًا للعالمية في هذا القرن. ولا يمكن تبرير الاستهلاك الزائد عن الذي يستطيع أي شخص أن يحققه في المستقبل المتوقع.

في عام 1975 تم إجراء اقتراع ، أوضح أن ثلاثة من كل أربعة نرويجيين يعتقدون أن مستوى المعيشة في النرويج كان عاليا جدًّا. أكثر من 80% من الذين تم سؤالهم، عبروا عن رأيهم بأن نموًّا أكثر في الإنتاج والاستهلاك سيعني مادية أكثر، وبضائع غير ضرورية أكثر ، كما أنه أكثر ضغطا وخطرا على الصحة في أماكن العمل، وتلوثًا أكثر ومدنًا غير إنسانية أكثر. (دامان، 1979، ص 14). في عام 1975، كان مفهوم أسلوب الحياة غير معروف بشكل كبير ، ولكن الإجابات أوضحت الحاجة إلى مثل هذا المفهوم.

يربط «المستقبل في أيدينا» بشكل عملي الوعي وتغيير أسلوب الحياة بالعمل المباشر ، ولا يمكن لمحاولات التغيير في أسلوب الحياة أن تنتظر تنفيذ السياسات ، التي تجعل مثل هذا التغيير بطريقة أو بأخرى مطلوبًا. والحاجة إلى نظام جديد أولا، تكون مضللة ويمكن أن تؤدي إلى السلبية. وينطبق الشيء ذاته على تغيير أسلوب الحياة الشخصي أولا، وعلى العزلة

الناتجة عن العمل السياسي. هذان التغيران يجب أن يتقدما معًا ، ويجب أن تكون التغييرات من الداخل ومن الخارج، جميعًا في شيء واحد.

الجدل فيما يتعلق بأهمية التغيير في الوعي معتم ؛ نتيجة الفشل في التفرقة بين التغيير ، وهذه الإستراتيجية المناسبة أكثر لإحداث هذا التغيير. ويمكن أن يكون هناك انسجام كامل فيما يتعلق بالحاجة الملحة لهذا التغيير، بينما قد تعتبر محاولات التغيير المباشرة، عن طريق العزف على الأخلاقيات، على سبيل المثال، غير مؤثرة. وفيما يلي، تم أخذ التغيير في الوعي بشكل جاد، على الرغم من أن المنهج المباشر، مثل : المناشدات، والمعلومات، والعمل الإنساني والتعليم، فإنه لا يفترض أن يكون الوسيلة الوحيدة أو الوسيلة الأكثر فعالية. يجب تفسير التغيير جوهريًّا «كمتغير تابع» ، وربما تكون تغييرات في متغيرات معينة - والتي تؤثر بالتالي في الوعي - هي الأكثر فعالية، مثل: تغيير مباشر في السياسات الاقتصادية. ولكن يمكن فقط تنمية الرغبة السياسية في التغيير بين الناس والسياسيين، من خلال الوعي المتزايد لعدم معقولية الوضع الراهن.

يؤكد بعض الماركسيين أن كلام «المستقبل في أيدينا» عن تخفيض الاستهلاك يخدم الرأسمالية المحتكرة ، وأنها لذلك رجعية: الإهدار هو نتيجة للنظام الاقتصادي الحالي، ويمكن أن يغير إبدال النظام فقط من نمط الاستهلاك. ولكن تم إنكار هذا النقد من قبل آخرين ، الذين يعتنقون المادية الجدلية. ويكتب ستاينر برين في *أسلوب الحياة الجديد*:

إنه من الصواب أن نقول إن نظامنا الاقتصادي هو سبب نمط استهلاكنا، ولكنه من الرجعية أن نستخلص من ذلك أن المستهلك هنا لا حول له ولا قوة. وللتأكيد على عدم جدوى فصل المنافسة ضد أنماط المستهلك الحالي كشيء مشروع عن المنافسة ، في حد ذاتها ، في النشاط السياسي يؤدى إلى النظرية الميكانيكية للسبب / النتيجة ، فيما يتعلق بالظروف المجتمعية والمادية والأعمال الإنسانية ؛ فالمرء إذًا يتغاضى عن الناس أنفسهم كقوة ابتكارية دافعة

في التاريخ ، فالأفراد ومجموعة الأفراد قادرون على قيادة النضال لتغيير أنفسهم، وأسلوب حياتهم وظروفهم المعيشية.

«المستقبل في أيدينا» لا يجعل المشكلات السياسية خاصة، ولكنه بالأحرى يقاوم التقييم البخس للمبادرة الشخصية وقوة وقدرات الفرد ، والحركة موجهة نحو الفرد. وإذا أردنا أن نأمل في عكس الاتجاهات الحالية، فلابد أن نكون جبهة مشتركة، بين نشطاء التوجه الفردي ونشطاء التوجه النظامي.

ويمكن للمرء أن يحرر نفسه من وعي الربح والاستهلاك ، على الرغم من الضغط المستمر من جانب نمط الإنتاج ، الذي يعتمد على هذه العقلية. وتعتمد جماعات المعارضة على إمكانات الحرية الجديدة ، وتعير أهمية كبيرة لأفكار ومشاعر الفرد. ويؤكد دامان أن الذى يهدئ من الروع هو فقط لوم النظام:

لقد سمعت مرات لا تعد ولا تحصى عند مناقشة صعوبات الدول المتخلفة: «إنه خطأ النظام...»ولكن ما الجدوى من هذا القول؟ بالطبع النظام سيء .. إنه سيء لدرجة أنه لا يمكن أن نصدق تمامًا أنه مازال موجودًا ، على الرغم من أن الكل يقول إن تغييرًا يجب أن يحدث. ولكن من يملك سلطة الاحتفاظ بالظروف ، كما هي في بلادنا الديمقراطية؟ ومن السهل جدًا أن ندعي أن الرأسماليين والمديرين الصناعيين والبيروقراطيين والسياسيين هم فقط ، الذين لديهم سلطة المحافظة على النظام ، الذي يتخذه مجتمعنا ومستوى معيشتنا كأساس. في غالبية الدول الغنية، يكون للناس الحرية في الحث على التغييرات، إذا ما رغبوا في ذلك. ومن البدهي أن الديمقراطية غالبا ما ينقصها الكثير، ولكن ذلك ليس مبررًا للشك في أن التغييرات ستحدث في النرويج ، إذا رغب النرويجيون حقًا فيها (دامان، 1979)

وبإيجاز، فإنه لا ينتج من معيار «أن النظام يجب تغييره!» أنه لا ضرورة لتغيير الوعي! والنظرية أن «النظام يغير كل شيء» لا يؤدي إلى «الوعي لا يغير شيئًا».

يتكون تغيير الوعي المشار إليه من تحول إلى اتجاه، أكثر مساواة نحو الحياة والكشف عن الحياة على الأرض ، وهذا التحول يفتح الباب أمام حياة أكثر ثراءً وأكثر إشباعًا للإنسان المعاصر *Homo sapiens* ، ولكن هذا لا يكون بالتركيز على هذا الإنسان *Homo sapiens* ، وينشأ هذا الاتجاه، من خلال صورة حقيقية لوجودنا.

(3) تأثيرات تغير العقلية :

دون تغيير في الوعي، تتم معايشة الحركة البيئية كقائمة، لا تنتهي من التذكير: «يا للعار، لا يجب أن تفعل ذلك» و «تذكر، غير مسموح لك أن ...» ويمكن أن نقول مع تغير في العقلية «فكر كيف سيكون رائعًا ، إذا وعندما...» «انظر هناك! يا للأسف، أننا لم نستمتع بذلك من قبل...» إذا استطعنا أن ننظف قليلا من الداخل ، بالإضافة إلى الخارج، فإنه يمكن أن نأمل أن تكون الحركة البيئية أكثر من حركة مجددة وباعثة على المتعة.

ومن الخطر الاعتماد فقط على عملية سياسية ، تؤدي إلى تأثير حاسم وأخضر (إيجابي) على الحكومات. وكان النقد الماركسي السابق «للمحافظة الكلاسيكية على البيئة» قيمًا، طالما أنه كان يؤكد أهمية الاشتراك السياسي. ومن الواضح، على أي حال، أن كثيرًا من المجلات والجمعيات المخصصة للطبيعة يجب أن يترك حرًّا بشكل كبير ، بعيدًا عن الدعاية السياسية والأخلاقية ، فهذه المجلات و الجمعيات، تتبنى وتشجع محبي الطبيعة، ولكن قد تسقط عضوية هذه الجمعيات، إذا تم تعزيز الخط السياسي مع صفحات من الأخبار المقلقة والاجتماعات الطويلة والمملة المطلوبة.

ومن المهم بالنسبة لمن يعمل داخل الحركة البيئية، ألا يكون انتشاره ضعيفًا .. ولكن يجب أن يركز جهوده في مهمة واحدة أو مهام قليلة . ويركز

البعض بشكل جوهري على زيادة الوعي، والتداول بخصوص العقلية والأيديولوجية، بينما يختار آخرون العمل على تغيرات مباشرة للظروف الاجتماعية والاقتصادية في الصناعة، وصيد الأسماك، والزراعة ومجالات أخرى للحياة العملية. ويعد التقليل من قيمة جهود الآخرين داخل الحركة الكلية شرًّا، يجب تجنبه بأي ثمن .. لا طائفية! و«المستقبل في أيدينا» يعي المشكلة الرئيسية في التنمية ، التي تضع النمو الاقتصادي وزيادة الإنتاج قبل كل شيء آخر. وتشجع الحركة خفض الاستهلاك الفردي الكلي، وسوف تحاول عن طريق المعلومات، والوعي المتزايد والتأثير المشترك أن تحرر الفرد والمجتمع من ضغط المستهلك ، الذي يجعل من الصعب بالنسبة للسياسيين أن يدعموا سياسات أفضل ومجتمعًا أكثر صحة.

إن ضرورة بذل الجهود لتغيير العقلية مرتبط - بشدة - بضرورة بذل الجهود المنظمة لتغييرات عميقة في هيكل المجتمع ، كما يجب التنسيق بين هذين النوعين من الجهود، وألا يستقطبا ضد بعضهما البعض.

دعنا نتخيل أن أحد أساليب الحياة وتغييرات الوعي التي شجعها إيرك دامان قد حدثت: إذا تم خفض الإهدار بنسبة 50% ، فإنه ستكون لمئات المصانع مشكلات في البيع ، وربما خلال عام تتضاعف البطالة. هذه تبعات غير سارة أخرى يمكن تجنبها فقط ، إذا تم ضم هذه التغييرات مع تغييرات أخرى، والأهم في هذه الحالة هو إصلاح الإنتاج ؛ لكي يبدد شبح البطالة. ولتجنب التبعات غير المرغوبة، فإنه من المفيد الأخذ في الاعتبار خفض الاستهلاك الشخصي كجزء من نمط إجمالي للحياة ، والذي يضم أيضا الاشتراك السياسي.

وبعد أن يتم تنفيذ تغييرات مهمة في أسلوب الحياة، من خلال التناقضات اليومية الساطعة مع أسلوب الحياة السائد ، فلندع إلى احتجاج

عام. ويشعر المرء كأنه ضحية لمحتل يدمر البلد ، ولكنه من الواضح – أيضًا – أن تنفيذ تغيير مهم هو مهمة طويلة وصعبة ، طالما أن الاتجاهات السائدة قد شُكلت لمقاومة هذا التغيير ، ومن المستحيل بشكل عملي عدم «اللجوء إلى العلانية».

(4) التكنولوجيا وأسلوب الحياة :

لقد نتجت عن تطور التكنولوجيا في المجتمعات الصناعية الحديثة ضغوط مستمرة ، تجاه نوع من أسلوب الحياة البغيض ، ليس فقط لمؤيدي حركة البيئة العميقة ، ولكن لأغلب الحركات البديلة (الجين، 1981). وبعض الأسباب وراء هذه المواجهة واضحة تمامًا: التكنولوجيا الصناعية الحديثة هي عامل تمركز، فهي تميل نحو الضخامة، وتقلل المنطقة التي يستطيع فيها المرء أن يقول «ما هو مصنوع ذاتيًّا مصنوع جيدًا»، كما أنها تربطنا بالأسواق الكبيرة ، وتجبرنا أن نسعى وراء دخل متزايد بشكل دائم. والتكنولوجيات الإدارية متناسبة مع التكنولوجيات المادية ، وتشجع العلاقات غير الشخصية أكثر وأكثر.

وأولئك الذين يقاومون هذه التطورات الحديثة لديهم رموز تكنولوجية مشتركة: الدراجة، والخبز المخبوز في المنزل، وإعادة تدوير البضائع. وفيما يلي ، سوف أذكر فقط بعض المبادئ، ولكن بخلاف ذلك سأشير إلى الجزء المتزايد من المادة المطبوعة المهمة ، التي تغطي أجزاء من هذا المجال الضخم والمعقد من البحث: التكنولوجيا، أسلوب الحياة، الاقتصاد، والسياسة. وتواجه حركة البيئة العميقة يوميًّا قضايا في هذا الحقل.

إن وعي الطاقة يعني الوعي باستخدام مصادر محدودة، والسرور في القدرة على إشباع احتياجات الطاقة، والقلق بشأن الفضلات وبشأن الفقراء والمعدمين، الذين تشكل احتياجات الطاقة بالنسبة لهم تهديدًا

رئيسيًّا. بينما نحن، الذين ليسوا بالفقراء، نعيش في علاقة وثيقة ومباشرة مع الطبيعة ؛ حيث ننشط في توفير الطاقة من مصادر طبيعية، ويضيف وعي الطاقة إلى الشعور والخبرة بثراء الأرض.

في الحياة الصناعية الحديثة، يسحب الماء الساخن بكميات ، دون الشعور الرائع بالثراء ، أو دون الشعور بالسرور للاستمتاع بالتبذير أحيانا. وهذا ينطبق حتى بين الذين يعملون من أجل المحافظة على الماء والذين هم واعين بالكامل ، حتى ولو بشكل مجرد بالأزمة الحادثة نتيجة للاستخدام الطائش لمورد محدود.

في البلاد الإسكندنافية ينمو وعي الطاقة منذ الطفولة ، من خلال الحياة في أكواخ، كجزء من الحياة الحرة الكلاسيكية *friluftsliv* (انظر الفصل السابع، ص. 177). وعند العودة من الكوخ للعيش بالطرق «العادية» باستخدام الطاقة، فإن عدم الشعور بالسرور بالثراء، وكذلك الإهدار الذي لا يصدق يكون له دائما تأثير قوي . ومن الواضح أن تقاليد الكوخ هي أحد أكثر المصادر الفاعلة للفلسفة البيئية للتيقظ الدائم ، تجاه سوء التصرف المدمر للحياة الحديثة ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن الاستهلاك الخاص للطاقة في النرويج يمكن تخفيضه بنسبة 80% ، دون التأثير على إشباع الاحتياجات، ومع زيادة الشعور بالاستمتاع بوعي الطاقة. ولكي نكون واقعيين، فإن التغيير يجب أن يأخذ سنوات حتى أجيال كثيرة، ولا يوجد في الوقت الحالي اتجاه قوي في صالح أسلوب الحياة ، الذي يشمل مباهج الطاقة.

وعند بعض الأقليات المهتمة بالفلسفة البيئية ، في كثير من الدول الصناعية ، نجد أن استخدام الخشب في التدفئة كان في تزايد سريع ؛ خصوصًا إذا كان الخشب قد تم جمعه بصفة شخصية ، فإنه يساند وعي

الطاقة المبهجة. وفي هذا الموقف ، كما هو في كثير من المواقف الأخرى، هناك احتياج إلى قدر معين من المعرفة ؛ من أجل تجنب نتيجة غير بيئية: التلوث المفرط في الغلاف الجوي. ومرة أخرى، هناك حاجة إلى اهتمام فاعل: يجب أن يفكر المرء في الاستخدام المناسب للتهوية.

وينطبق نقد الفلسفة البيئية أعلاه «لمتوسط» أسلوب الحياة الصناعي ، بتأكيد أكثر على متوسط أسلوب الحياة للصفوة الاقتصادية. وأسلوب الحياة الأنيق ، الذي يمكن أن نعرف عنه ، تحت عنوان «الحياة» في مجلة التايمز ، قد يكون من الملائم أن يكون عنوانها «الموت»، حيث إن العالمية وتنفيذ المعايير يعنيان نقصًا فاجعًا في ظروف حياة معظم أنواع الكائنات الحية.

(أ) عدم وجود التقدم التقني الصرف :

عندما يكتشف ما يسمى بالتطور «التقني الصرف»، فإنه يفترض بشكل زائف أن الفرد والمجتمع يجب أن ينظموا أنفسهم طبقًا لذلك: وجزئيًّا، تحدد التقنية تطورها ، وتتم معاملتها كما لو كانت مستقلة. وهناك مجالات معينة تابعة للتطور التقني ، يمكن تفضيلها ، وأخرى تعوقها الوسائل السياسية، ولكن عندما يحدث تقدم معرفي وتقني مفاجئ، فإنه يتوقع منا أن نطابق ونكيف المجتمع بشكل ملائم في أسرع وقت ممكن.

«يجب أن يكون بسيطًا نسبيًّا» لحل - على سبيل المثال - المشكلات الاجتماعية للآليات، من «خلال إعادة التعليم والتدريب المنظم ، داخل إطار الهيئات ، التي تعمل بتوسع للمصلحة العامة »، ويقال إن مجموعات ضغط معينة تحاول أن توقف وتأخر هذه «التنمية الطبيعية». إن استخدام كلمة «طبيعية» هو تفسير نموذجي للمجتمع ، كما هو خاضع لقوانين الطبيعة من صنع الإنسان ، التي يجب أن يخضع لها البشر . وعندما يتم

عمل «تقدم» تقني في دولة صناعية قيادية، فهل من الطبيعي أن تكيف آلاف من الثقافات والثقافات الفرعية، في هذا العالم، نفسها في النهاية مع تقدم إحدى المجموعات؟

وأحيانًا يفترض في المطبوعات الماركسية، أن التطور التقني لوسائل الإنتاج يقرر بشكل أساسي كل أنواع التطور الأخرى ، وأن أسلوب الإنتاج يمكن ألا يساير وسائل الإنتاج: وهذا «التناقض» يجب أن يحل ، بل سوف يحل عن طريق إصلاح أسلوب الإنتاج (مصطلح ماركسي واسع يشمل العلاقات الاجتماعية)، وليس *التقنيات*.

وحتى في مجتمع تقليدي ذي مهام تقنية ، فإنه من «غير الطبيعي» (في معانٍ كثيرة للكلمة) أن نوقف البحث عن التحسينات التقنية ، فهذا ضد طبيعتنا الفاعلة، وتطورنا الشخصي والثقافي. على أي حال، فإن *تقييم* التغيير التقني في هذا المجتمع يكون نسبيًا ؛ فهو نسبي للأهداف الاجتماعية والثقافية. فإذا أشار شخص فني إلى جزء محدد من الآلة ، وقال: « الآن يمكنكم أن تروا التقدم التقني الصرف!»، فإن ذلك يمكن تفسيره فقط كمحاضرة مكثفة. ولإثبات أن التقدم قد تم، فإن من الطبيعي ألا يقصر هذا الفني الدلالة على تشريح أجزاء الآلة ، ولكنه سيوضح وقت العمل الذي تم توفيره ، والتبعات الاجتماعية الأخرى.

وتتضمن التحسينات التقنية تحسينات داخل إطار عمل النمط الثقافي، وهذا النمط الذي يهدد إطار العمل لا يجب تفسيره كتحسين، ولذا يجب أن يتم رفضه وفي المجتمعات الصناعية؛ إذ لا نأخذ هذه التبعات الاجتماعية في الاعتبار بدرجة كافية .. ليس هناك شيء يعرف بالتقدم التقني الصرف.

إن الذين يؤكدون ضرورة أخذ منهاج التطور التكنولوجي - سواء رضينا أم أبينا - مخطئون تاريخيًّا و عمليًّا. لماذا ، على سبيل المثال، لم تغير الاختراعات التقنية المتقدمة في الصين القديمة، من حيث الهيكل الاجتماعي؟ إن المجتمع قادر على رفض تقنية أكثر «تقدمًا» أو «أعلى» بسبب تبعاتها الاجتماعية أو بسبب تبعات أخرى. ولقد رفض الصينيون ثنائية البنوك وآلات زراعية معينة لهذا السبب نفسه ، ونقص التقييم النقدي للتقنية هو نذير بانحلال المجتمع ، ويجب اختبار التقنية *ثقافيًا*.

ويتم توجيه التقنية في البلاد الصناعية عن طريق اعتبارات اقتصادية على نطاق ضيق لصفوة قليلة من السكان ، كما يتم دفع التطور «التقني» في اتجاهات غير مماثلة إلى حد بعيد كاستجابة لأسعار المواد الخام المختلفة وللطاقة، وللتكلفة وبناء القوة العاملة. وعجزنا في مسألة «التطور» التقنية هو خرافة - خرافة مفيدة جدًّا ، بالنسبة للذين يقدمون التكنولوجيا الحديثة الباهظة الثمن .. لقد تم اختيار التكنولوجيا، ولكن ليس عن طريق اعتبارات المجتمع ككل.

ويتحدث البعض عن قوانين للتنمية التقنية ، التي تكون مستقلة عن العوامل الأخرى. وقد تقدمت الاعتراضات ذات الشأن لهذا الرأي في السنوات الأخيرة ، ففي الدول الرأسمالية اليوم (بما فيها روسيا برأسمالية دولتها) ارتبط هامش الربح الكبير في الزراعة ارتباطًا وثيقًا بالتكنولوجيا، التي تنطوي على طلبات مكثفة على البيئة، والتي على المدى البعيد تؤدي إلى القضاء على التربة.

إن التطور التقني هو جزء من التطور الكلي، ويشارك في تفاعل وثيق مع مجموعة من العوامل. ويقدم علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية

والمجالات بالدراسية الأخرى المرتبطة به أمثلة عن كيفية تأثير الاتجاهات الأيديولوجية، وخصوصًا الدينية في اتجاهات التغيير التقني. وقد أهمل هذا الموضوع في مدارسنا التقنية ، ولكن اختراق فكر الفلسفة البيئية يعنى إحياء للقدرة التقنية المقدمة إلى مثاليات الفكر العالمي ، ويمكن إعادة صياغة الفكرة كتقنية مقدمة للتقييم في النظم المعيارية.

إذا قيل إن التقنية تعبر عن إصلاح أو تقدم تقني ، فإن كثيرًا من الاختبارات يكون ضروريًا . وهنا يجب أن تثار بعض الأسئلة (انظر أيضا ديڤال وسيشنز، 1985، ص. 35)

(1) هل يؤدى إلى الصحة، أم هو خطير على الصحة؟

(2) كيف يكون ذا مغزى، وقادرًا على التغيرات، ومفضيًا إلى تقرير المصير والابتكار من جانب العامل؟

(3) هل يقوي التعاون والانسجام مع العاملين الآخرين؟

(4) ما التقنيات الأخرى التي تحتاجها التقنية ؛ لكي تكون فاعلة ، كجزء من وحدات أكبر من التكنولوجيا؟ وما نوعية هذه التقنيات؟

(5) أي مواد خام يكون لا غنى عنها؟ هل هي متاحة على المستوى المحلى أم على مستوى المنطقة؟ ما مدى سهولة الوصول إليها؟ أي أدوات يكون لا غنى عنها؟ وكيف يمكن الحصول عليها؟

(6) ما مقدار الطاقة التي تحتاجها التقنية؟ وما مقدار الفاقد؟ وما نوع الطاقة؟

(7) هل التقنية عامل ملوث بشكل مباشر أو غير مباشر؟ وما مقدار التلوث وما نوعه؟

(8) ما مقدار رأس المال اللازم؟ وما مقدار كبر المشروع؟ وما مدى حساسيته في أوقات الأزمات.

(9) ما مقدار الإدارة المطلوبة ؟ وما مقدار اعتمادها على الترتيب الهرمي؟

(10) هل تعزز المساومة أو الفروق الطبقية في مكان العمل ، أو تعززها أكثر بشكل عام ؟

يفتتح لانجدون وينر الفصل الأول من كتابه « التكنولوجيا المستقلة» (1977) باقتباس من پول ڤاليري فيقول: «إذًا فالمسألة كلها أسفرت عما يلي : هل يستطيع العقل البشري أن يسيطر على ما صنعه العقل البشري؟» افتتاحية ممتازة، ولكن يمكن أن نضيف أنه ربما لم يوجهه أي شخص أو أي جماعة أو أي مجموعة من البشر الاتجاه العام للتطورات التكنولوجية الحديثة ، وقد يكون متطورًا بشكل كبير «بواسطة ذاته» .

(ب) «الأزمة التقنية يمكن حلها تقنيًا...» :

هناك افتراض منتشر في الدوائر المؤثرة للمدن الصناعية ، وهو أن التغلب على الأزمة البيئية هو مشكلة تقنية، لا تستلزم مسبقًا تغييرات في الوعي أو النظام الاقتصادي ، وهذا الافتراض هو إحدى دعائم الحركة البيئية الضحلة.

ويقال أن معارضة المزيد من النمو الاقتصادي في الدول الصناعية غير ضرورية ، وأن النمو المستمر غالبا ما يؤخذ على أنه شيء حتمي . وسوف يقلل التطور التقني من التلوث لمستويات، يمكن تحملها وتمنع الاستنزاف الخطير للموارد ، وربما تموت الغابات الحالية ، ولكننا نستطيع أن نجد أو نخلق نوعًا جديدًا من الأشجار ، التي تزدهر على الأمطار الحمضية، أو قد نجد طرقًا للعيش بالكامل دون أشجار.

إن حكوماتنا مطالبة باستمرار بتقديم شروط جيدة ومتفتحة للصناعة المركزية، عالية التقنية التي تمتثل لقوانين السوق العالمي والنمط السياسي للبلاد الصناعية المهيمنة الشرقية والغربية ، ويكون الأسلوب «الموجز»، الواقعي والمهني على مستوى منفصل عن مناقشة القيم.

إن الذين يعتقدون في إمكانية حل تقني غالبًا ما يحجمون عن مناقشة التحول الجذري للتكنولوجيا المعتدلة. وهناك طلب قليل على السوق، فلماذا إذًا القلق؟ والسوق يفضل تكنولوجيا العتاد المادي: مصادر طاقة جديدة ضخمة، ومزيد من «برامج الفعالة» المفرطة ، التي تعتمد على التمركز، أو الحلول التقنية لنمو السكان.

قد أوضح دبليو. موديل، إم دي، في نيويورك، لمجموعة من مصنعي مستحضرات الصيادلة أنه بدراسة الكائنات الحية ، التي تعيش في الغلاف الجوي السام للبراكين أو في مياه النبع التي تصل إلى تقريبا درجه الغليان ، يمكن أن نجد مواد، تستطيع أن توفر ظروفًا مستقبلية على الأرض المخربة ، تكون ملائمة لأن يعيش عليها الجنس البشري (موديل، 1973 ص. ff153). وقد تمدنا الحيوانات التي تعيش الآن في المجارى بمعلومات؛ بحيث نستطيع أيضا أن نحيا في مثل هذه الظروف. ويختتم د.موديل معبرًا عن أمله في ألا تتحقق أي من هذه الاحتمالات. وهذا الاتجاه هو مميز لاتجاه التقني الأحادي لأزمتنا، ولكن يسرني أن أقول إن د. موديل ليس جادًّا تمامًا بشأن حلوله هذه.

وتوجد المكونات الجوهرية لإدارة المجتمع ، عندما يصبح الفرد والمنظمات التي يؤدى فيها الفرد وظائفه، مشغولين بالوسائل أكثر من الغايات، ومشغولين بالغايات الثانوية (مبانٍ) أكثر من الجوهرية

(منازل). وكلما ضعفت القدرة على التركيز على القيمة الحقيقية ، كان تحول الوعي من الخبرة المباشرة إلى التخطيط للمستقبل أسرع. وعلى الرغم من أن القيم الجوهرية مازالت هي الموضوعات المركزية، إلا أن تدبير وسائل فعالة هي المهمة الرئيسية؛ ولذلك تصبح التبعات غير المرغوبة متفاقمة أكثر ، كلما قلت علاقة الفرد المستهلك بالإنتاج. وتتحسن التقنيات بشكل ثابت، متطلبة تضحيات ضخمة من الوقت والطاقة. ودون أن يلاحظ أحد، ينقضي الوقت الذي نخصصه للأهداف، ويحل مكانه الاندفاع الطائش وراء الوسائل: وتكون التحسينات وهمية.

لذلك .. فإن الهدف الحيوي للسنوات القادمة، هو عدم التمركز والتفريق كوسيلة للاستقلال المحلي المتزايد، وفى النهاية يكون وسيلة لكشف الإمكانيات الغنية للإنسان كفرد.

وقد تحدث الممثل الكبير للتكنولوجيا المتوسطة، إي.إف. شوماخر، عن «الإنتاج الجماهيري»مقابل «الإنتاج على نطاق واسع». ويكون تعبير «الإنتاج المحلي»ملائمًا أيضًا ؛ لأن الكتل الجماهيرية غالبا ما تكون متصلة بكثير من الناس في بيئة متجانسة. هناك كتل من المجتمعات الصغيرة ، ولكن التقنية ستختلف كثيرًا ، إذا تم أخذ رسالة الفلسفة البيئية بشكل جاد. وبالطريقة نفسها ، يجب أن نرى «التكنولوجيا المتقدمة»*كتكنولوجيا تقدم الأهداف الأساسية* لكل ثقافة ، وليس أي شيء أكثر تعقيدًا أو صعبًا في حد ذاته.

لقد أكد شوماخر أن الإنتاج الجماهيري يعبئ الموارد التي لا يمكن تقديرها ، والتي يمتلكها الأناس العاديون: العقول والأيدي الماهرة ، وتساعدهم وسائل إنتاج الكتل الجماهيرية بأدوات من الدرجة الأولى. وتكنولوجيا الإنتاج على نطاق واسع هي في ذاتها عنيفة، وضارة بيئيًّا، وفى

النهاية هي مدمرة للذات في استهلاكها للموارد غير المتجددة والمذهلة للإنسان كفرد (شوماخر، 1973).

(جـ) تكنولوجيا البراجيات والفلسفة البيئية :

«أن تمشي على الأرض برفق» هو شعار قوي في حركة البيئة العميقة، والشعارات مثل «تكنولوجيا البراجيات » هي نتائج طبيعية واضحة ، وأي من هذه التكنولوجيات يفي بشكل أكمل، بكل من متطلبات التقليل من التدخل مع الطبيعة ، وإرضاء الحاجات الإنسانية الحيوية؟ بوضوح .. فإن المتطلبات لا يمكن أن تكون كافيه بشكل أكمل ، دون الدخول في نزاعات. وإنه لمن الأهمية أن تجد نوعًا من التوازن، وتعتمد المقترحات على التنوع الجغرافي والاجتماعي لظروف الحياة.

وتكرس مجموعة كبيرة من البارعين تقنيًّا اهتماماتهم لاكتشاف التقنية البيئية ، التي توفر أكبر قدر من الكفاية. والزيادة في الاهتمام كما هي واضحة من الذين يوجهون البحث في الصناعة والأنظمة الحكومية، تتقدم بشكل أكثر بطئًا ، والمنح ضئيلة جدًّا مقارنة بالمبالغ المخصصة للمشروعات غير المهتمة بالفلسفة البيئية ، أو غير المسئولة عنها بشكل صارخ.

هناك أعمال كثيرة مفيدة توضح الصفات المميزة لتكنولوجيا البراجيات ، وما نفتقده غالبا في مثل هذه الآراء هو مناقشة *الطريق الانتقالي* بين مجتمعنا الحالي وآخر ، يستفيد بالكامل من تكنولوجيات البراجيات الملائمة. ويوضح يوهان جالتنج (1978) طريقة لاستغلال كل من هياكل ألفا (الكبيرة، والمركزية، والطبقية) وهياكل بيتا (الصغير يكون جميلًا) كأدوات لتغيير المركب إلى طريق ، يتم فيه تنفيذ السابق تدريجيًا ، مع التحرك البطيء

للهياكل من الرأسي إلى الأفقي.. إنه يطلب مزيجًا من التكنولوجيا، وبالتالي يكون بديلًا واقعيًا وفوريًا : انظر جدول 1-4.

وعلى الرغم من الطبيعة الشاملة للقائمة، فإنه يمكن عمل إبراز أكثر للمواجهة بين القياسية والتنوع. وقد ينتج عن اللامركزية، وتأكيد الموارد المحلية، والمناخ، والخصائص الأخرى تنوعات للتقنية، داخل تكنولوجيا الفلسفة البيئية العاقلة نفسها . والشيء نفسه ينطبق على منتجات التقنيات، ويتبع ذلك تناقص في المعايير وتزايد في التنوع.

والطلب على مساعدة خبير لتنفيذ التحولات المخططة لتكنولوجيا أكثر ليونة هي أكبر من العرض في بريطانيا العظمى ، أو أي مكان آخر. ويتم تنقيح وإجراءات العمل ، وتجارب ڤولڤو مع مصانع أصغر وتحسينها للبيئة الخارجية ، وكثير من المهام المتكاملة وكثير من مسئولية صنع القرار في العمل كل ذلك معروف جيدا.

لكن المستقبل المظلم للتحول المبكر لتكنولوجيا البرامجيات في أوروبا قد يكون مرتبطًا ، بشكل خاص ، بثلاثة عوامل سياسية معوقة: الخوف من خفض الربحية الصناعية - الاقتصادية ، والخوف من مستوى معيشي مادي منخفض، والخوف من البطالة. وهذا العامل الأخير يبدو متناقضًا، حيث يبدو أن هناك اتفاقًا عامًا بأن التحول لتكنولوجيا البرامجيات سوف يزيد من الحاجة للعمل، وتحسين الفرص للعمال. ويكشف النقاش المضاد عن استنتاج تجريبي فج: يقال تاريخيًا أن تطور التكنولوجيا غير المبرمجية على مدى الخمسين عاما الأخيرة قد حدث بالتزامن مع الزيادة في البطالة، ولكن أين الجوهر الذي تقوم عليه هذه الصلة؟

جدول (1-4) : التحرك البطيء للهياكل من الرأسي إلى الأفقي .

	ألفا	بيتا
الطعام	بناء تجارة في الطعام، هبوط في ممارسات المحاصيل النقدية .	محاولة استعادة النظام القديم في أن الغذاء ينمو داخل الأفق - السيادة المحلية وأيضا المحافظة والتخزين على أساس جماعي ، يمكن أن يستخدم للطعام .
الملبس	بناء أعمال نسيج دولية.	محاولة استعادة أنماط من الأعمال اليدوية المحلية: التعايش مع إنتاج الطعام.
المأوى	بناء أعمال إسكان، تحول كثير من العمل للمنازل للمساعدة على حال التمييز.	محاولة استعادة أنماط المباني المحلية بالمواد المحلية: قاعدة جماعية يمكن أن تستخدم في الإسكان.
الرعاية الطبية	عيادات ريفية، التحكم في الأدوية .	رعاية صحية إيجابية: مشاركة، فصل أقل بين الأصحاء والمرضى .
النقل/ اتصالات	أنماط أقل مركزية ثنائية الاتجاه ، ووسائل جماعية للنقل .	محاولة استعادة أنماط المشي، التحدث، والدراجات ومناطق أكثر خالية من السيارات، وكابل تليفزيون ، ووسائل إعلام محلية.
الطاقة	توزيع أفضل للمراكز لإنتاج الطاقة الموسع.	الطاقة الشمسية/ الريح/ الموج وشبكات البيوجاز.
الدفاع	جيوش ديمقراطية، توزيع أفضل لمواضع القيادة.	أنماط الدفاع المحلية، وجماعات معادية للعنف.
المعرفة	أقصى شفافية خلال مشاركة المواطن وكتابة التقارير .	وحدات صغيرة مفهومة لكل فرد .

في الدوائر التقنيـة، غالبـا مـا يقـال أن التحـول الجـذري لتكنولوجيـا البرامجيات يكون غير واقعي سياسيًّا وذا أثر عنيف بلا ضرورة . ولكـن ، حاليًا نجد أنه يستهان بأهمية التغيرات الـصغيرة الكثـيرة في البيئـة، التـي سببتها تكنولوجيا العتاد المادي ، على سبيل المثـال: حتـى لـو تجنبنـا كليـةً كوارث بقع الزيت الضخمة في البحر، فإن التـسريبات الـصغيرة الكثـيرة «الطبيعية» تمامًا يمكن أن تؤدي إلى كثير من التـأثيرات الـصغيرة الـضارة على الكائنات الحية ، والتي ستكون في النهاية فاجعة لظروف الحياة. وقـد تم حساب التسربات الصغيرة ، فهي مابين خمسة وعشرة ملايين طن مـن الزيت ، تذهب إلى البحر في كل عام. وإذا زاد اسـتهلاك الزيـت في العـالم الثالث ليصل إلى المستويات الأوروبية، خلال الثلاثين عاما القادمة، فـإن الظروف المعيشية سوف تضمحل عشر مرات أو أكثر عن المعدل الحالي .

(د) غزو تكنولوجيا العتاد المادي في العالم الثالث :

عندما يواجه البعض سيطرة تكنولوجيا العتاد المـادي ، فـإنهم يفخـرون بحقيقة أنه من الضروري أن نسأل إذا كان يمكن عولمتها أم لا ، هـل يمكـن أن تتبع كل الدول خطواتنا؟ هـل سـيكون لـدى هـؤلاء في الـدول الفقـيرة وأجيال المستقبل الفرصة ؛ لكي يعيشوا بطريقتنا التي تبدو فخمة؟

إذا لم يكن الأمر كذلك، ألا يجـب أن نـشترك في المعيـار التـالي: «تخـير مستوى المعيشة؛ بحيث قد ترغب بشكل واقعي أن يـصل كـل البـشر إلى المستوى نفسه إذا أرادوا ذلك»؟ ومع معدل تدمير الغابات وتدهور كمية ونوع التربة الجيدة، ومع توقع زيادة عدد السكان ليصل إلى 8000 مليون، فإنه لا توجد هناك عالميـة ، ولا يوجـد كوكـب متـاح لـذلك. والمـستوى المتوسط في الدول الصناعية الغنية لا مبرر له وغير منطقـي ، إذا أخـذنا في الاعتبار علاقته غير المؤكدة بمستوى أسلوب الحياة.

والسؤال الرئيسي في العالم الثالث ، هو: ما مقدار التقنية الصناعية ، التي نستطيع استيرادها من الأمم الصناعية ، دون أن نكون مضطرين لفتح الأبواب لخصائص غير مرغوبة في هياكلهم الاجتماعية؟ هل يجب أن نطور من صناعة الأسلحة مثل تلك التي في الدول الصناعية ؛ لنمنع هيمنتهم علينا؟ هل من الضروري أن نطور الإدارة تكنولوجية الغربية ؛ لكي نعيش كأمة لها تقرير المصير؟

وكانت الإجابات لسنوات عديدة إجابات متفائلة بشكل مذهل ، ويقول قادة هذه الدول: «نستطيع أن نستوعب ما نجده مفيدًا تكنولوجيًا، إذا عملنا على الاحتفاظ بأولويات الأيديولوجية وأولويات القيمة المتعلقين بنا. ولن يصيب ثقافاتنا أي ضرر»، ويمكن أن تطلق على هذا نظرية «استخلاص القشدة من الكريمة».

وقد تم – منذ عام 1945 – تعليم الصفوة من العسكريين والإداريين – إلى حد كبير – من العالم الثالث في الدول الصناعية ، وقد تبنوا أيديولوجيتنا السائدة، بما فيها كره التقاليد المحلية والتنوع الثقافي بشكل عام. ويقوم التفاؤل ، في هذه الحالة ، في النهاية على تقييم هذا القليل ، الذي يمكن فقده إذا حدث ، وإن دخلت معا كل من إيديولوجيات الدول الصناعية والتقنية، عليك أن تتذكر أن الفكرة المتكاملة للتكنولوجيا تتضمن الاثنين.

واليوم، لقد صنعوا ما يقرب من تغيير كلى كامل ومفاجئ في الاتجاهات ؛ فقد أثبتت التجربة أنه إذا قام شخص بتبني تقنية معينة من مجتمعات الدول الصناعية الرائدة ، مثال، طريقة محددة لعلاج السرطان، فإنه لا يمكن استيرادها بمفردها - فهي تفترض مقدمًا مزيدًا من الاستيراد. وهذا الاستيراد الداعم ليس تقنيًا صرفًا ؛ فمن المفترض أن

تكون هناك أنماط جديدة من الترابط الإنساني، وثقافات فرعية أخرى للعمل. باختصار: الغزو الثقافي والاعتماد المتزايد، ولقد بدأت ثقافة الفرد في الانقراض تدريجيًّا.

وحتى وقت قريب، وخلال العصور، كان القادة في التيبت، وسكيم، وبوتان، وهي أماكن منعزلة، يعرفون«نظرية الدمينو». والتيبت مثال مثير؛ فلقد استطاعت التيبت أن تظل منعزلة لسنوات عديدة. وعندما شعر قادة التيبت أنهم مهددون من الصين الجديدة، سعوا إلى الاتصال بالدول الصناعية، ليزيدوا من فرصهم في الدفاع العسكري عن مجتمع التيبت وثقافته. ولكن للأسف جاء هذا متأخرًا! لقد دمرت سيادتهم الثقافية، ولكن في بوتان في الثمانينيات، كانت الحكومة تأخذ في الاعتبار التكنولوجيا والتأثيرات التي تأتي من الخارج، ولكن فقط مع الحذر الشديد. على سبيل المثال، عند ذهاب أي طلبة للخارج لاستكمال دراستهم العليا، يجب فورًا عند عودتهم قضاء ستة أشهر في التجول في الريف؛ لإعادة تعليمهم بالظروف الواقعية والقيم في بلدهم.

وهناك أحداث درامية وغالبا مأساوية، نتجت عن نقل التكنولوجيا من الدول الصناعية إلى العالم الثالث، ويوضح كتاب « التكنولوجيا اللامبالية» (إعداد فارڤر وميلتون، 1972) أهمية اعتبار الثقافة ككل، ويقدم أمثلة واضحة جدًّا للنتائج الفعلية لتصدير التكنولوجيا، الذي يفتقد التفكير السليم إلى العالم الثالث. وعدم التفكير هذا هو ضمني في مفهوم 1940 «للدول المتخلفة»، ويتخيل المرء أن كل الثقافات سوف - بل يجب أن - تطور التكنولوجيا بطريقة الدول الصناعية الرائدة نفسها .

بطريقة غير ملحوظة إلى حد بعيد، ولكنها ذات مغزى في تاريخ العالم، حدث صدام بين المتحدثين عن تكنولوجيا العتاد المادي

وتكنولوجيا البرامجيات في الهند، في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية؛ فعلى جانب واحد وقفت مجموعة من السياسيين مع نهرو في المقدمة .. لقد استقوا إلهامهم من الفلسفة الصناعية للاتحاد السوفييتي، وعلى الجانب الآخر كان غاندي؛ حيث أكدت فلسفته الاجتماعية، *sarvodaya*، «إلى الأفضل للجميع» أهمية لامركزية الحياة الصناعية والكفاية الذاتية الشاملة، في قري الهند الـ 500000. لقد كان هدفه الأكبر التخلص من الفقر المباشر المادي والروحي، كما أن دعايته باستخدام أنوال النسيج مشهورة على وجه الخصوص، ولكنه أيضا دعم حرفًا يدوية أخرى. والمركزية والتحضر كانتا – بالنسبة له – شرورًا، وقد أدى التركيز على الصناعة الضخمة والتكنولوجيا، التي تعمق الانقسام بين الصفوة التقنيين والعمال، إلى تجريد ثقافتهم، وأدت إلى بروليتاريا المدن، وزيادة العنف والمعارضة بين الهندوس والمسلمين.

ودار النقاش حول المدى الذي تستطيع فيه سياسات الهند الحرة أن تعتمد فيه على الأبعاد الحمراء أو الخضراء (انظر الفصل السادس). لقد كان كل من نهرو وغاندي يدركان معنى اختيار التكنولوجيا. وبعد الاستقلال، أدت كتل المعارضة إلى تسويات بين الأحزاب الحمراء والزرقاء، وقيل إن أكبر كارثتين في الهند، هما: التخلص من البوذية، وتجاهل التعاليم الخضراء لغاندي. وقد يكون في ذلك مبالغة، ولكن لو أعطيت الأولوية للتطور التقني للمجتمع المحلي، لكانت احتياجات الهند المادية في كل الاحتمالات تحققت في الخمسينيات.

(هـ) *الفلسفة البيئية والتكنولوجيا: ملخص*

(1) الأشياء التي تنتجها العمالة والتي لها طبيعة تقنية، في تفاعل وثيق، ليس فقط مع وسائل وأسلوب الإنتاج، ولكن كذلك مع المظاهر الجوهرية للنشاط الثقافي كذلك.

(2) لذلك .. فإن التكنولوجيا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشكل مباشر أو غير مباشر بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، مثل : العلوم، ودرجة مركزية الحكومة والمعتقدات، بشأن ما هو معقول .*إن التغيير في التكنولوجيا يعني تغييرًا في الثقافة*.

(3) يتم الحكم على قمة التطور التقني بشكل مبدئي عن طريق الدول الصناعية الرائدة ، في ضوء كيفية استيعاب التقنيات في اقتصاديات هذه الدول. وكلما كانت العلوم الغربية متقدمة، مثل الفيزياء الكمية أو الالكترونيات، والتقنيات المفترضة مقدما ، زاد تقديرها. ويطبق معيار التقدم هذا - والصعب الاحتفاظ به - ليس فقط على التكنولوجيا الخاصة بنا ، ولكن أيضًا على تكنولوجيا الثقافات الأخرى ، وهذا يؤدي بدوره إلى تقليل العام لقابلية تطبيق الثقافات الأجنبية.

(4) تكون معايير التقدم بالنسبة للفلسفة البيئية في التكنولوجيا مرتبطة بالأهداف المعيارية النهائية ؛ لذلك فإن العبارات المحايدة ثقافيًّا لدرجة التقدم لا يمكن صياغتها.

(5) إن أساس الفلسفة البيئية لتقييم التقنية هو إشباع الحاجات الحيوية في المجتمعات المحلية المتنوعة.

(6) إن أهداف حركة البيئة العميقة لا تتضمن أي خفض في التكنولوجيا أو الصناعة، ويمكنها أن تتضمن تحكمًا ثقافيًّا عامًّا للتطورات.

(7) إن الإدارة التقنية- المجتمعات تحددها التقنية والتكنولوجيا التي بدرجة كبيرة - يمكن أن تثار كنتيجة للتقسيم المفرط في العمل، والاندماج الوثيق لتكنولوجيات ذات المرتبة العالية، ممزوجة بتعليم تكنولوجي حصري شديد التخصص، والمركزية. وعلى

الرغم من أن السياسيين أو رجال الدين أوالمجموعات الأخرى من ذوي السلطة في الثقافة لا يستطيعون اختبار التفسيرات المعطاة للجماهير، فهم يستطيعون - إلى حد ما - تحديد التنمية السياسية. إن مدى هذا التأثير يعتمد على أشياء كثيرة: ما مقدار الخبرة المضادة التقنية التي يمكن استغلالها؟ وما مدى رغبة وسائل الإعلام في تقديم هذه التقارير المضادة، في شكل عام مفهوم؟

(8) عندما يتم إبدال تقنية بأخرى تتطلب اهتمامًا وتعليمًا أكثر، وتكون غير ذلك مشغولة بالذات ومستقلة، فإن الاتصال بالوسط أو البيئة التي تعمل فيها التقنية يقل. وإلى الحد الذي يكون فيه الوسط هو *الطبيعة*، يقل التداخل في الطبيعة لصالح التداخل في التكنولوجيا. إن درجة عدم الانتباه أو الفتور تزيد، وبالتالي يقل إدراكنا بالتغييرات الحادثة في الطبيعة التي تسببها التقنية.

(9) إن درجة الاعتماد على الذات للأفراد والمجتمعات المحلية تتقلص في تناسب مع الدرجة، التي تتجاوز فيها التقنية أو التكنولوجيا قدرة وموارد الأفراد أو المجتمعات المحلية المعينة. وتزداد السلبية، والعجز، والاعتماد على «المجتمع الضخم» والسوق العالمي.

الفصـل الخامس

الاقتصاد داخل الفلسفة البيئية

(1) الاتصال بالآراء الكلية :

لقد ذكرنا بالفصل الأول أن ما يجعل الموقف البيئي خطيرًا على وجه الخصوص ، هو أن هناك أيديولوجية مؤسسة بشكل عميق من الاستهلاك والإنتاج ، وهي غير بيئية . وهذا النوع من التشخيص يجعل من الضروري تحليل الظروف الاقتصادية ، وأن نأخذ في الاعتبار علمًا ذا تأثير كبير، وهو علم الاقتصاد.

وهناك حافز آخر، وهو أن الاقتصاد، من الناحية التقليدية، له اتصال عريض بالآراء الكلية ذات المضمون المعياري.

وكلمة اقتصاد (economy) مأخوذة من الكلمة اليونانية (oikonomos) ؛ أي الشخص الذي يتعهد شئون المنزل، تعهدًا معياريًا . لذلك لكي تكون اقتصاديًّا جيدًا وحكيمًا بهذا المعنى ، فهذا شيء عادى وغير مثير على الإطلاق . وقد توضع كلمة oikonomos في مقارنة مع كلمه cosmonomos : الطبيعة والإدارة العالمية ؛ حيث يمكن لكائنات قليلة جدًّا أن تعيش في هذا المستوى. ولكن زينوفون، وأفلاطون، وأرسطو تعاملوا مع مشكلات الشئون المنزلية للمجتمع ككل ، polis . وكان زينوفون الأول في سلسلة طويلة من المفكرين ، الذين نظروا إلى

الاقتصاد من وجهة نظر إلى حد ما ضيقة ، ولقد أصبحوا المدافعين من أصحاب الأيديولوجيا أساسًا عن الأشخاص ، الذين لديهم ثروة، ملاك الأرض.

وغالبا ما يُعرف الاقتصاد - في العرف الأوروبي - على أنه العلم الذي يشبع الاحتياجات الإنسانية ، ولكن حيث إن هذا التعريف لا يتحدث بوضوح عن كل نوع من أنواع الاحتياجات ؛ لذا فقد أصبح من الضروري تحديد الاحتياجات «الاقتصادية». فما هذه الاحتياجات؟ يقال إنها تلك التي لها علاقة بوسائل خارجية ، وكيفية الحصول على هذه الوسائل الخارجية، خصوصا في علاقتها بالمجتمع أو الأمم ؛ لذلك ليس هناك تمييز حاد، بين الاقتصاد بالمعنى التقليدي والأنشطة الأخرى للمجتمع الإنساني. وبالنظر في صفحات الأبحاث الاقتصادية ، سنرى على أي حال أنه عملي ؛ ذلك أن كل جانب من جوانب المجتمع مخصص له قسم. ولكن معظم الكتاب يحاول تجنب الاتصال الكثير بالمشكلات السياسية ، ويقولون إن غاية الأهداف السياسة الاقتصادية يقوم الساسة بتقريرها. وبهذه الطريقة ، فإن الاقتصاديين يتجنبون أخذ الحكمة في الاعتبار. فهم يلعبون دور الذي هو في خدمة مَنْ في يده السلطة السياسية أيًّا كان. ولا يحكم الاقتصاديون كعلماء معاصرين ، على الأهداف السياسية ، ولكنهم فقط يقدمون النصيحة عن أفضل طريقة لتحقيق الأهداف ، التي أعلنها الذين هم في السلطة. ولسوء الحظ ، فإن هذا لا يتحقق بشكل كبير للجمهور ، الذي لديه انطباع بأن الاقتصاديين شخصيًّا يؤيدون أهداف عملائهم ، ولو عبر العلماء عن رأيهم الشخصي كثيرًا في وسائل الإعلام، لضعف هذا الانطباع.

ومن خصائص الاقتصاد المهمة بالنسبة لفلاسفة البيئة ، الدراسة المتطورة بشكل كبير لتأثير أحد العوامل على العوامل الأخرى في

المجتمع. وقد قال الاقتصادي النرويجي الشهير راجنار فريس : «إن الاقتصاد مثل متاهة متخللة ، ذات تأثيرات مشتركة تسير في كل الاتجاهات» إذا قمت بتغيير حال في مكان واحد وبطريقة واحدة ، فيجب أن تنظر إلى تبعات ذلك في عدد ضخم من الطرق والأماكن ، ومن الشائع جدًّا في الاقتصاد - على سبيل المثال - أن تطلب أخذ مئات المتغيرات في الاعتبار . وكفلاسفة بيئيين لدينا هنا شيء نتعلمه!.

إنه من الشائع في الاقتصاد التقليدي أن تعترف أن مسائل الأخلاق هي لازمة في كل الاعتبارات ، وهناك دائما متطلبات أخلاقية ، تؤثر في الترتيبات العملية للشئون الاقتصادية. ويفترض أي تحليل لنشاط اقتصادي – مقدمًا – أن تكون هناك معايير معينة ، يجب استيفاؤها في التحليل. لقد كان معظم رجال الاقتصاد البارزين حتى هذا القرن، بما فيهم فرانسوا كويسني، وآدم سميث، وجون ستيوارت ميل، وكارل ماركس ، منشغلين كثيرًا بالفلسفة الأخلاقية مثل انشغالهم بالشئون الاقتصادية التفصيلية . وفي هذا القرن - كذلك - كان هناك تضييق خطير لمنظور الكتب الدراسية في الاقتصاد ، لدرجة أن ما تبقى هو القليل جدًّا من الأسس المعيارية الفلسفية في هذا المجال. لقد نضب الاقتصاد ، وما تبقى لنا هو نوع من المدينة المسطحة، تقوم على الاعتبارات الكمية الواقعية ، دون وديان عميقة أو قمم جبلية مذهلة تثير الإعجاب. ولحسن الحظ .. فإن ذلك يتغير – جزئيًّا – بسبب تأثير الاهتمامات البيئية.

(2) إهمال الاقتصاد داخل الحركة البيئية العميقة :

لقد أصاب الناس الملل من السياسات غير البيئية خصوصا بين النشطاء داخل الحركة البيئية العميقة، لدرجة أن المصطلح «اقتصاد» نفسه أصبح كلمة بغيضة ، وكان ينظر إلى الاقتصاديين كأعداء محتومين للقضية الخضراء. وما يضايق على وجه الخصوص كثيرًا من البيئيين في ذلك: أنه

لا يتم ذكر *الطبيعة* في أوراق وكتب الاقتصاديين أبدًا بشكل عملي، وإذا ذُكرت، فإنها تُذكر فقط في مناقشات ضحلة كموارد أو كعقبات؛ لذلك.. لا شيء يمكن توقعه .. هكذا يفكر النشطاء ، من دراسة للاقتصاد - الاقتصاديون يجب محاربتهم.

وفي كل مرة ، يكون هناك نزاع بشأن السياسات في الأمور الاقتصادية، تكون هناك نتائج وقرارات أكثر لصالح السياسات البيئية الصحية عن سياسات أخرى ، وأنه من الضروري لهؤلاء الذين يؤيدون حركة البيئة العميقة ، أن يتم توضيح البديل الأفضل ، عندما تصاغ القرارات بمصطلحات اقتصادية. وهذا يعني أحيانًا اقتراح حلول ليست الأفضل من وجهة نظر البيئة العميقة أو حتى جيدة ، ولكنها أفضل بكثير من الحلول الأخرى تحت البحث. وإذا كان مؤيدو حركة البيئة العميقة سيشاركون في السياسة على الإطلاق ، فلابد أن تكون لهم آراء في القرارات الاقتصادية ، ولكنهم يجب أن يوضحوا دائمًا ما إذا كانوا هم شخصيًّا مؤيدين للقرار، أو أن القرار يكن كافيا تمامًا، وكيف ، إذا كانت لديهم سلطة، اتخاذ قرار بخلاف ذلك.

ما أهدف إليه هو أننا في المجتمع نحتاج - *حتى بالطريقة التي يعمل بها المجتمع الآن* - إلى أشخاص ذوي كفاءة ، تمكنهم من المشاركة في صناعة القرار الاقتصادي ، والمشاركة في إعلام الجمهور بتبعات القرارات المختلفة. ومما يدمر - بشكل كبير - حركة البيئة العميقة أن المؤيدين يصمتون؛ لأنهم لا يستطيعون التصدي في مناقشات عامة ، للذين هم على دراية جيدة بالاقتصاد.

(3) «كما يُرى من وجهة نظر اقتصادية صرفة...» :

يتضمن النشاط الاجتماعي في الدول غير الصناعية أنشطة اقتصادية ، تكون بالغة التعقد ، وغالبا ما تكون موجهة نحو احتياجات الأسر في

المجتمعات المحلية ، ومعظمها احتفالات عائلية . وللعادات الاقتصادية للدول الصناعية جذور في ثقافات الدول غير الصناعية، كعادات المساومة والفصال. وجوهر النشاط الاقتصادي الآن مستخلص من قلب المجتمع ، وهنا تكون التعبيرات مثل «من وجهة النظر الاقتصادية الصرفة» إرشادية.

وقد جعلت التنمية غير المعيارية للأسر من السهل التحدث عن الاقتصاد «الصرف» ، وأن نقول كمفهوم ضمني إن كل اعتبار آخر مثل التكاليف الاجتماعية لقرار اقتصادي، لا يمكن أن يكون ضروريًّا للاقتصاد. وإنه من الواضح عمليا - على أي حال - استحالة تجنب هذه المسائل بالنسبة للاقتصاديين . فعلى سبيل المثال ، عندما يكون هناك موضوع عن البطالة ، ويطلب من الاقتصاديين المشورة فيما يتعلق بكيفية القضاء على البطالة، فإنهم لا يستطيعون أن يقولوا: «حسنا، يمكن أن ننقل الناس إلى تلك الأماكن من البلد التي يوجد بها عمل ، وهذا سيخلصنا من نصف البطالة». سيقول السياسيون عندئذ إن ذلك الاقتراح عديم القيمة تمامًا ؛ لأنه ضد القانون أن تجبر الناس على النزوح إلى هذه الأماكن ، التي يكون فيها العمل متاحًا. وضمنيًّا، يجب على الاقتصاديين أن يأخذوا القيم في الاعتبار ، ويجب أن يفكروا هم أنفسهم في حلول أخلاقية لمشكلاتهم ، وليست هناك وجهة نظر عملية، يمكن أن تسمي اقتصادية صرفة.

وغالبا ما يقال إن الحاجة إلى هذا أو ذاك كبيرة جدًّا ، بينما تكون هذه الحاجة من الممكن قياسها عند معرفة المطلوب منها. ولكنه من الواضح أنه في الاقتصاد (إذا كان الاقتصاد له علاقة بإشباع الاحتياجات) أن الطلب على السوق هو - فقط - عامل من العوامل الكثيرة ، التي تفترض الحاجة. وهناك المسائل الاقتصادية الدولية ، مثل : كيف تُلبى

الاحتياجات في مناطق معينة من أفريقيا ؛ حيث يموت الناس جوعًا. والطلب هناك هو عمليًّا صفر ؛ لأنه ليست لديهم أي نقود، لذلك .. إذا أخذ الطلب على أنه المعيار الرئيسي ، فإنهم يحتاجون أقل بكثير مما نحتاج. هل الذين يتضورون جوعًا هم دون احتياجات!؟ وتقودنا معايير الطلب إلى القول بأن هناك حدًّا أقصى من الحاجة للطعام في مناطق معينة، فلنقل في الولايات المتحدة ، حيث هناك طلب أكثر على طعام الحيوان ، الذي هو أساسي لغذاء الإنسان الحديث.. ولن يتم أبدًا تقرير سياسة الأسر فقط، دون ضرورة أخذ لمثل هذا المتطلب في الاعتبار.

هناك الكثير مما يقال في نصوص الاقتصاد الحديث عن العقلانية والاختيار العقلاني. ويجب في الاقتصاد - كما هو في العلوم الأخرى - قياس العقلانية في علاقتها بالمعايير الأساسية. إذا كان هناك معيار غير أساسي وعلاقته بشيء ملاءمة له ، فإن ذلك لا يعنى أنه أيضًا عقلاني في علاقته بمعايير أساسية أكثر. وعندما نثير موضوعات عقلانية في الحياة الاقتصادية ، فإنه يجب أخذ *المعايير النهائية للاقتصاد* في الاعتبار. وعندما يقال إنه أمر اقتصادي أكثر منطقية أن يتم نقل البضائع الثقيلة من مكان «ألف» إلى مكان «باء» عن طريق الشاحنات ، بدلًا من وسيلة الخيول، فإنه لا يستثنى إمكانية أنه من غير الحكمة نقل أي بضائع ثقيلة من «ألف» إلى «باء». وقد يتضمن هذا معايير خاصة بالأسر ، بخلاف رخص الثمن.. إلخ ، وقد حوَّل التخلص من المعيارية في الاقتصاد كثيرًا من الانتباه باسم «التقدم» تجاه عدم العقلانية ، أو تجاه شيء محايد تمامًا في علاقته بالعقلانية. ومازال ينظر إلى النمو الاقتصادي في العالم الثالث بشكل كبير في ضوء اقتصاد غير معياري، «فالخبراء» غير معتادين على التفكير من منظور واسع وعميق للنظرة الكلية.

(4) تجزئة نظام السياسة الاقتصادية :

يمكن أن نوضح طريقة للاقتراب من المعيارية في الاقتصاد بالأسلوب الموضح في بداية الفصل الثالث. يعطي فريتز هولت في كتابه («Sosialkønomi »،الاقتصاد 1975) مثالًا «لمجموعة من الأهداف الجوهرية والمشتقة للسياسة الاقتصادية» (ص.241). وما تم التعبير عنه «طبقًا لهولت» ، كان الرأي المقبول في النرويج منذ عام 1945 إلى وقتنا الحاضر .. هذه الأهداف لم يقبلها هولت صراحة.

ويمكن صياغة مجموعه المعايير الأساسية والمشتقة، باستخدام أسلوب النظام المعياري، على النحو التالي:

معايير أساسية في السياسة الاقتصادية:

B1 عمالة كاملة!

B2 استهلاك مرتفع الآن! (أي في الفترة الانتخابية الحالية)

B3 استهلاك عالٍ في المستقبل!

B4 وقت الفراغ أكثر الآن!

B5 وقت الفراغ أكثر في المستقبل!

B6 توزيع معقول للاستهلاك! (العام مقابل الخاص ، والخاص مقابل الشخصي).

المعايير المشتقة:

D7 منتج قومي مرتفع الآن!

D8 منتج قومي مرتفع في المستقبل! (نمو اقتصادي سريع = معدل نمو مرتفع في إجمالي المنتج القومي GNP).

D9 استثمار مرتفع!

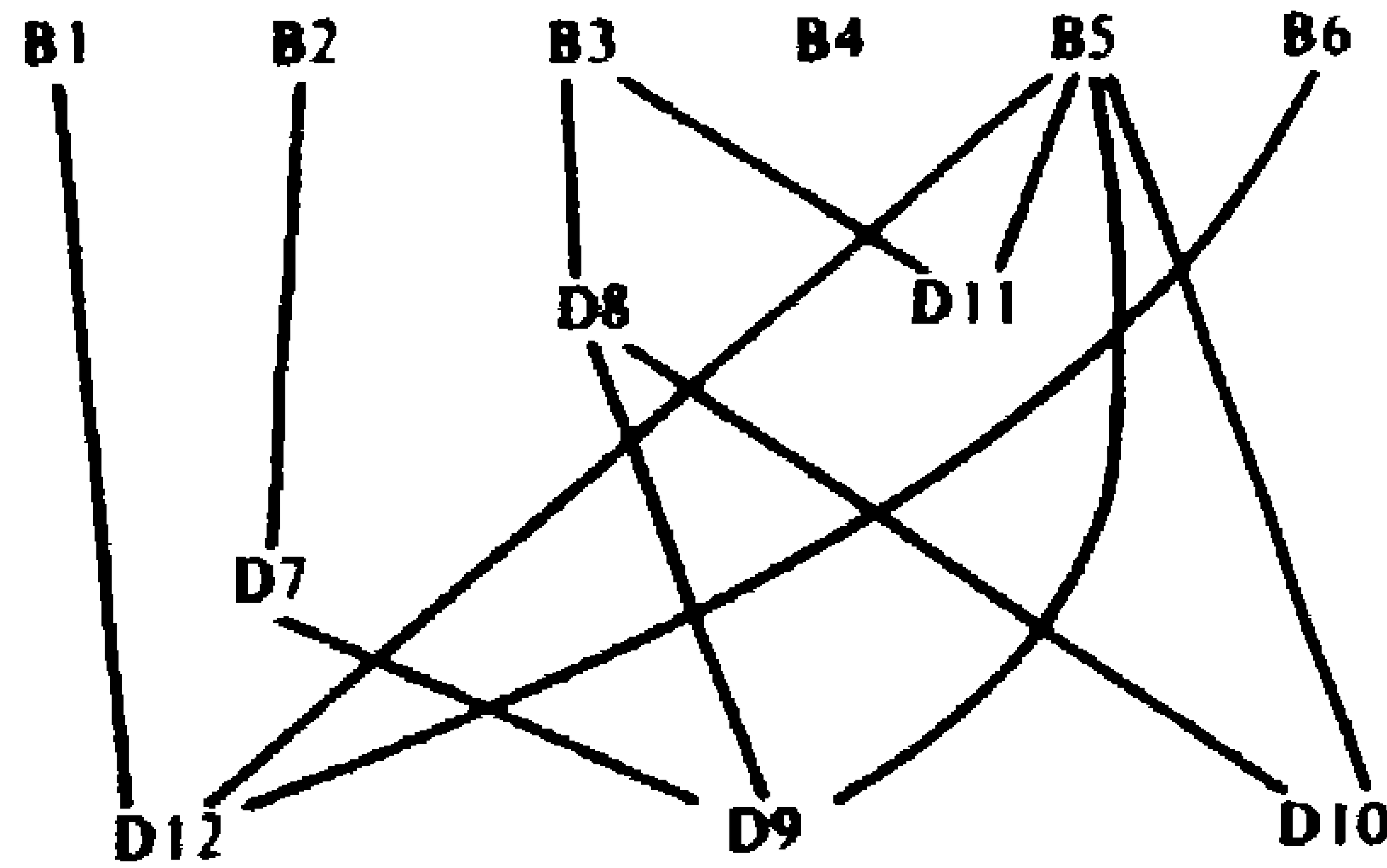
D10 توزيع معقول للاستثمار بين الصناعات المختلفة.

D11 توازن التجارة الخارجية!

D12 المحافظة على ثبات الأسعار!

يوضح الرسم البياني للاشتقاق (شكل 1-5) ثلاثة مستويات في تجزئة النظام ، ويجب بالطبع إضافة مستويات أكثر ؛ من أجل الوصول إلى مستوى القرارات الملموسة ، وبهذا يتكون هرم معياري للمعيار المشتق (أو الهدف) ؛ خاصة الوسيلة في علاقته بالمعيار (أو الهدف) المشتق منه ؛ لذلك .. فإن كل الأهداف في النظام باستثناء الأهداف الستة - التي على القمة - لها خاصية كونها أساسًا «وسائل لغايات».

وعندما نقول إن الاقتصاد يمكن أن يشغل نفسه فقط بالوسائل وليس بالأهداف.. فإننا بهذا نهمل الأشياء الأساسية ، التي يجب أن ينشغل بها.



شكل (1-5) : مستويات تجزئة النظام.

هذا .. ومن الواضح إن هذا الافتراض يتعذر الوصول إليه ، ولكنه يشير إلى حقيقة أن لكل التصرفات الإنسانية أهدافًا ، وتعمل في تسلسل هرمي من الأهداف، التي تتوافق مع تسلسل هرمي من الجشتالت. وإذا

لم يعمل المرء بالأهداف ، فإنه لا يعمل بالتصرفات الإنسانية. والتفكير المثالي هو تفكير في ضوء نماذج؛ فإذا لم يكن المرء معنيًّا بالأهداف.. فإن هذه النماذج تكون عديمة الجدوى.

والغرض من الرسم البياني هو تقديم هيكل سهل إدراكه لتجزئة نظام معقد ، والغموض في الصياغة يتماشى مع حقيقة أن الأهداف تقترح خطوطًا عريضة لأهداف سياسة ، أكثر من كونها توجيهات دقيقة.

والضعف الحاسم لهذا الجزء من وجهة نظر الفلسفة البيئية ، هو حقيقة أن عددًا ضخمًا من النظريات لازمة لاشتقاق المعايير من D7-D12 من المعايير «الأساسية» B1-B6 ، وتظهر أيًّا من النظريات المطلوبة في الجزء.

مثال: من معيار « وقت الفراغ أكثر في المستقبل!» (B5)، مشتق معيار «استثمار مرتفع! » (D9). ولكن في الفلسفة البيئية T تؤخذ «البساطة التطوعية» على أنها ضرورية لإنجاز مزيد من وقت الفراغ ، والاستثمار المرتفع متعارض مع البساطة التطوعية. ويمكن اشتقاق D9 فقط مع «استهلاك مرتفع في المستقبل!» (B3) كمعيار أساسي. من B3 يتبع D8، «نمو اقتصادي سريع»، إلخ ، ومع هذه المعايير المضادة للفلسفة البيئية ، فإن معيار الجذب نسبيًّا «وقت الفراغ»، يتم استيعابه داخل نظام اقتصادي كلي ، والذي هو دون جدال غير فلسفي بيئي.

وباختصار .. فإن العلاقة المفترضة للاشتقاق بين معيار وقت فراغ أكثر ومعيار استثمار أكثر، تفترض – مسبقًا – نظريات عن كيفية زيادة وقت الفراغ ، والجزء هو أحادي الجانب ، ويكشف طبقًا للفلسفة البيئية الوهم الضخم بأن المجتمع الصناعي الحديث يضمن وقت الفراغ.

ونقطة الضعف الثانية لتجزئة النظام، هو أنه لا يتم وضع المعايير الأساسية بعمق وبشكل كافٍ: إن تبرير وقت الفراغ ومعايير التوزيع هي

الآن ليست في متناول العلم الاقتصادي الحالي، ويبدو أنه قد تم افتراض نوع من نظرية الرفاهية الفلسفية. ودون ذلك، فإن اختيار المعايير الأساسية B1-B6 يجب أن تعتبر اختيارًا اعتباطيًّا بشكل كبير. *لماذا تحتاج الأسرة العاقلة استهلاكًا مرتفعًا كمعيار أساسي؟*

ويمكن تقسيم المعايير بين تلك التي تؤدي وظيفة القواعد، وتلك التي تؤدي وظيفة إرشادية. والاقتصاد كعلم اجتماعي هو بطبيعته مصبوغًا بالتوجيهات الإرشادية: ولا يستطيع المرء عن طريق الاستنتاج الصرف أن يصل إلى حلول، كما قدمت بشكل عام؛ ولذلك تكون تقديرات الاقتصاد فقط مجموعة من الآراء الاقتصادية؛ ولذلك - أيضًا - توضع مجموعة من المعايير مع سلسلة من التقييمات الأساس للنتائج. وقد أعطى العُرف الاقتصادي منذ أواخر الثمانينيات وزنًا للافتراضات المسبقة للنماذج المستخدمة. ونجد مثالًا لما يعني ذلك لدى هولت (1975، ص. 37)؛ حيث كتب يقول:

> **كثير من الاستنتاجات التي وضعت في هذا الكتاب مبنية على الافتراضات المسبقة التالية: لكل رجل أعمال هدف، وهو الحصول على أكبر ربح ممكن من عمله. ويعرف كل رجل أعمال كيف أن احتمالات بيع منتجات أعماله، تختلف باختلاف السعر، كما يعرف كل رجل أعمال كيف أن التكلفة في أعماله تختلف طبقًا لمستوى الإنتاج.**

وتجعل هذه الأنواع - من الافتراضات المسبقة - من الممكن إنشاء اقتصاد كمي، وإنشاء «القوانين» التي نعرف أنها لا يمكن أن تستمر على نحو ما يتمناه الاقتصاديون. وتؤخذ الصياغات في الاقتصاد الكمي الحديث على أنها ضرورية ومتفوقة بدرجة، لا تجعل من الاقتصاد «علمًا» (بالمعنى الضيق)، وما زالت تسود هذه الافتراضات المسبقة. إننا قد نحصل على منهجية مرتفعة المستوى، واستدلال مرتفع المستوى،

ومستوى عالٍ من الدقة ، ولكننا نحصل أيضًا على بعض الجدب من وجهة نظر المعايير، والجدب من وجهه نظر الإنسانية، وخطر مفرط من وجهة نظر الفلسفة البيئية.

(5) إجمالي المنتج القومي (GNP) :

في هذا القسم سوف أقدم تعليقًا نقديًا تفصيليًا عن إجمالي المنتج القومي لسببين رئيسيين : الذين يؤيدون حركة البيئة العميقة في حاجة إلى أن يكونوا قادرين على مناقشة «النمو الاقتصادي»؛ لأن السياسة غير البيئية تدعمها الإشارة إلى الحاجة إلى هذا النمو ، والى الرغبة في هذا النمو. ولكن بسبب نفور رجال البيئة من دراسة الاقتصاد .. فإن نقد الاقتصاديين للمنتج القومي الإجمالي غير معروف بشكل كبير.

إن فكرة النمو الاقتصادي التي غالبا ما يتم التحدث عنها ، هي نمو إجمالي المنتج القومي. وتتم حسابات إجمالي المنتج القومي ، عن طريق إعداد جداول وقوائم وجمع الحسابات القومية كل عام ، ويقوم المكتب القومي للإحصاء، أو ما يعادله بنشر الأرقام الكثيرة لهذا المنتج الضخم.

الإنتاج هو عمل أشياء حقيقية عن طريق أشياء حقيقية أخرى ، وما يتم صنعه يسمى «منتجات» ، والأشياء التي تساهم في صنعها تسمى «عوامل الإنتاج» . وتحت تصنيف «أشياء حقيقية» تدرج السلع والخدمات ، والأشياء الحقيقية يتم تفرقتها عن الأشياء المالية، مثل : الأسهم والأوراق المالية ؛ لذلك فإن الإنتاج يتضمن الخدمات بكل أنواعها ، التي يمكن شراؤها من السوق. وهناك معادلة يجب ذكرها:

إجمالي المنتج القومي + الواردات = الاستهلاك + إجمالي الاستثمار

+ زيادة الأسهم + الصادرات

على أي حال .. فإن السلع تعبر عن قيمة كل السلع والخدمات ، التي استخدمت كعوامل إنتاج. ويقول هولت: «في إنتاج اللبن، تتضمن عوامل الإنتاج ، ضمن أشياء أخرى : التبن، وتكاليف العمالة، وخدمات خاصة للأبقار، وخدمات من العاملين، وحماية الأبقار من الطقس .. إلخ.»(هولت، 1975).

وبشكل مستقل عن الحركة البيئية، فقد وجه الاقتصاديون – في السنوات الأخيرة – نقدًا قويًا للنمو الاقتصادي ، و«وضع الهدف القومي» كمؤشر لنمو الرفاهية في الدول الصناعية. ولكن استمرت الكلمة البارزة «النمو الاقتصادي» في أن تكون لها أهمية كبرى في السياسة، على الرغم من تزايد الدليل على أنها ذات تأثير سلبي على نوعية الحياة المعاصرة في الدول الصناعية الغنية. أما بالنسبة لأجيال المستقبل ، فإن ظروف حياتهم مهددة بشكل خطير.

والفشل في الانتفاع من النقد الخاص بالاقتصاديين ، في الدعاية للنمو الاقتصادي ، هو خطأ فادح داخل الحركة البيئية ؛ ففي كل يوم، وكل أسبوع من العام تستمر الصحف والبرامج التليفزيونية في ذكر النمو الاقتصادي ، كما يتم قياسه عن طريق إجمالي المنتج القومي ، كما لو كان مكونًا حاسمًا لسياسة اقتصادية ناجحة. ونادرًا ما يحتج هؤلاء المشتركون في الحركة البيئية على هذا. وأشك أنه إذا أدرجنا – في أي مناقشة خاصة أو عامة – بشكل نظامي بعضًا من النقد الخاص بالاقتصاديين ، فإننا قد لا نجد أي نمو اقتصاد، كنوع من «النجم الساطع» في مجتمع بلادنا الصناعية المتقدمة جدًّا .. هذا هو أحد أسوأ أمثلة إهمالنا للاقتصاد!

(6) الجدل الخاص بإهمال إجمالي المنتج القومي في الدول الصناعية :

(أ) *خلفية تاريخية للمغالاة في تقييم إجمالي المنتج القومي*

في السنوات التي تلت مباشرة الحرب العالمية الثانية، كان من الضروري جعل العجلة تتحرك مرة أخرى. وافترض الخبراء أن بناء أوروبا يستلزم وقتًا طويلًا. ولدهشة الجميع، استغرقت ألمانيا سنوات قليلة لتصبح عملاقًا اقتصاديًّا ذا مستوى حياة مادي مرتفع. وفي بلدان أخرى (ربما ليست المملكة المتحدة)، كان النمو أسرع من المتوقع . وأصبحت الإمكانيات التكنولوجية لإنتاج صناعي ضخم - وربما استمرت - لا تأخذ قدرها الذي تستحقه.

وما حدث منذ عام 1945 حتى عام 1965 في أوروبا كان نموًا اقتصاديًّا؛ بمعنى البناء والتقدم للأمام. ومن الواضح أن إجمالي المنتج القومي كان ضروريًّا. ولسوء الحظ ، فإن فكرة أن الناس سعوا لتوضيح وتفسير التقدم الاقتصادي بمعنى ايجابي واسع ، عن طريق المؤشر الضيق والغامض لإجمالي المنتج القومي ، أصبحت واسعة الانتشار.

وبدأ الشعور بالشك - بالفعل - يفصح عن نفسه عند الحديث عن كل الأشياء الغريبة ، التي بدأت تتحول إلى الجانب الايجابي للحسابات القومية ، وهي تضم: تركيز الصناعة على القضاء على التلوث، والإسعافات الأولية لضحايا الحوادث المرورية، والسجون، وكل الأشياء التي تحتاجها البلاد الصناعية لإصلاح الجوانب غير المرغوبة فيها لمجتمعاتها. وتدخل تكلفة النمو نفسها في الجانب الإيجابي لحسابات إجمالي المنتج القومي!

إذا.. فإن إجمالي المنتج القومي هو - بمعني معين - كمية محايدة القيمة: مقياس للنشاط، وليس مقياسًا من أي نوع للقيمة ، وهذا أول

جدل ضد النمو المستمر. إن إجمالي المنتج القومي لا يعطي أي ضمان ذي مغزى لما تم عمله، كما أن نمو إجمالي المنتج القومي لا يعني أي نمو في القيمة الجوهرية، وأي تقدم على طريق تحقيق الذات.

من الواضح أن أي نوع من النمو الاقتصادي، والذي لا يرتبط بقيم جوهرية، هو محايد أو ضار، وأن مقياس إجمالي المنتج القومي مرتبط - بطريقة ما - بشراسة بالنشاط في المجتمع، ولكن هذه الشراسة قد تكون مرتبطة أكثر بعدم قدرة أعضاء المجتمع على أن يشتركوا في نشاط ذي مغزى، بدلًا من قياس شيء، يجب أن تنظر إليه الإنسانية بفرح، وليست هناك أي علاقة واضحة بأسلوب الحياة.

إن مناقشة إجمالي المنتج القومي لأمر جدير بالاهتمام؛ لأنه يستخدم بالفعل في السياسة، كما لو كانت له علاقة وثيقة بأسلوب الحياة أو الأنواع الثلاثة للأهداف النهائية المقترحة في الفصلين الثالث والرابع. باختصار .. فإن إجمالي المنتج القومي يعامل كإجمالي قومي لأسلوب لحياة، وإجمالي المتعة القومية، وإجمالي السعادة القومية، أو إجمالي الإتقان القومي. ومصطلح «إجمالي» مهم ؛ لأن إجمالي المنتج القومي نفسه يكون منسجمًا مع أي توزيع، على سبيل المثال 95% من الناس في فقر مطلق، و 5% منهم في ثروة مفرطة، أو كل الناس في مستوى المعيشة نفسه .

(ب) *إجمالي المنتج القومي هو مقياس للرفاهية: لم لا؟*

هناك جدل جوهري ضد نمو إجمالي المنتج القومي، يتعلق باختلافه عن نمو الرفاهية. وقد عبر رئيس تحرير مجلة المتخصصين Sosialøkonomen (الاقتصادي) هذا منذ زمن بعيد في عام 1972 كالتالي:

1- يتضمن المنتج القومي أهدافًا وخدمات أقل، حتى من تلك التي يستخدمها الشخص المتوسط.

2- إن مكونات تقييم القيد المفرد في الحسابات القومية لا تستجيب لتأثير الرفاهية على المكونات.

3- المنتج القومي لا يقول شيئًا عن توزيع السلع بين الأشخاص.

4- المنتج القومي يظهر النشاط الجاري ، ولكنه لا يعكس الوقت الإضافي ؛ فهو لا يذكر شيئا عن استخراج الموارد المحدودة والتغيرات ، التي يتعذر إلغاؤها، أو التخلص منها.

وفي توضيح مثال استخدمه هازيل هيندرسن (1981، ص 300) ، نلاحظ أن زيادة من مليون إلى مليوني جنيه إسترليني ، قد تم إنفاقها في إجراءات تعليمية مضادة للتدخين مجتمعة ، مع نقص من 80 مليون إلى 70 مليون جنيه إسترليني في الدعاية وتشجيع التبغ، وهي تمثل نقصًا «مؤسفًا» قدره 9 ملايين جنيه إسترليني من إجمالي المنتج القومي ؛ فأي زيادة في الاعتماد على الذات، أو تناول الطعام في المنزل بدلًا من المطاعم ، واختيار العمل القريب من المنزل- عمليًّا كل شيء يدل على التقدم تجاه المعقول، والحياة التي تبررها الفلسفة البيئية – قد ينتج عنها نقص «مؤسف» في إجمالي المنتج القومي ، وسوف تُلاحَظ كانخفاض «مقلق» للنمو الاقتصادي. البيئة متهمة (انظر جانسون (1984) .. نوعية الحياة نفسها متهمة . إن كل قرص مضاد للاكتئاب، هو إضافة إلى إجمالي المنتج القومي.

استخراج الموارد غير المتجددة والعمليات الأخرى المحطمة للبيئة ، التي يتعذر إلغاؤها هي ظاهرة عالمية ، وعلى المدى البعيد في علاقة حميمة مع مستوى الرفاهية . إن مصطلح نشاط «جاري» يشير إلى حيادية الوقت، وهو مختلف عن النشاط الخلاق. وربما يكون النشاط «المرح» أكثر ملاءمة بقدر قليل .. *الاستمرارية* يتم تجاهلها بالكامل.

وتضيف ثقافة إجمالي المنتج القومي إلى لفت الانتباه بعيدًا عن مشكلات التوزيع ، وتتضمن خطة أي سياسة خضراء التخلص من

الانحراف في التوزيع بين المركز ، وما يحيط بـه كأحـد أهـدافها. ومـازال إجمالي المنتج القومي يميل إلى تفضيل تنمية أكثر للمناطق الصناعية ، التـي هي بالفعل قوية وتتمتع بمركزية.

(جـ) *تفضيل نمـو إجمـالي المنـتج القـومي لتكنولوجيـا العتـاد المـادي وللتكنولوجيا البعيدة* :

لا يـزداد إجمـالي المنـتج القـومي بـسرعة مـع تكنولوجيـا البرامجيـات والقريبة ، كما مع تكنولوجيا العتاد المـادي ، والتكنولوجيـا التـي تتطلـب أوقات نقل طويلة ومسافات. وذلـك يناسـب - عـلى المـدى القريـب - الشعار التالي لنموذج النمو الاقتصادي .. فإذا كان من الممكن عمل شيء بطريقة معقدة ، وبالتالي يدر ربحًا أكثر، فلماذا نقوم بعمله ببساطة؟

(د) *تفضيل إجمالي المنتج القومي للرغبات، وليس الاحتياجات* :

في إجمالي المنتج القـومي ، لـيس هنـاك مكـان للتفرقـة بـين الإهـدار، والرفاهية، وإشباع الحاجات الأساسية. ويتم تجاهل هـذا الفـرق ،الـذي يعد جوهريًّا جدًّا للمعيشة الاجتماعية الحكيمة لأسرتنا، بين ما يرغبه ومـا يحتاجه الفرد،. وتفضل المحاولات المستميتة للاستمرار في نمـو إجمـالي المنتج القومي، الطبيعة غير المحدودة للرغبات ، وهي أيضا تفـضل، بنـاء على ذلك الاعتقاد بضرورة التوسع في السوق.

وقد حاول النـاس قيـاس إلى أي درجـة زاد النمـو الاقتـصادي، مـن إشباع الحاجات الأساسية. والنتيجة - ككل - كانت : إن أي تأثير إيجـابي كان في البداية، الآن يتناقص بمعدل ثابت ، ولا نعتبر الفقر- وخـصوصا الفقر النسبي- قد تم القضاء عليه مع زيادة إجمالي المنتج القـومي. ويميـل نمو إجمالي المنتج القومي نحو زيادة المسافة بين مـستوى الطمـوح المـادي للفرد (الرغبات المادية العالمية) ، والإمكانات الفعلية الاقتصادية للفرد.

(هـ) تحامل إجمالي المنتج القومي ضد الأشخاص ، الذين يعملون بالمنزل :

من الواضح من قيد حسابات إجمالي المنتج القومي أن جزءًا مهمًّا في كل العمل الحالي قد تم إهماله ، وهو العمل غير المدفوع الأجر بالمنزل ؛ ذلك أن عمل ربات البيوت أو الأزواج في المنزل لا يؤخذ في الاعتبار ، رغم حقيقة أنه من السهل نسبيًّا حساب كم مليون، من التكلفة، لو تم دفع مقابل لكل عمل منزلي؛ طبقًا للمعدل المعتاد. وهناك مكون تقليدي مهم لرفاهية الرجل أو المرأة العاملة لا يدخل في إجمالي المنتج القومي: وهو أن شخصًا ما يعمل له أو لها بالمنزل.

وهذه الأشياء في الهياكل الأقل تقليدية للأسرة ملتوية قليلًا ، ولكن ما زال هناك عمل معين يجب أن يتم في المنزل. ومهما كان ما نقوم به، فهو مازال لا يؤخذ في الاعتبار ، في أي من القيود المفردة، المؤدية إلى إجمالي المنتج القومي ، ويبدو أن ما يهم هو الوسائل المعقدة للوصول للأهداف الفقيرة.

(و) يؤيد إجمالي المنتج القومي موارد الاستهلاك والتلوث العالمي غير المسئول وغير المتكافل :

وعندما ترسّى ثروات الأراضي الصناعية ومستوى التكنولوجيا الأساس لقياس موارد العالم، فإن المرء يصل إلى النتيجة المعتادة ، وهى أنها عمليًّا غير محدودة ، والخبراء الذين عينتهم أكثر الأمم المتقدمة تقنيًّا يقدرون أنه – مع استخدام نسبة صغيرة من الدخل القومي – يمكن أن نشكل تكنولوجيات جديدة؛ لحل أي مشكلة بيئية. وحتى لو كان ذلك حقيقيًّا ، فإن هذه النتيجة لا تساوي الكثير ؛ لأنها لا تأخذ العلاقة بين الدول النامية والدول الصناعية في الاعتبار . فالمورد المستخدم بالنسبة لبريطانيا أو النرويج قد لا يكون مستخدمًا في دولة نامية.

(ز) *النمو الاقتصادي غير ذي موضوع* :

كيف يمكن تنفيذ سياسة بيئية مسئولة ؟ هل يجب أن ينمو إجمالي المنتج القومي سريعًا ليظهر معدلًا منخفضًا من النمو ، ولكنه مع ذلك ينمو، أم يظل ساكنًا ، أم ينقص؟ ليست هناك إجابة بسيطة ؛ فمن حيث المبدأ فإن إجمالي المنتج القومي غير ذي موضوع ، وما يهم في السياسة الاقتصادية للدولة *أن كل قيد مفرد يلخص في شكل رقم واحد*- إجمالي المنتج القومي. وليست الدولة كأمة، أهم وحدة اقتصادية في اقتصاد الحاجات؛ فلاقتصاد المجتمعات الأسبقية.

وإذا لم تدعم السياسة الخضراء إجمالي منتج قومي مخفضًا ، ولكنها تدعم برنامجًا لتغيير القيد المفرد، فما التغييرات التي يجب أن نقترحها بالضبط؟ لن تكون الإجابة بسيطة.

ليست هناك فلسفة اقتصادية لنمو الصفر. إن المدافعين عن زيادة النمو الفعلي، هم الذين افترضوا أن هناك فلسفه نمو الصفر الخيالي كخصم مريح ، ولكن غير موجود. وأعتقد أن وزير دولة قد سمى بدقة فلسفة نمو الصفر «جنون عقل لا يتوقف عن الدوران»، ولكن عقل من الذي يدور؟- شخص يعارض حركة البيئة العميقة. إن مصطلح «نمو الصفر» له معنى واضح في دراسة السكان ، فعندما يقف نمو السكان عند مستوى ثابت ، يقال إن هناك نمو صفر ، ولا يوجد أي داعٍ لأن يتبنى الاقتصاد هذا المصطلح.

يركز الاهتمام بإجمالي المنتج القومي ، بشكل مستمر ، على الحجم الكلى تقريبًا لكل شيء. وقد طرحت مجلة Sosialøkonomen «الاقتصاد الاجتماعي» (2 ، 1973) هذا الموضوع في شكل مقال ؛ حيث كتبت تقول:

إن فكرة ضرورة إمكانة الوصول إلى كمية واحدة لرفاهية البلد أو السعادة القومية، تظهر بعض السذاجة ونقص البصيرة في المشكلة المجمعة. وحتى إذا وصل الفرد إلى هذا الرقم، ماذا إذن؟ رقم واحد لا يمكن أن يكون قاعدة أساس لسياسة ملموسة ؛ فالسياسة يجب أن تبدأ بالنشاط الفردي وتنتهي.

وينبع افتقار إجمالي المنتج القومي لاستيراد السياسات الخضراء، أيضًا من حقيقة أنها لا تصرف الانتباه بعيدًا عن الدولة لتتجه نحو النقيضين الجوهريين: اقتصاديات المجتمعات المحلية، والروابط العالمية الاقتصادية. ويشير متوسط النمو في إجمالي المنتج القومي - في النرويج وقدره 3.47%منذ عام 1950 حتى 1962 - أساسًا إلى تحول عوامل الإنتاج من فروع ذات إنتاجيه منخفضة إلى فروع عالية الإنتاجية ، وهذا التحول مريب جدًّا من وجهة نظر السياسية الخضراء. والسبب التالي الأكثر قوة هو زيادة الرأسمال الداخل للعامل، ولكل مكان عمل. ويسمى السبب الثالث «التقدم في التكنولوجيا والمعرفة التنظيمية»،ويعنى أساسًا التحرك نحو المركزية «التكنولوجيا العالية»، بينما يكون السبب الرابع هو زيادة حجم الأعمال.

ويجب بالطبع استخدام هذه العبارات عن الأسباب بعناية ، ولكنها تظهر بأهمية حاسمة في أن الانتباه يجب أن يوجه لكل قيد مفرد. وإذا سعت اللامركزية والأعمال التجارية الصغيرة للقوة لكي تقوى ، فإن المرء لا يستطيع أن ينتظر في الوقت نفسه أي نمو في إجمالي المنتج القومي.

(ح) *محاولات في غير موضعها لإنقاذ إجمالي المنتج القومي* :

يرغب الكثيرون في إصلاح معيار إجمالي المنتج القومي؛ حتى يصبح تعبيرًا عن الأشياء جيدة الإنتاج، ومن ذلك سرد النصيحة الخاصة بعدم احتساب القيود المفردة في حسابات إجمالي منتج الشركة. وإذا كان أسلوب العمل في شركة ما يؤدى إلى الضغط العصبي، وهذا يؤدي بدوره

إلى مصاريف استثنائية للصحة العامة.. فإن هذه المصاريف يجب أن تخصم. وفي الضوء نفسه، فإذا كان العمال يقطعون مسافات طويلة للوصول للعمل، فإن ذلك يزيد من الزحام المروري، والحوادث، والتلوث، إلخ. وإذا كانت الشركة تطلق غازات في الغلاف الجوي، أو تتسبب في التلوث بطرق أخرى.. فإن ذلك أيضًا يجب أن يخصم من إجمالي المنتج القومي. باختصار، يجب أن تخصم كل تكلفة للمجتمع. وإذا دمرنا شيئًا لأجيال المستقبل، فإن ذلك يجب أن يوضع أيضًا في الجانب السلبي، لأنه مازال يوجد اهتمام بالأطفال.

ولكن تقديرات التكلفة الاجتماعية للتلوث تختلف بشكل متوقع مع الفلسفات السياسية والأخلاق. والشيء نفسه ينطبق على العوامل الأخرى، التي نقدمها *كأسعار وهمية*؛ أي أسعار لا يمكن ملاحظتها في الأسواق. ونتحرك بعيدًا عن مقاييس كمية، تبدو واضحة إلى أنظمة من أولويات القيمة. وإذا كان يجب تنقيح مصطلح إجمالي المنتج القومي وإعطاؤه معنى إيجابيًّا، فإننا ننقاد تجاه مقياس للتقدم ذي صلة بالنظام المعياري.

وبذلك نعود للفلسفة، ويغدو الحديث عن إصلاح إجمالي المنتج القومي إذن مراوغة صرفة للموضوع.

(ط) ***العمالة والنمو***:

إنه من المسلم به، خصوصا في أوروبا، أن هناك على الأحرى ارتباطًا محددًا بين مستوى العمالة والنمو الاقتصادي، ولكن لا يؤيد كل الاقتصاديون هذه النظرية. وإذا تغيرت السياسة الاقتصادية - على سبيل المثال من تكثيف رأس المال لتكثيف العمالة كطريقة للإنتاج - فسيتوقف النمو الاقتصادي أو ينخفض (عند قياسه بإجمالي المنتج القومي)، ولكن مستوى العمالة سيتحسن.

علاوة على ذلك، هناك أفكار «الأوقات سعيدة »والاستهلاك المرتفع ومتطلبات مرتفعة اقتصاديا. وفي المجتمع، يعني الطلب المرتفع أن هناك كثيرًا من الأشياء التي نشعر أنها غير متوافرة، وهو لا يشير إلى درجة عالية من الإشباع، أو درجة عالية من السعادة أو الإتقان، ولا يقول أي شيء عن التوزيع أو الاستمرارية. ولكن ذلك لا يعني القول بأن التجارة أو المطلب هي شيء محايد تماما في ضوء تحقيق الذات، والخلاصة الرئيسية هي - على أي حال - أن أي تقدير للتقدم الاقتصادي العام يفترض مسبقًا مجموعة من القيم أو المعايير، يجب أن يكون بعضها أساسيًا، ويجب أن يربط الاقتصادي المحترف تقديراته بهذه المجموعات.

(7) الأفكار الأساسية في نظرية الرفاهية الاقتصادية :

(أ) *طبيعة الرفاه الاقتصادي* :

لقد نما في هذا القرن في أوروبا فرع معقد جدًّا من الاقتصاد ، يدعى بنظرية الرفاهية. ونقصد بالرفاهية هنا بأسلوب إجمالي جدًّا، وإشباع الحاجة، والرفاهية العالية هي الإشباع العالي للاحتياجات. ولا يستخدم المتخصصون عمومًا مصطلح «إشباع»، ولكنهم بدلًا من ذلك يستخدمون «منفعة»، ويجب أن نتذكر أن زيادة المنفعة تعني إشباع الحاجة عن طريق سلعة أو خدمة.

كيف إذًا ندرس زيادة الإشباع؟ إنه في دراسات الرفاهية - بشكل عام- يتم على هذا النحو: قد نسجل الاختيارات الفعلية الحقيقية لشخص NN بين سلعتين «ألف» و«باء» في موقف «س». إذا اختار NN «ألف» قبل «باء»، يقال إن هذا الشخص يفضل «ألف» عن «باء»، وإذا حصلنا «ألف» فإننا ندوِّن أنه إضافة للإشباع، وإضافة في المنفعة.

ولكن ما نستطيع جمعه من بيانات بهذه الطريقة محدود جدًّا. وبالطبع نستطيع ملاحظة الشخص في السوق، ولكن على سبيل المثال، من الصعب جدًّا ملاحظة اختياره بين «ألف» و«باء»، عندما يكون اختيار «ألف» «العيش في المدينة» واختيار «باء» «العيش في الريف». وإذا كانت هناك 500 سلعة في السوق، فإن اختياراته لن تغطي بالطبع كل الـ «500»؛ لذلك فإنه من الضروري تقديم فكرة الاختيار «التخميني » أو الاختيار الفرضي، بشأن كيف يتصرف «ألف» ، ليس في الموقف الحقيقي «س»، ولكن في موقف تم تركيبه. يمكن أن يوجه لنا هذا السؤال في مقابلة «إذا كان يجب أن تختار بين «ألف» و«باء»، فماذا تختار؟».

هكذا تم إدخال الإشباع، ببساطة كمصطلح آخر، غير الذي تم اختياره من بين الاختيارات النسبية، في مواقف محددة من الحياة الحقيقية أو في مواقف تخمينية.

يجب أن نبحث أيضًا في حالة أخرى.. إذا فكرت في الحصول على نوع واحد من السلع «ألف» ، والحصول على كثير منه، فإن معدل الإشباع من كل وحدة من هذه السلعة سوف ينقص بشكل عام، بعد نقطة معينة. فإذا كانت لديك ست نقاط، فقد يسأل شخص: ما الإشباع الذي سيمنحك إياه الحصول على وحدة سابعة؟، وهذا يسمى «*المنفعة الهامشية*» للسلعة «ألف»، عندما يكون لدى شخص NN عدد مقبول من هذه الوحدات.

وهناك فكرة أخرى وهي الـ Profile ؛ أي موجز بيانات الخصائص المميزة للسلع والخدمات، على سبيل المثال، أسئلة، مثل: أين يكون منزلك؟ وأين يكون محل عملك؟ وإلى أي مدى تحتاج إلى طبيعة حرة في الجيرة التي تعيش فيها؟ وبصفة عامة أكثر، ما نوع المجتمع الذي تفضله؟ إذن يتضمن الاختيار بين «ألف» و«باء» اختيار سياسات اقتصادية، حتى اختيار طرق

للديمقراطية. إن اختيارات الأشياء الفردية سوف يعتمد على اختيار الفرد من هذا Profile الموجز. ويستخدم مصطلح «Profile»؛ لأنه عليك أن تقارن عددًا ضخمًا من السلع والخدمات، ووضعها داخل طبقات متنوعة من هذه الأشياء، وذلك يؤدي إلى أفكار مهمة أخرى، مثل: الرفاهية الفردية، والرفاهية الدولية والعالمية، ثم هناك شيء مهم جدًّا للبيئيين، وهو رفاهية *أي كائن حي، يمكن أن يشعر بالإشباع أو له تفضيلات*.

وتفكر معظم نظريات الرفاهية حتى الآن في الكائنات البشرية بشكل حصري، بينما إذا استخدمت نظريات النفعية الكلاسيكية (بنثام، ميل) تكون المنفعة مرتبطة بأي شيء حي، يشعر بالرضا أو عدم الرضا. إذن، فالرفاهية البشرية الفردية هي واحدة فقط من تطبيقات نظرية الرفاهية، وإن كانت على نطاق ضيق. ويمكن لمعادلات الرفاهية أن تكون مرتبطة بأي نوع من الوحدات الاجتماعية، ومرتبطة أيضا بالطبع بالإطراف المهمة بيئيًّا للمجتمع المحلي للمحيط الحيوي الكلي.

الفكرة الأخيرة التي لها علاقة هنا هي *الدرجة القصوى للرفاهية*، ومن الواضح أنه إذا كان لديك مائة شخص.. ستكون هناك أنواع مختلفة من زيادة الإشباع، مثل: زيادة إشباع فرد الذي يتطلب نقص إشباع عند فرد آخر، أو يفضل فرد زيادة الإشباع عند الآخرين. وبالطبع.. فإن هذا الأخير فقط هو الذي يتسق مع الزيادة في تحقيق الذات.

وتعتمد الرفاهية الواقعية المثالية ، ضمن أشياء أخرى ، على الإنتاج. إذا أخذت الموارد كمعطيات.. فإن أعلى معيار في السياسة الاقتصادية هو تحقيق نوع الإنتاج ونوعية الإنتاج، التي تزيد *الرفاهية الكلية* في المجتمع، مع أقل عمل ممكن من النوع الذي ليس له قيمة جوهرية. وكنصيحة جيدة، خصوصا فيما يتعلق بالكميات، فمن الواضح أنه من المرغوب فيه

أن يكون نموذج الرفاهية نفسها قـابلًا للقيـاس، وذلـك يتـضمن محاولـة لقياس التفضيلات. ويعترف الاقتصاديون أن ذلـك يتـضمن صـعوبات ضخمة، ويعتقد كثيرون أنه مستحيل.

هناك فرق كبير بين التفكير المجرد عالي المستوى تقريبًا في النظرية البديهية للرفاهية، والمستوى المنخفض للتطبيق في مشكلات المجتمع الحقيقية.. وهذا له علاقة أساسًا بالخصائص الأساسية للناس، حينما يقومـون باختيـاراتهم؛ فاختياراتهم ليست مثل الـذرات، ولكنهـا في الواقـع جـزء مـن حزمـة مـن الاختيارات، مثل: كيف يعيش في مكـان معـين وكيـف يعتنـي بالأطفـال.. وتختلف التفضيلات باختلاف صلاحيتها المقصودة مع الوقت.

وسنولي اهتمامًا أكثر لمصطلح «إشباع»، فالمتضمن في نظرية الرفاهية أن للمرء أفكارًا للإشباع، وفلسفتها هي فقط مساعدة. وسـيكون للـبعض، بشكل أو آخر، آراء تتعلق بمذهب المتعة، وآخرون لديهم آراء نفعيـة، ثـم هناك مرة أخرى مؤيدو الإتقان. وتعتمد اختيارات الفرد كثيرا عـلى نـوع الفلسفة التي يعتنقها؛ وليس عـلى الاختيـارات الكميـة الفرديـة (والتـي بالطبع يفضلها الاقتصاديون؛ لأنهم يستطيعون الحصول على أكبر قدر من البيانات من السوق).. إذًا نظرية الرفاهية ليست محايدة فلسفيًا.

عندما تدخل المتعة/ الاستياء في أفكار استخدام النفعية الهامشية، فـإن الرفاهية تتهم بأنها فلسفة المتعة. وعندما تدخل النفعية/ عدم النفعية، فإنها تتهم بأنها نفعيـة. ويمكـن أن تـسمى الاختيـارات أو القـرارات، عنـدما توضع عند القاعدة، فلسفة تطوعية/ فلسفة الإرادة.

من الواضح، أن نظرية الرفاهية تتطلـب أن نختـار مـسبقًا مـا إذا كنـا سنرى المجتمـع الـذي نتحـدث عنـه كمجتمـع متعـة، أو مجتمـع نفعـي، أو مجتمع تطوعي.. بالطبع، فإن نظرية الرفاهيـة هـذه سـتكون – بـشكل

كبير – تطبيقًا غير مباشر للنظام المعياري، وستبتعد بعيدًا جدًّا عن الاقتصاد العملي.

وهناك نقد أكثر عمقًا، وهو أنه يبدو أن نظرية الرفاهية تفترض أن السكان يعرفون إمكانياتهم للاختيار، وقد لا يكون ذلك هو الحال.

(ب) *من نظرية الرفاهية إلى الأنظمة المعيارية* :

عندما تكون نتائج عملية في شكل أضواء حقيقية خضراء وحمراء للإقحام المحدد داخل الأعمال.. فإن نقطة الانطلاق يجب أن تكون معيارية، وليست «نقطة انطلاق أولوية ذات قيمة غير فاعلة» فقط، ولكن تعبير يستخدم تعبيرات أخلاقية، مثل: «يتعين» ، «سوف» ، أو «يجب». لا يكفي أن نقول «إذا كنا سنعطي أولوية عليا لزيادة النمو الاقتصادي إذن....»، ولكن من الضروري أن نقول «سوف نعطي أولوية عليا لزيادة النمو الاقتصادي! لذلك ...». يجب أن تكون هناك عبارات بعلامات تعجب، وليس فقط إشارات رأى عام وتحليل اقتصادي تقني!

وتأخذ نظرية الرفاهية الاقتصادية القياسية الصلبة نقطة بدء، لها نظام معياري، يتبع «ديبرو» و«رادر»: نظام اقتصادي مكون من: (1) مواصفات لدولتين محتملتين في العالم «ألف» و«باء»، و(2) مواصفات نظام قيمة بمعايير تزيد من فاعلية النظام، و(3) أنظمة تزيد من فاعلية نظام القيمة داخل دول العالم الممكنة. ومن السهل أن ترى أن ما أخذ هنا على أنه نقطة انطلاق هو نظام معياري، كما هو معرف في هذا الكتاب، ولكن عمليًّا وضعت الصفة المعيارية بطريقة ما تحت السجادة. هناك بالطبع أسباب لذلك: إذا تعمقت حقًّا داخل نظام معياري محدد، سترى أنه لا يمكن أن يكون هناك علم مبني منه ككل، ولكن إذا وضعت *مسلمات* أولويات القيمة، فإن أجزاء من النظام قد تشبع المنهجية العلمية.

والدليل على ذلك واضح من التفكير الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي؛ حيث يحاول مكتب مركزي عملاق - بآلات جمع بيانات كبيرة - أن يظل على اتصال بمكاتب أصغر في جميع أنحاء البلد، والهدف الأعلى هو التخطيط الاقتصادي القومي الأمثل بعيد المدى (فيدورينكو، 1972). وللنظام المعياري المذكور معيار واحد أعلى وواحد فقط: اندماج وتنمية النظام الاشتراكي! ولم يكن من الصعب رؤية أنه يمكن العناية بالمعايير الأصغر بأسفل الهرم، عن طريق المكاتب الأصغر، ويرجع الفضل في ذلك إلى غموض وإبهام هذه الصياغة. ويتغير تفسير المعيار الأعلى من وقت إلى آخر عن طريق البيانات الرسمية في البوليتبرو، الذي يدلى بها اقتصاديو البلد الكبار. وعمليًّا، فإن ذلك يعنى أنه ليس هناك حقًّا معيار أعلى ثابت تمامًا على مر التاريخ، ولكنه قد تمت مراجعة التطور المتدفق لتفسيرات معنى الاشتراكية بمرور الوقت.

تشتق من هذا المعيار الأعلى قائمة من المعايير الأصغر، N4 به المعيار المهم: «قم بزيادة الرفاهية لأفراد الاتحاد الاشتراكي!» ويشتق من N4 ، N4.1: «قم بزيادة الرفاهية المادية!» و N4.2 : «قم بزيادة الرفاهية الاجتماعية!»، ويطلق على الهرم كله «شجرة الأهداف»، وهو مفيد جدًّا تعليميًّا للطالب الذي يدرس النظم المعيارية!

ويحصل السياسيون من هذه المعايير على تقديرات غير نهائية، لما يجب أن يحدث في المستقبل القريب. هناك دائما على الأقل جدل رسمي من المعيار الأعلى. وباختصار، فإن الفلسفة تكون متضمنة بشكل ظاهري، ويعتقد أنها غير متغيرة من وجهة النظر الإيديولوجية. في الواقع، هناك تفسيرات مختلفة عندما تتم رؤيتها في ضوء تاريخي، وتفسيرات فردية في الإدارات المختلفة. ويمكن أن نستنتج المدى الذي يسمح به النظام بهذا، ومن الواضح أن المناورات في استخدام المعاني ذات أهمية.

إن نوع الحل الذي تمت تجربته في الاتحاد السوفييتي ليس مثل الاقتصاد المختلط للدول الإسكندينافية. ولكن يجب أن نعترف - أيا كان ما نريد، سواء سياسة زرقاء، أو حمراء أو خضراء- بأنه ليست هناك حلول، ولا قرارات تؤخذ، إلا من داخل رؤيا كلية، بما في ذلك المعايير المقبولة، كقاعدة دون تبرير. نحن لا نتجنب أولويات القيمة الجوهرية.. إننا فقط نجعل الأشياء أقل وضوحًا إذا فقدنا قوة علامة التعجب! يجب ببساطة أن نعترف أننا - كبشر - يجب أن نحاول أن نعمل كأشخاص متكاملين، ويجب أن تكون المجتمعات مجتمعات متكاملة، حتى لو كانت مجتمعات تعددية، والفلسفة هي مسبقة الافتراض.. في هذا الكتاب، أقترحت الفلسفة البيئية T كمثال.

(جـ) *من الرفاهية إلى تحقيق الذات: من W إلى T* :

فيما يلي اقتراح عن كيفية تحويل جمل نظرية للرفاهية إلى جمل تحقيق الذات. توضح الإشارة الاختلافات بين وجهات نظر الاقتصاديين المعاصرين وتلك لمؤيدي الفلسفة البيئية، ونأمل أن يأتي المستقبل متعاونًا مثمرًا.

دعنا نأخذ- كنقاط بدء لجمل نظرية الرفاهية- من النوع التالي: سيختار NN «ألف» قبل «باء» إذا كان لدى NN الفرصة للاختيار. وهنا يميز الموقفان «ألف» و«باء» موجزين مختلفين للمواصفات Profiles أو مجموعات نوعية للسلع والخدمات.. من وجهة نظر الفلسفة البيئية T يعتبر أيهما لديه «تحقيق الذات!» المعيار الأكثر جوهرية، وستؤخذ هذه الجملة على أنها علامة، وعلى أنها فقط دلالة على أن الموقف «ألف» سوف يتضمن ظروفًا أفضل لتحقيق معايير NN كاملة داخل نظامه عن الموقف «باء». ويتماشى اختيار «ألف» أفضل مع فلسفة NN من الخيار «باء»، أو يخلق الاختيار «ألف» ظروفًا أفضل لتنفيذ فلسفة NN من الاختيار «باء».

ولا يعتمد مدى النجاح الفعلي للاختيار على العلاقة بمعيار مفرد، بل ستكون هناك دائمًا معايير كثيرة ضرورية، وسوف تنتشر تبعات الاختيار كموجات وتتصل بمجال صلاحية معايير كثيرة. ويمكن لهذه كنقطة بداية، أن نقدم للاختبار ثلاثة أنواع من المقترحات بالمعنى الرئيسي نفسه:

- سيصل تحقيق الذات لـ NN إلى مستوى أعلى، مع أو بواسطة «ألف»، عن مع أو بواسطة «باء».
- «ألف» يعنى ظروفًا أفضل من «باء» لتحقيق الذات (ليس فقط لـ NN ، ولكن للكينونة الفردية atman)
- يزداد تحقيق الذات الكلي لـNN ، عندما يحقق أو يحصل على «ألف» ، ولا يفقد في الوقت نفسه أشياء أخرى إيجابية.

ولذلك.. فإن السلعتين أو الخدمتين، أو موجز صفات Profiles السلع والخدمات «ألف» و«باء» لا يحدد تحقيق الذات، ولكن يمكن أن يقال أن له شأنًا إيجابيًّا أو سلبيًّا على تحقيق الذات.

ما يقال عنه الآن أنه حاسم ما هو إلا التسلسل الهرمي من المعايير والنظريات في فلسفة تحقيق الذات: ونتيجة أن «ألف» أفضل من «باء» مبنية على مجموعة النظريات القائمة على علاقات فعلية، كالموارد، على سبيل المثال، ولكنها أيضا تضم نظريات عن النفس. إذا كان هناك معيار (N1)، والذي مع النظرية (H1)، يعنى أن على المرء أن يفضل في الاختيار «ألف» على «باء» ؛ فذلك لأنه من الواضح بشكل كافٍ أن مهمة NN - بالإضافة إلى مهمة عالم الاجتماع - هي بحث إمكانية الاحتفاظ وضرورة H1 .

إذا كان المعيار يقول «اسع للتأمين ضد البطالة!»، فإنه من الواضح في الأغلب أن أمن NN يعتمد على السياسة الاقتصادية لمجتمعه، وعلى كثير

من الأشياء الأخرى خارج العالم، الذي يعرفه NN جيدًا. لذلك سيحاول NN أن يؤيد السياسة التي يعتقد أنها تؤمنه، أو يضيف إلى احتمالية أنه يمكن أن يؤمن نفسه ضد البطالة، و NN ليس أنانيًّا تمامًا، سيفكر في أمن الآخرين ضد البطالة أيضا، وذلك يعجل برأي NN في أي سياسة الأفضل والأكثر أهمية لكل المجتمع. ويجب أن نحدد أي شراء للسلع أو الخدمات - في ضوء أحد هذه المعايير على الأقل - يحتل درجة عالية إلى حد ما في هرم المعايير.

قد يكون من الضروري لـ NN أن يشغل وظيفة أعلى راتبًا، ولكن ليست أقل أمنًا، وهذا يقودنا إلى أنواع من الأبحاث مختلفة جدًّا عن النوع المعتاد، داخل الاقتصاد العملي.

(8) بحث نوعية الحياة: مقابلات عميقة :

يربط الناس نظام قيمتهم بنظام الآخرين، عن طريقة مقارنة كيف يرون الحياة الأسرية، وأهمية الوظيفة أو المهنة، ومستوى الأمن الاقتصادي مقابل تحمل المخاطرة الاقتصادية، وكيف يقيمون العمل الشيق والمفيد مقابل العمل جيد الأجر (حين ينشأ هذا التباين)، والأهمية النسبية للتعليم. ولكنهم، أيضًا يرغبون وقادرون على الدخول في مسائل مجردة، أكثر مثلما يجدون أنه - على وجه الخصوص - ذو مغزى، أو يستحق العناء، أو يمثل أسلوب حياة له تبريراته أخلاقيًّا.

إلى الحد الذي يمكن فيه إجراء المقابلة أن يحصل على رأى واضح، على أحكام القيمة من الشخص موضوع المقابلة، فإن الطريق يكون متاحًا لمعرفة إلى أي مدى يعتبر الأشخاص أنفسهم في وضع للعيش، وفقًا لهذه الأحكام، وكلما ارتفع الانسجام بين المثالي والواقع ارتفع أسلوب الحياة.

وهنا يثار سؤال السياسة الاقتصادية: ما السياسة الاقتصادية التي يعتبرها الأشخاص مناسبة لتحقيق أولويات قيمهم؟ *ما السياسة الاقتصادية المناسبة أكثر لمستوى نوعية الحياة؟*

والعلم الاجتماعي الجديد هنا يسمى «*أبحاث نوعية الحياة*»، وقد تم بشكل أو بآخر تقديم، مصطلح نوعية الحياة؛ ليكون ضد الفكرة الاقتصادية لمستوى المعيشة، وللارتباك في الطلبات على السوق وعلى الاحتياجات. وللاطلاع على المواد المطبوعة، انظر على سبيل المثال (تشامبرلين1985) علاقة الدخل بنوعية الحياة هي علاقة رئيسية، انظر على سبيل المثال (دانكان1975).

وأسلوب البحث في هذه الأبحاث هو «*المقابلة العميقة*». ويجب أن نحاول - إذا كنا في وضع نكون فيه مسئولين بطريقة ما عن الناس في مجتمعنا - تنظيم أنظمتهم المعيارية عن طريق المقابلات المتعمقة، وربط هذه النتائج بالموارد، كما نراها وكما يراها الناس.

ولنوعية الحياة مركز قوي في نوعية الحياة النفسية: فأنت تبحث كيف يواجه الرجال والنساء المواقف التي تقابلهم في حياتهم، وما إذا كان يشعرون بأن شيئًا ما يهددهم، وما هذا الشيء الذي يهددهم ، وما إذا كانوا يشعرون أنهم غير متأكدين من شيء، وما هذا الشيء الذي يشعرون بعدم التأكد تجاهه، وما إذا كانوا يشعرون أنهم أقل شأنًا بشكل ما، وما الشيء الذي يشعرون أنهم أقل منه شأنًا، وما نوع الإحباطات التي لديهم بشكل عام. أو بمعنى آخر، بحث تجريبي للأنظمة المعيارية عن طريق السؤال المستمر :لماذا؟

ويشعر بعض الناس بالطبع أنهم مهددون بأشياء لا يعتقد الباحث الاجتماعي أنها موجودة، وعلى الجانب الآخر قد يحدث أنهم لا يشعرون

بالتهديد من أشياء، يرى الباحث الاجتماعي أنها يجب أن تهددهم، وأنهم يشعرون بأنهم آمنون، رغم الشعور بأنهم قد يفقدون عملهم أو يتعرضون للإيذاء بطريقة أخرى. لذلك فإنه يجب على عالم الاجتماع أن يزن نظرياته الخاصة، مقابل تلك النظريات التي لدى الشخص الذي يتم سؤاله. والاختلاف بين النظريات نفسها هو في حد ذاته مهم، ويجب أن يضعه صانعو القرار في الاعتبار.

والأمر متروك لهؤلاء المسئولين عن سياسة المجتمع؛ ليقرروا عما إذا كانوا - وإلى أي حد - يأخذون أقوال كل شخص على علّتها، كما يجب أن يخططوا سياسة جزئية على أساس النظريات المختلفة، وهذا ينطبق أيضًا على المعايير. إذا كان الشخص يتصرف بوضوح، على أساس تهديد يشعر به، وبالتالي يؤذي الآخرين، فيجب أن يحاول المرء أن يؤثر في معايير كيفيه تصرف الأشخاص تجاه أشخاص آخرين في المجتمع.

من الواضح أن البيانات التي يحصل عليها الشخص من المقابلة العميقة في بحث نوعية الحياة، تكون أسسًا أفضل للسياسة، من تلك التي يحصل عليها الشخص من بحث عن السوق. ويستخدم المصطلح «عميق» هنا؛ لأن المقابلة يجب أن تحدث في البيئة الطبيعية للشخص، الذي تتم مقابلته، وتستغرق على الأقل عدة ساعات، وتمضي بأسلوب الاسترخاء وبأسلوب طبيعي؛ على أمل الوصول في النهاية إلى أولويات القيمة ونظرة للحياة. ويحتاج المرء - لنقل، على الأقل في المتوسط - إلى نصف يوم من العمل، قبل أن يتم الحصول منه على معلومات مفيدة. وقد يكون ذلك أمرًا مكلفًا، ولكن النتائج تشير حتى الآن إلى أن المعايير الحقيقية والإشباع الحقيقي الذي يشعر به الناس يختلف عما يفترضه الباحثون، وينفق المال في محله. ونكتشف فروقا كبيرة بين الآراء التقليدية، فيما يتعلق بما يريده الناس، وما يريدونه حقًّا.

ومن المهم - بشكل أساسي - في الفلسفة البيئية T إدراك أن الأقليات - أي الجماعات ذات الأنظمة المعيارية مختلفة جدًّا عن الأغلبية - تتم مساعدتها للاحتفاظ بظروف الحياة، التي يعتقدون أنها جوهرية دون تحطيم من جانب تصويت الأغلبية والأولويات. وعلى العموم.. فإن المثالية الديمقراطية للأغلبية تضعف قليلًا بأبحاث نوعية الحياة. والناس متنوعون! ويتخذ الكثير من القرارات على أساس الأغلبية، التي تميل إلى إكراه الأقلية في اهتماماتهم الأكثر حيوية.

وفي الختام، يجب أن يكون من الواضح أنه، مهما كانت جدوى نظرية الرفاهية ونوع البيانات التجريبية، التي تم الحصول عليها عن طريق مفاهيمها، فإنها تظل سطحية، وتعوق الحركة الضرورية من وجهة النظر الوصفية إلى وجهة النظر المعيارية. ويجب، بمجرد الاعتراف بالتأثير المعياري، أن تتغير الأدوات النظرية من مصطلحات الرفاهية إلى مصطلحات الأنظمة المعيارية، بتعريف مستوى الرفاهية، كمستوى اتفاق الحياة الفعلية، في تجانس مع معايير الفرد وقيمه.

(9) طبيعة التسعير الوهمي :

يتعامل الاقتصاديون في تحليل «التكلفة-الفائدة»، وفي كثير من الأبحاث الأخرى مع الأسعار، التي يتم الوصول إليها من مراقبة الأسواق. إن قيمة بعض السلع والخدمات، التي لا يتم تبادلها في الأسواق يتم تقديرها بطرق أخرى، يحصلون على «أسعارها الوهمية».لماذا إذًا لا نأخذ في الاعتبار الأسعار ذات الطبيعة الحرة، على سبيل المثال، قيمة عدم تطوير نهر معين؟ إذا كان ذلك يجب أن يتم ويمكن أن يتم، فإن مشاريع الحفاظ على البيئة يقال إنها تخلق قيمًا مالية ضخمة، وبذلك تكون اقتصاديًا في تكافؤ مع الإنتاج الصناعي.

ليس هناك كثير من البيانات فيما يتعلق بهذا الموضوع، ولكنني أعتقد أن العلماء الاجتماعيين، ومن بينهم الاقتصاديون، على وجه العموم أقل تفضيلًا في اتجاهاتهم نحو البيئية من علماء الطبيعة، وعلماء العلوم الإنسانية والعلوم الطبية. هناك، بالطبع، استثناءات. ومن هذه الاستثناءات كهدف طبيعي من أجل قضية البيئة، ما يتم باستخدام الأدوات الخاصة بالمهنة (رولستون 1985). وأحد الأهداف هو بوضوح إيجاد طرق؛ للحصول علي حماية للطبيعة في إطار عمل التحليل الاقتصادي الكمي. ومع ذلك، إذا بدا ذلك مستحيلا، فإن الاهتمام بالبيئة لن يظهر في هذا التحليل فيما عدا الاهتمام بصيد الأسماك وتجارة الفرو.. إلخ. ولا يمكن أن يظهر الاهتمام بالأسماك، والذئاب، والبرية في حد ذاتها في الحسابات.

في مارس وأبريل من عام 1985، تم إجراء بحثين باستخدام الاستبيان (Hervik (1986)). في مارس، تم سؤال عينة تتضمن 1000 شخص عما يرغبون في سداده من التكلفة المتزايدة للكهرباء، إذا كان هذا السداد سيحمي صنفًا معينًا من الأنهار من التطوير (بما في ذلك إقامة السدود.. إلخ.). لقد اتضح أن الامتناع عن تطوير أنظمة الأنهار، ربما يؤدي إلى أسعار مرتفعة في وحدة الكهرباء للأغراض المنزلية. لقد تم اقتراح مبالغ محددة من المال بطريقة معقدة ومتطورة منهجيًّا إلى حد ما.

في بحث أبريل قيل إن تطوير الأنهار قد يقلل بشكل مفترض سعر الطاقة (بمبالغ من المال تتماشى مع المبالغ، التي تم التعامل معها في مارس)، تم سؤال الناس عن الحد الأدنى اللازم لخفض السعر، الذي يجعلهم يفضلون تطوير أنظمة الأنهار.

ويستغرق الأمر وقتًا كبيرًا لمناقشة التحسينات المنهجية، وأقترح هنا مناقشة المشكلة المعيارية: عما إذا الأشخاص في حركة البيئة العميقة سيؤيدون هذه الأبحاث أم لا.

وقد تم وضع الرفض التلقائي الواضح للقيمة، أو حتى لمعنى هذه الأبحاث تحت عنوان «لا يمكن أن «تلطع» بطاقة سعر على الطبيعة!»

لقد لخص پول هوفسيث الخبير في مشكلات الطاقة، ذو السمعة الدولية، والمؤيد الراسخ لحركة البيئة العميقة، الجدل الرئيسي المعياري ضد «تسعير الطبيعة» قائلًا: إذا سأل شخص «ألف» شخص «باء» ماذا سيدفع لكي لا يكسر «ألف» ذراع «باء»، فإن المبلغ الذي يقترحه «باء» لا يمكن أن يؤخذ كمعيار لسعر أو قيمة الذراع؛ «فباء» له الحق في ذراعه، ولا يسمح بكسر الأذرع البشرية. وبالمثل.. فإن الحصول على الطبيعة الحرة هو أيضًا حق.

وإذا سألت حكومة «ألف» السكان «باء»، ما المبلغ التي ستدفعه لحماية جزء من الطبيعة، فإن السعر ليس سعر هذا الجزء من الطبيعة، مثلما تكون الـ 5000 دولار سعر سيارة معينة!

افترض أن «عدم النفعية » الناتجة عن تحطيم جزء من الطبيعة الحرة يحمل بطاقة سعر 5000 دولار، والنفعية للسكان ككل موضوع لها مبلغ 10000 دولار. على الرغم من ذلك، فإنه يجب ألا يسمح للحكومة بتحطيمه، وهذا يتطابق مع كسر ذراع «باء» لأن «ألف» - الذي يمثل السكان ككل - قد حسب أن المنفعة هي أكبر من عدم المنفعة. إن جزء الطبيعة المعني هنا هو جزء من ذاته!

إن سعر 5000 دولار لسيارة في السوق يعني أنك يمكن أن تحول 5000 دولار إلى سيارة أو السيارة إلى 5000 دولار. وعلى الأقل في حالة

الخسارة التي لا يمكن إلغاؤها أو إصلاحها بالنسبة للطبيعة، فإنه لا توجد هذه العلاقة.

وقد قارن هوفسيث الوصول للطبيعة الحرة «بالوصول» للتعليم؛ إذ قد تكون هناك رغبة كبيرة بالنسبة لبعض المجموعات، ذات التعليم الجيد داخل المجتمع في ألا يقدم لمجموعات أخرى معينة تعليما لائقًا، ولكن هذا ليس صحيحا. إن تحليل «التكلفة-الفائدة» يتحطم في حالة الحقوق.

هناك مقالة طريفة وموضحة جيدا وبشكل رائع لاثنين من الصحفيين المختصين بالبيئة («التزحلق على الثلج عبر البلاد مع العم سكروج» *Miljømagasinet*، 1985). وفي أي مكان يذهبون إليه للتزحلق، تتجمع كائنات بيروقراطية صغيرة، وتبدأ في الاستفهام: «كم تدفعون لإنقاذ هذا؟»، إلخ.. فإذا كانت «مليون» هي الإجابة، فإن الشخص الذي يجري المقابلة يكتب أن المبلغ يجب أن يتطابق «مع دخل المتزحلقين»، ويتم الحصول على الأسعار لكل شيء.

وبالطبع، يستمتع البيئيون الذين يشعرون بالألم والإحباط، والذين يرون أو يسمعون بشكل عملي كل يوم عن تدمير جديد للطبيعة الحرة، بقراءة هذه المقالات. وهم أيضًا على الأقل يقرؤون عن القرارات البيئية الفعلية، على الأقل في الجزء المبني على تقديرات للمال، والمصروفات، والناس الذين يذهبون إلى صيد الأسماك أو التنزه سيرًا على الأقدام، أو غير ذلك، ممن «يستخدمون الطبيعة» في الواقع وتقديم المعدات والسفر.. إلخ، ثم يقارن ذلك بالدخل الذي يتم الحصول عليه، إذا تم بناء فندق أو موقف للسيارات أو سد.

ويكفي تتبع هذا الخط.. كيف يدافع الاقتصاديون المتخصصون في الصراعات البيئية عن جهودهم؟ ومع اتخاذ «الموضوعية» كمثل أعلى،

لا يستطيع الشخص أن يتوقع هذه العبارات المسلية والجذابة، وهم يميلون كعلماء اجتماع إلى تجنب البيانات الأخلاقية.

ومهما كانت تكتيكات الدفاع الفعلية.. أعتقد أنه يجب على مؤلفي الأبحاث التجريبية المنهجية المتطورة أن يقولوا ويكرروا أنهم لا يضعون بطاقات سعر على الطبيعة! علاوة على ذلك، يجب أن يذكر البيئيون أن الطريقة التي تتخذ بها القرارات اليوم، والنقص في البيانات الكمية، التي تدعم الحماية - على الأقل أو أحيانا - تعمل كما لو كانت البيانات الكمية قد تم عرضها من قبل؛ أي إن السعر صفر؛ لذلك قد يدعى الاقتصاديون أن ما يحاولون منعه من أن يستخدم في عملية صنع القرار هو سعر الصفر.

لقد انتهت أبحاث مارس وأبريل 1985 بنتيجة: أن إعداد فئات معينة من الأنهار غير المحمية يعد أمرًا غير اقتصادي - الضرر أكبر من المنفعة، التي تم قياسها بالمال، وقد تظهر النتيجة نفسها في كل نزاع بيئي آخر. يرغب الناس في الحماية أكثر مما يعتقد السياسيون.

ولكن البيئيين المعنيين يقولون: ماذا لو أن المعالجة الكمية في الحالات الخطيرة تسير في غير مصلحة الطبيعة الحرة؟ يعتقد الاقتصاديون أن لديهم إجابات مقنعة لذلك، ولا يجب أن تؤخذ نتائجهم أبدًا لتكون أساسًا لقرار.. يجب أن يقدم تقريرهم إلى صناع القرار، كمجموعة فقط من المواد التي لها علاقة، ويجب أن يوضح بالطبع ضعف المنهجية والارتباط المحدود للنتائج، كما عليهم أن يستنتجوا أن البيئيين يميلون إلى إساءة فهم كل من المنهجية والنتائج.

وأعتقد أن إجابة بعض البيئيين ستكون أن طبيعة النتائج الكمية ستؤثر في صنع القرار، ونادرًا ما يكون لديهم الوقت للدراسة المنهجية، ويكونون سعداء لأن يتخلوا عن التقييم «الذاتي» و«الحدسي» لصالح

«البيانات الموضوعية»، وبذلك تكون مسئوليتهم أخف. وعلى المدى البعيد، فإنه يجب مواجهة مسألة المبدأ لكونه أكثر أهمية: المسح الذي أجري في مارس وأبريل من عام 1985 استخدم بوضوح في صناعة القرار على مستويات عليا؛ مما يدعم الرأي بأننا قد نتدخل مع الطبيعة الحرة دون حدود، طالما أن الناس في الجيل الحالي يظهرون اهتمامًا قليلًا بالحماية، ويتم التملص من المشكلة الأخلاقية والفلسفية، ويكون ذلك مميتًا.

قد يجيب الاقتصادي عن كل ذلك بأنه يعتمد على المقدمة المنطقية بأن السياسيين معتادون «قياس كل شيء». الأم تطلب أن توضع علامة «أطفال يلعبون» في شارعها، والإجابة التي تحصل عليها هي «لو أن كل شخص في موقفك نفسه تم إعطاؤه مثل هذه العلامة، فإن ذلك سيتكلف كثيرا. الثمن هو 1000 دولار». تقول الأم: «عار عليكم! تضعون بطاقة سعر على ابني!» وكما هو الحال الآن، فإن ضرر التدخل يقاس بذكر الاهتمامات، التي تم التدخل فيها، أمثلة: صيد السمك، والاقتصاد الإقليمي، والتلوث، والميراث الثقافي. دون اعتبار الأهمية، فإنه من المغري اعتبار كل منها مثل الآخر. إذا تم اعتبار الأهمية بحرص، وتم إدخال القياس.. فإن ذلك قد يؤيد حماية البيئة. في إحدى الدراسات (وينسترپ، 1985) وجد المؤلف الاقتصادي أن عينة من الناس قد أعطت أوزانًا، التي إذا اندرجت من 10 إلى 100، فإنها تعطى النتائج التالية مرتبة من 100 فأقل: حماية الطبيعة 100، الزراعة 90، *الصيد* 70، حماية الميراث الثقافي 60،... وفي الدول الديمقراطية الغنية التي تتمتع بالرفاهية، فمن من غير المحتمل لجماعات الضغط، التي يبدو أنها تؤثر بقوة على القرارات أن تصل إلى ترتيب مرغوب.

مع الوعي المتزايد الضخم المثير والموحي بالرعب بالماضي ، والعودة إلى الوراء 3500 مليون عاما، يقوى الاقتناع بأن دور الإنسان لا يمكن أن

يكون الهدم بالمقياس الحالي. علاوة على ذلك.. فإن الوعي بمقياس الوقت الواسع للماضي يقوي الاقتناع، بأن اهتمامنا لا يمكن أن يكون بأولادنا وأحفادنا فقط، ولكن يجب أن يكون بالأجيال الأكثر بعدًا عنهم وبالكوكب ككل. ومشكلات النفاية النووية هي على الأقل إضافة إلى الجانب الإيجابي؛ لأننا نشعر الآن أننا مسئولون عن التلوث لمدة ألف عام تأتى من الآن.. هل يمكن قياس هذا الشأن ؟

ومع قبول الاهتمام المحتوم على مقياس زمني جيولوجي، فإنه يجب أن نأخذ في الاعتبار من جديد ما يسمى بخفض قيم المستقبل. إن الاهتمام المتناقص (nth) الآن بعدد الأجيال التي بعدنا، مماثل تقريبًا لدالة $1/n^2$ ؛ بمعنى أن القيمة السلبية التي سيمر بها أطفالنا بسبب سوء التصرف المعاصر تعد فقط 4/1 القيمة السلبية لنا (باعتبار $n=2$)، وقد زادت القيمة السلبية الإجمالية من 1.0 إلى 1.25، وسوف نضيف القيمة السلبية لأحفادنا فقط 9/1 من الإجمالي. باختصار، مع التباعد المتزايد يختفي اهتمامنا أكثر وأكثر، ويمكن تجاهل احتمال تمزق حاويات النفاية النووية بعد 500 عام – عمليًّا لا يلزم إبداء أي اهتمام وفقًا للدالة المختارة.

وفى مقابل هذا الرأي البارد الخاص بمسئوليتنا عما يحدث في المستقبل القريب جيولوجيًّا وتطوريًّا، يجب أن يسود رأى مختلف. يجب أن يضيف الاهتمام بالمستقبل – بالنسبة لي – إلى الدالة اللانهائية. وضع اهتمام الجيل الأول يساوي 1، والاهتمام بالجيل n من الآن يمكن الرمز له ب n/ 1، وإجمالي الاهتمام سيقترب من اللانهائي (المجموع يساوي 1/ 1+ 1/ 2 + 1/ 3...). وبالنسبة للذين يعتقدون أن الإنسان «مبرمج» لتدمير الحياة في النهاية على الكوكب؛ فإننا ننصح بأن نغادر قبل أن يصبح الوقت متأخرًا جدًّا. وعلى أي حال، ليس هناك منطق جيد للاعتقاد بأن هناك مثل هذه

البرمجة. والشك الكبير، بشأن التطورات البعيدة للإنسان وتكنولوجياته، يجعل من الطبيعي بالنسبة لنا أن نركز على التأثيرات المحتملة لسلوكنا، لمدة الألف عام الأولى التالية (قد يتطلب ذلك - بشكل عرضي - ألف عام لتحقيق انخفاض السكان نحو معدلات ملائمة).

ويمكن بالطبع صقل القياس الكمي الأولى السابق، ولكن ذلك لا يغير نتيجة أنه، مهما كان القياس المختار، فإنه سيكون ذا فائدة مباشرة محدودة في عملية صنع القرار.

ويلعب القياس الكمي دورًا مؤثرًا في تشكيل السياسات والاتجاهات في المجتمع الصناعي الحديث. قبل الحرب العالمية الثانية، كان السخرية تتم من حساب «كل شيء» بالدولار في أوروبا، ويعتبر أنه يقلل من قدر المرء ، ولكن بعد الحرب :كان هناك ميل - على سبيل المثال - في فروع وسائل الترفيه والرياضة، نحو الحساب أكثر. لذلك؛ فإنه من الطبيعي أن تجد - بشكل أو بآخر - اتجاهات عامة سلبية نحو إجراء الحساب.. ولكنّ هناك أنواعًا كثيرة من الدراسات الكمية داخل حركة البيئة العميقة، التي تعتبر ذات قيمة بالنسبة للحركة، مثل: توزيع الاتجاهات البيئية ودراسات عوامل زيادة وضعف الاهتمام بالكوكب.

وتقدم إحصائيات مارس وأبريل 1985 بعض المواد التي لها علاقة بهذا، ويرغب الناس الذين يعيشون في أكبر ثلاث مدن في النرويج أن يدفعوا أكثر؛ لتجنب التطور عن الذين يعيشون في المناطق قليلة السكان. ويجب ضم هذا النوع من اتجاهات السكان إلى البيانات التي يستخدمها صناع القرار. ونقد پول هوفسيث الشديد للرغبة في السداد، والرغبة في الامتناع يجعل من الطبيعي أن نسأل ماذا يوصي به پول هوفسيث. وباختصار، فهو يؤيد الحد أو إستراتيجية *التقييد*، وسيمضى وقت طويل

قبل أن تقع عين أي مجموعة ضغط على قطعة من الطبيعة الحرة؛ كي تدفع بالتشريع ضد أي «تطوير». والمصطلح المهم هنا هو «تحمل الحماية».. يجب أن تعلن قائمة بأنظمة الأنهار، التي لا تنتهكها الحكومة في النرويج. وهذه الفكرة هي أساس «الخطة الرئيسية» للحماية، التي تؤيدها حكومة النرويج الآن (1986). والسؤال الآن: إلى أي مدى يكون التشريع إجرائيًّا وملزمًا؟ ما يؤمله پول هوفسيث والبيئيون الآخرون هو أن نأخذ «إيديولوجية الذراع المكسور» بجدية.. لا يحق لأحد أن يكسر ذراع إنسان آخر، مهما كان ذلك يبدو مفيدًا، ولا يحق لأحد أن يدمر أي جزء من النظم البيئية للنهر المحمي.

ومهما كان عائد منهج الخطة الرئيسية.. فإنه في السنوات القادمة، لن تتأثر بالخطة ألوف من النزاعات البيئية.. لذلك فإن مجهود الاقتصاديين للقياس قد يظل جديرًا بالمناقشة. والاقتصاديون هم بوضوح في جانب السياسات البيئية القوية، التي تميل إلى التشاؤم؛ فقد أخذت المبادرة بعيدًا عن البيئيين وظلت مع الاقتصاديين المأجورين، وهؤلاء يقومون بإعداد الوسائل الكمية، التي تناسب القيادة والبيروقراطية والسياسية. وطالما ينظر رجال البيئة إلى الاقتصاديين على أنهم أعداء، بدلًا من كونهم أشخاصًا يتعاونون معهم، فإن الاقتصاديين سوف يميلون تجاه التعاون غير المقصود من جانب واحد مع الذين في السلطة، ويجدون بسهولة دعمًا ماليًّا لجهودهم . ونأمل أن يتغير هذا الموقف، وذلك يرجعنا إلى دوافع كتابة هذا الفصل.

(10) ملخص :

(1) لم يؤخذ الجدل في الاقتصاد في الثمانينيات بعد في الاعتبار بكل جدية المشاركة القيمة، من وجهة نظر الفلسفة البيئية لاقتصاديين أمثال: جورجيسكو-رويجن، فريتز شوماخر، وكينيث بولدينج.

(2) يساهم رجال البيئة في تغيير هذا الموقف، بالاطلاع على عمل بعض هذه السياسات الاقتصادية النموذجية الخضراء.

(3) ويعني ذلك أيضًا، على أي حال، الاطلاع على نوع من المذاهب الاقتصادية التي (أحيانا ينتقدونها نظريا)، وربما التعرف على نظرية الرفاهية الفلسفية الظاهرية.

(4) يعكس التدخل الإجمالي للبشر في الطبيعة نشاطنا الاقتصادي. وتعتمد حماية ما تبقى من الطبيعة الحرة - بشكل كبير - على مدى رغبة وقدرة البشر على تغيير طرقهم في الإنتاج والاستهلاك، والأيديولوجيات التي تفسر الإساءة الاقتصادية الحالية للكوكب.

(5) إن تطور علم الاقتصاد الغربي قد أكد محايدة القيمة والعلاقات الكمية، ولكن نظرته الفطنة داخل الشبكة المعقدة للعوامل الاقتصادية المعاصرة والقائمة هي ذات أهمية في أي نزاع بيئي. وفي كثير من المسائل، مثل العلاقة بين إجمالي المنتج القومي والتقدم الاقتصادي، يعتقد بعض الاقتصاديين بأن لرجال البيئة آراء مفيدة، ولا يمكن أن يتجنبوا التحيز في أي مناقشة ذات صفة اقتصادية.

(6) لأنه قد تم تحكيم كثير من المشروعات المدمرة الرئيسية التي نفذتها الدولة، أو قام بها رأس المال الخاص، ووجدها بعض الاقتصاديين المأجورين مفيدة، فإنه من الطبيعي أن ينظر رجال البيئة إلى هذه المهنة بشك. ولكنّ هناك كنزًا متزايدًا من المطبوعات الاقتصادية، التي تدعم وجهات نظر رجال البيئة.

الفصل السادس

السياسة البيئية داخل الفلسفة البيئية

(1) الحركة البيئية لا يمكن أن تتجنب السياسة

(أ) *الكل مرتبط سياسيًّا، ولكن لا يمكن اعتبار الكل سياسة*

كل أفعالنا وكل أفكارنا، حتى الأكثر خصوصية، مرتبطة بالسياسة؛ فإذا استخدمت ورقة من الشاي، وبعض السكر، وبعض الماء المغلي، وشربت المنتج.. فأنا أساند أسعار الشاي والسكر، وأتدخل بشكل غير مباشر في الأعمال والظروف الرأسمالية للشاي وزراعات السكر، في الدول النامية. ربما أكون قد استخدمت الخشب أو الكهرباء أو نوعًا آخر من الطاقة، وبهذا أكون قد ساهمت في جزء من الخلاف الخاص باستخدام الطاقة لتسخين الماء. وقد استخدم الماء من مصدر خاص أو مصدر عام، وفي كلتا الحالتين، فأنا أشارك في عدد ضخم من الأسئلة السياسية الملتهبة عن إمداد المياه، وأنا بالتأكيد لي تأثير سياسي يومي بطرق لا تحصى.

فإذا فكرت في كل هذه الأشياء من منظور البيئة، وأعلنت عن آرائي.. فإنني أساهم في قوة الوعي السياسي للحركة البيئية. وإذا لم أفعل أي شيء آخر بدلا من احتساء الشاي الذي عاده ما أشربه ، فإنني بهذا قد أساهم في صعوبات الدول النامية؛ حيث إن صادراتها ستصبح أقل. ولكن ربما لا .. فقد أفكر في أنه لا يجب عليهم أن يصدروا الشاي، ولكن عليهم أن

ينتجوا مزيدًا من الطعام، وبذلك قد أسهل على سياسيي الدول النامية تغيير سياساتهم الاقتصادية؛ ليتجهوا إلى الاعتماد على الذات.

ولكن القول بأن كل فعل وكل تفكير مرتبط بالسياسة ليس كالقول بأن «الكل يعتبر سياسة»، فلا شيء يعتبر سياسيًا فقط، ولا شيء يعتبر غير سياسي على الإطلاق. ولا تهتم السياسة البيئية فقط بالنشاط البيئي بشكل خاص، ولكن بكل مظهر من مظاهر الحياة.

ومن حيث المبدأ.. فإنه من المرغوب فيه أن ينشغل كل شخص في الحركة البيئية بالنشاط السياسي. وكثير من الذين تدعوهم حاجتهم الحيوية إلى العيش في الطبيعة، وبالطبيعة ومن أجل الطبيعة، لا يجعلون لهم دورًا ملموسًا في الحياة السياسية. وهناك صعوبة كبيرة بالنسبة للسياسيين، الذين يحاولون جاهدين إشباع احتياجات الأشخاص المشتركين في الحفاظ على الكوكب، إلى حد ما. وعلى الجانب الآخر، هناك كثير من الوظائف في مجال البيئة، لا تتطلب المشاركة السياسية فيها سوى مجرد التصويت، وما شابه من المهام المماثلة.

(ب) *قوة التحليل ضرورية*

إن قوة المؤسسات الديمقراطية في تحديد السياسات في عصرنا الحالي في تناقص بشكل تدريجي؛ لأن لجماعات الضغط القوية تأثيرًا كبيرًا على القرارات. وأيضًا، إذا تأملنا الشركات متعددة الجنسيات الكبيرة، فإننا نكتشف أنه يمكن أن تكون لها سلطة أكبر من سلطة الدول الصغيرة، وداخل الدول؛ فوزارة الطاقة – مثلا – قد يكون لها تأثير كبير، وتميل بالطبع إلى دعم قرار استخدام مزيد ومزيد من الطاقة، بغض النظر عن الاحتياجات الفعلية. لذلك.. فإنه من المهم في النزاعات البيئية *تخطيط هياكل السلطة*، التي لها علاقة بدفع القرارات وتقرير المراحل المختلفة في

النزاع. وحتى في بلد صغير مثل النرويج، وفي نزاع صغير نسبيًا على تطوير أحد الأنهار، نجد أن خريطة مصادر السلطة تضمنت أكثر من عشرين مركزا للسلطة. وكان يمكن التنبؤ بكل خطوة في النزاع، عن طريق تخطيط هياكل القوى النسبية لكل هذه المراكز.

وهذا النوع من النشاط، الخاص بتخطيط هياكل السلطة بطريقة غير حيوية ومنفصلة تمامًا - والتي لا تغالي أو تبخس من قدر قوى الخصوم أنفسهم - غالبًا ما يكون غير جذاب لهؤلاء المشتركين في الحفاظ على الطبيعة؛ لذلك كان يجب أن يكون هناك تعاون وثيق بين المحافظين على البيئة والصحفيين، والأشخاص الذين يعرفون الطرق والوسائل السياسية، والمهتمين - بشكل حيوي - بالطريقة التي تعمل بها المجتمعات الكبيرة.

وإحدى أهم النقاط في النزاع، هي :أن الناس في حركة الحفاظ على البيئة لا يعرفون بشكل كاف، كيف يتم تقرير الإنتاج والاستهلاك، لدرجة أنهم يحاولوا إحداث تغيير في المجتمع، عن طريق تغيير أساليب حياتهم، بخفض الاستهلاك الخاص بدلاً من استخدام أساليب سياسية. والطريقتان بالطبع ضروريتان ومكملتان لبعضهما البعض، ولكن جالبرايث (1973) كان حكيما، حين أوضح أن «فكرة اختيار الفرد تحدد نوع وكمية الإنتاج هي فكرة خاطئة».

في السبعينيات والثمانينيات، كان هناك تغير في التفكير بشأن تحليل السلطة، وتحليل الدعاية، وتحليل سلطة وسائل الإعلام. وقبل ذلك الوقت،كان هناك - وبشكل خاص - بين الأشخاص المهتمين بالطبيعة، بغض شديد لتلك الموضوعات التي كانوا يتجنبونها تمامًا، بينما نجد أن الجيل الجديد معتاد أكثر على الواقع القاسي، ونأمل أن يؤدي هذا إلى اهتمام أكبر بالسياسات الخضراء في المستقبل القريب.

(جـ) إضفاء الصفة السياسية على الحفاظ على البيئة

كان من المعتقد وبشكل كبير حتى بداية الستينيات - حيث بدأ الصراع ضد استخدام المبيدات وانفجار الحركة البيئية الدولية - أنه يمكن تغيير الاتجاهات نحو الطبيعة بشكل ملحوظ، عن طريق العمل المباشر على هذه الاتجاهات نفسها. لقد كشف صراع المبيدات بطريقة واضحة ومثيرة أنه يجب التعامل مع طرق الإنتاج والاستهلاك بحصافة. ويصف إي. إف. شوماخر بطريقة مثيرة - ولكن بسيطة - ما نحن بصدده. ويمكن صياغتها بشكل معدل وغير مكثف إلى حد ما كالتالي: لنظام الإنتاج قوى متأصلة أو أهداف ضمنية تشكل المجتمع. ويقبل المجتمع الأهداف، كما لو كانت خاصة به ويصبح أسيرًا للنظام. وبالتالي.. فإن المجتمع لا يستطيع أن يتبنى أهدافًا وقيمًا مختلفة، إلا إذا تغيرت طريقة الإنتاج. حتى عندما نكون أسرى.. فإننا قد نشكل أفكارًا عن نظام مختلف، ولكن هذا مجرد تعبير عن أمنيات لا وجود لها، دون مجهود لتغيير النظام السائد (شوماخر، 1974، ص.132). وذلك يعنى أنه إذا لم يتم العمل من أجل الأفكار من خلال سياسات، فإنه لن تكون هناك تغييرات رئيسية.

وكمثال لإضفاء الصفة السياسية على الموضوعات، التي تم عزلها سابقا عن السياسة.. فإننا قد نذكر المحافظة على الحيوانات النادرة في أفريقيا، عندما أصبح واضحا أكثر أن عدد الكائنات في خطر، وكانت السياسة أولاً مجرد إبلاغ الناس ألا يصطادوا، ثم بعد هذا جعلت ذلك غير قانوني، ولكن يقف المرء كثيرًا أمام المعنى الاجتماعي- السياسي لذلك. ومن خلال البحث في علم الإنسان الثقافي، ازدادت المعرفة بالثقافات المثيرة جدًّا وعالية التطور لهذه المناطق، ولكن كان واضحًا من الملاحظة الفردية أنه من خلال الحماية لهذه الحيوانات الرائعة، فإننا في الوقت نفسه نشارك في تدمير ثقافات معينة، كان الصيد فيها جزءًا لا يتجزأ.

ويحاول خصوم حركة البيئة العميقة أن يبعدوا موضوع إنقاذ الكوكب من شتى أنواع الدمار عن السياسة، ومن الواضح أن هناك قوى شديدة، تحاول أن تظهر دائمًا أن الموضوعات المتعلقة بالبيئة هي علمية تمامًا - مقصورة على الفيزياء، والكيمياء، وعلم المعادن وبحوث الموارد بشكل عام، ولذلك.. فإن هناك شعارًا قويًّا في أوروبا «حارب ضد إضفاء الصفة السياسية!»

وتحاول الحكومات تعيين خبراء من جميع العلوم الطبيعية؛ لتجنب سؤال: كيف نغير مجتمعاتنا؛ لكي نجعل السياسة البيئية السليمة ممكنة؟ ثم يقوم الباحثون والخبراء بنشر نتائج متوافقة تمامًا مع النمو الاقتصادي المستمر، وباختيار هذا النوع من الخبرة.. يتأثر الجمهور العام، ويتجه إلى التراخي وقبول «التنمية»، كما هي مفهومة الآن.

(2) الأقطاب الثلاثة للمثلث السياسي : الأزرق، والأحمر، والأخضر، وقصور التحليل الثلاثي

إن إحدى الطرق المناسبة لتسمية التيارات والأحزاب الرئيسية المعاصرة في بعض الدول الصناعية هي تقديم مثلث سياسي (شكل 6-1)، يوضح ثلاثة أقطاب سياسية رئيسية. هذه الألوان هي رموز مألوفة في المناقشة الأوروبية.

ومن الضروري بالنسبة لمؤيدي السياسات الخضراء: المحافظة وإظهار أنهم لا يمكن أن يوضعوا على الخط بين الأحمر والأزرق؛ فهناك حاجة إلى بعدٍ ثانٍ.

ومن الضروري أيضًا: أن التجريديات السياسية مثل الأخضر، والأحمر، والأزرق خطيرة، إذا أخذت كمجرد نقاط؛ فهي أقرب لأقطاب مغناطيسية: جذب ديناميكي ، بشكل أو بآخر، في اتجاهات محددة. ثم

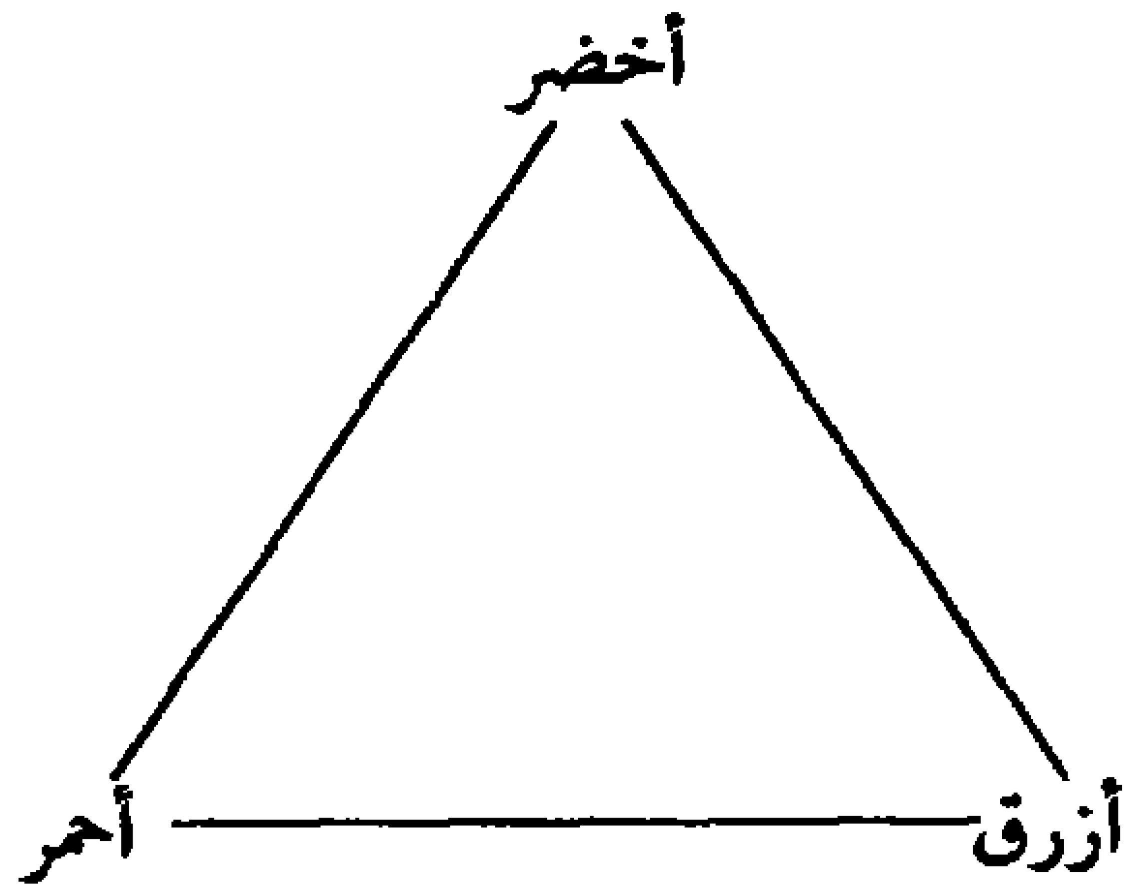
يجب أن تميز عن أحزاب أو برامج معينة، وهي معرفة في علاقتها بالأقطاب، ولا توضع عليها.

إذًا يمكن أن نجرب الدوائر (6-2). إذا استخدمت الدوائر، فيجب أن تكون متداخلة، ويرى معظم مؤيدي السياسات الخضراء صلة أكبر بين الأخضر والأحمر، عن تلك التي بين الأخضر والأزرق. ولكن من وجهة نظر تاريخية ونظامية واسعة.. فإنه من الحكمة أن ندع الدوائر تتداخل بشكل متساوٍ، وأن نرفض أي تفسير كمي للمناطق المتداخلة.

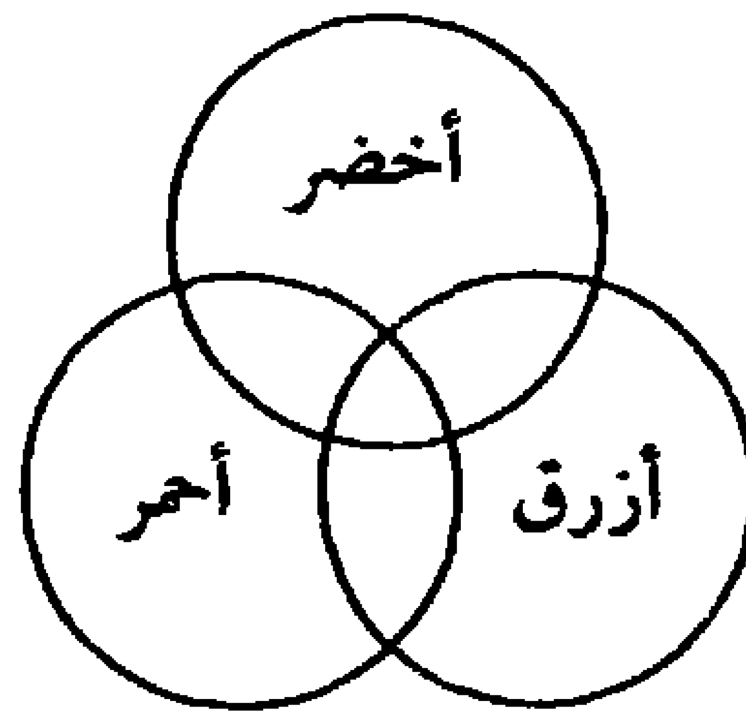
التشابه بين الأخضر والأحمر يعني التأكيد على المسئولية الاجتماعية، مع أولوية عالية جدا لمحاربة التبعات، غير المرغوبة الأخلاقية والاجتماعية والثقافية لسوق اقتصادي غير مقيد، والمساواة، ومعارضة الهياكل الهرمية.

يمكن تقريبًا تحديد الأحزاب السياسية في كثير من الدول، داخل أو حول حدود المثلث السياسي. وبدقة أكثر (لكن ذلك بطريقة تقريبية بالطبع) في ثلاثة أبعاد مثل نظام الإحداثيات الديكارتية (شكل 6-3).

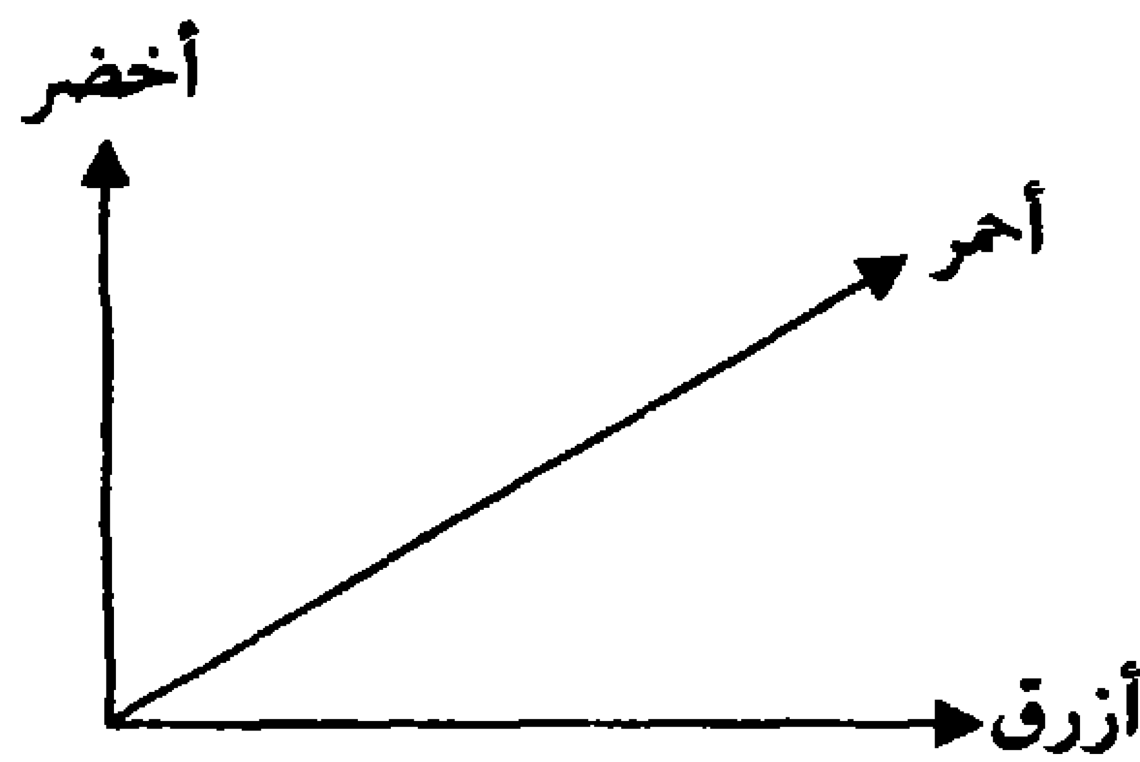
لكن هل يجب أن ينظر إلى الأخضر فقط *كبديل آخر من النوع نفسه* كالأحمر والأزرق؟ لا..فالنقطة الجوهرية هنا أن الأخضر *ليس فقط نقطة أخرى، أو دائرة أخرى، أو بعد آخر*.. إنه موجة ديناميكية مثل القوة، التي يجب أن تؤثر على كل النقاط، مع أي منظور مدرك بشكل ضحل أو محدود لآراء سياسية. ومن، ثم فإن حزب البيئة البريطاني (المسمى الآن الحزب الأخضر) يوضح أن وجوده الخاص سوف يصير غير مرتبط بنجاحه، حيث إن «كل الأحزاب سوف تصبح مع الوقت بيئية» (بورريت، 1984)؛ بمعنى أنه موثق بيئيًا بشأن الوجود الخاص للمرء!



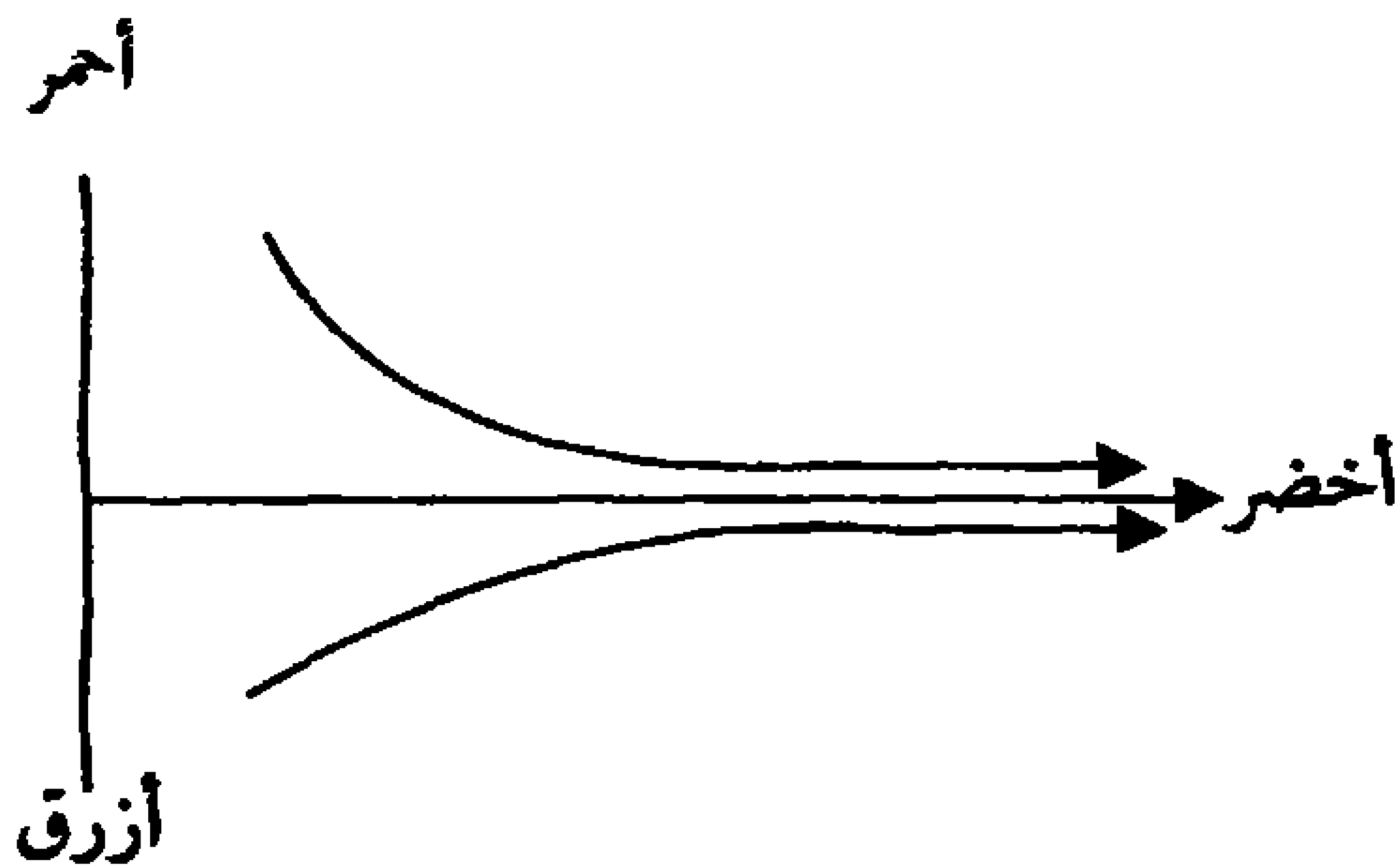
شكل (6-1) : الأقطاب الثلاثة للمثلث السياسي ، دون تداخل .



شكل (6-2) : الأقطاب الثلاثة للمثلث السياسي متداخلة .



شكل (6-3) : المثلث السياسي بنظام الإحداثيات الديكارتية .



شكل (6-4) : المثلث السياسي حسب الطبيعة الديناميكية والمقاربة للتأثير طبقًا للون الأخضر .

إذًا، فمن المحتمل أن الرسم البياني الذي يحوز رضًا أكبر هو الذي سيشير بوضوح للطبيعة الديناميكية والمقاربة للتأثير الأخضر (شكل 4-6).

إن كل قرار سياسي له علاقة بالأخضر.. والنتيجة: يجب أن تكون الأحزاب الخضراء كبيرة بشكل كافٍ؛ لكي يقوم بها أشخاص متمكنون في كل قضية من القضايا الرئيسية. (لا يمكن لسياسي واحد أن يكون حقًّا على دراية تامة بكل شيء). لذلك.. فإنه لا يكفي أن نأخذ المشكلات، التي يدركها الناس بشكل عام على أنها بيئية على نحو نموذجي (الطاقة النووية، الإمطار الحمضية.. إلخ). وهناك مسح مفيد عند ديڤال وسيشنز (1985)، ص 18.

يجب أن يتابع مؤيدو السياسات الخضراء في الدول الديمقراطية الصناعية، كيف يتحدث سياسيو الأحزاب المختلفة، وكيف يقومون بالتصويت في الموضوعات المحددة، فيقوموا بتقييمهم من وجهة النظر الخضراء، ويجب - كذلك - الإعلان عن «نجاحهم» البيئي على نطاق واسع، وينطبق الشيء نفسه على برامج الأحزاب. ولكن الخبرة - على الأقل في إسكندينافيا - تقول إن كل برنامج حزب يمكن أن يبدو، كما لو أنه يأخذ السياسة البيئية المسئولة بجدية ، بينما قد يتضح أن القرارات على الرغم من ذلك غير خضراء بشكل متسق.

ولدى الناس أسبابهم في التشكك في تخطيط المجتمعات لتنفيذ السياسات الخضراء: ألا يطالبوا بتنظيمات أكثر (قوانين، وقواعد قصرية.. إلخ.) من التي لدينا بالفعل؟ الإجابة «ليس بالضرورة!» ولكن، من أجل تجنب الشك، يجب أن يضع المنظمون الخضر في بالهم خفض القواعد.. هل هو اتجاه أزرق بشكل نموذجي؟ نعم و لا. والصناعة الخاصة، على الرغم من طبيعتها الرسمية «الحرة والمنافسة»، بما يتخللها

من القواعد الداخلية، غير المعروفة غالبًا للجمهور ، ولكن ليس أقل قسرًا من أجل ذلك. تحتاج الوحدات الصغيرة للصناعة للمجتمعات الخضراء؛ بسبب هيكل السلطة الأقل طبقية - ضمن أسباب أخرى - إلى قواعد أقل، ويعتمد الكثير على تغيير العقلية: كلما قل التغيير العقلي في الاتجاه الأخضر، زادت القواعد.

(3) قائمة فحص القضايا السياسية البيئية والتوسع فيها

من السهل أن يتوه المرء في استيعاب التيارات الأيديولوجية والتيارات المضادة، بدلا من التركيز على الأسئلة المحددة التالية. في أي نقاط وإلى أي مدى تكون البرامج السياسية، من وجهة نظر الفلسفة البيئية المسئولة والمبررة، مختلفة عن البرامج السياسية الحالية في الدول الصناعية؟ وسأذكر فيما يلي بعض مجالات الأقسام الرئيسية للبرامج السياسية، والتي كان يمكن أن تبدو مختلفة جدًّا، لو أصبحت حركة البيئة العميقة مؤثرة. وسوف نبدأ بقائمة فحص للمجالات الأساسية للاهتمام - السياسة البيئية، ونتوسع فيها في اتجاهات متعددة.

أسئلة: ما السياسات المقترحة لـ «x » فيما يتعلق بالموضوع «y »؟

x - شخص، أو مؤسسة، أو أمة، أو مجموعة.

y- أي من الموضوعات المذكورة أدناه.

(أ1) سياسة تلوث البيئة البشرية :

(أ) منظور قصير الأجل، مقابل منظور طويل الأجل.

(ب) منظور محلى مقابل منظور إقليمي مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) سمات الطبقة: منظور محلى مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي .

(1ب) سياسة تلوث بيئات الأشكال الأخرى من الحياة:

(أ) منظور قصير الأجل، مقابل منظور طويل الأجل.

(ب) منظور محلى مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) التمييز: أشكال الحياة المفضلة، مقابل الأشكال غير المفضلة.

(د) السياسات المرتبطة بكائنات معينة، وأنظمة بيئية، وطبيعة محددة.

(2أ) سياسة الموارد للبشر:

(أ) منظور قصير الأجل، مقابل منظور طويل الأجل.

(ب) منظور محلى، مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) هيئة الطبقة: منظور محلى، مقابل إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(2ب) سياسة الموارد للأشكال الحية غير البشرية:

(أ) منظور قصير الأجل، مقابل منظور طويل الأجل.

(ب) منظور محلى، مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) التمييز: أشكال الحياة المفضلة مقابل الأشكال غير المفضلة.

(د) السياسات المرتبطة بكائنات، وأنظمة بيئية، وطبيعة محددة.

(3أ) سياسة السكان للبشر:

(أ) منظور قصير الأجل مقابل منظور طويل الأجل؛ تثبيت أم خفض؟

(ب) منظور محلي، مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) سمات الطبقة: منظور محلي، مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(3ب) سياسة *السكان* من غير البشر:

(أ) منظور قصير الأجل، مقابل منظور طويل الأجل.

(ب) منظور محلي، مقابل منظور إقليمي، مقابل منظور قومي، مقابل منظور عالمي.

(جـ) التمييز: أشكال الحياة المفضلة مقابل الأشكال غير المفضلة.

(د) السياسات المرتبطة بكائنات، وأنظمة بيئية، وطبيعة محددة.

ما الهدف الأساسي من البيان أعلاه؟ إنه المساهمة في تحويل الجدل البيئي الضحل إلى قنوات أعمق.. لدينا مهمة هائلة من الاتصال، ونحتاج إلى أساليب لحلها، والقائمة أعلاه تسهل التدخل في الجدل من النوع التالي:«نعم، أوافق على موضوع قصير الأجل، ولكن ماذا عن موضوع طويل الأجل؟»، «نعم، ولكن ألا يجب أن نترك في الوقت الحالي المشكلة لإدارات المستقبل؟ »، «نعم، الناتج القومي الإجمالي ازداد، ولكن انظر إلى التبعات البيئية التي يرثى لها!»، «بالتأكيد، حماية الطبيعة هنا ليست مسئولية محلية أو إقليمية، إنها مسئولية قومية ودولية!»، «نعم، ولكنك لم تأخذ في الاعتبار حماية تلك الكائنات الحية، ليس من أجل مصلحتنا،

ولكن من أجل مصلحتها الخاصة كذلك»، «المحافظة على السكان تقصد البشر؟ ماذا عن المحافظة على السكان للآخرين؟» .

هذه الطوائف الثلاث من القضايا تشكل محور قضايا السياسية البيئية في معنى قياسي ضيق، وقد تساعد القائمة السابقة .ولكن هناك معنى أوسع، وفي المصطلحات الخاصة بي، معنى أعمق، والذي تغطي فيه قضايا البيئية - السياسية أيضًا بشكل مباشر قضايا داخل السياسة التقليدية.

في علاقة (1أ-3ب)، تُعارض السياسة الخضراء السياسة الحمراء، كما تعارض السياسة الزرقاء على وجه الخصوص ، بالطرق التالية:

1- منظور الزمن طويل الأجل: نشعر أننا أجزاء من فيض الحياة حيث تعتبر المليون عام وقتًا قصيرًا، ونحن مهتمون بالتربة التي يمكن أن تدمر في خمس دقائق، وتستغرق ألوف السنوات لإحيائها.. ونحن لا نتأثر بفترات الانتخابات السياسية القصيرة، ونرفض خرافة أن سنوات من البحث والمنظور التقني يمكن أن تحل أي مشكلات بيئية رئيسية من أي نوع. وعلى الرغم من ذلك، يجب أن نكون متيقظين، ونحاول أن نتوقع الخطوة التالية لحكومتنا، والمؤسسات الرئيسية غير البيئية مثل المسماة بخدمات الغابة.

2- وتجمع السياسة الخضراء المنظور المحلي والمنظور العالمي، محاولةً أن تلطف من الدور الزائد للهياكل القومية والدولية. وما يعرف «بالهوية القومية» قائم على المجتمعات المحلية، وتحل الاتصالات المتبادلة المحلية بشكل كبير محل الاتصالات الدولية؛ فتتم مساعدة العالم الثالث، على سبيل المثال، التي تقوم بها منظمة «المستقبل في أيدينا»، من خلال الاتصال المباشر بين المجتمعات المحلية، ومن المفهوم أن المساعدة متبادلة. ومن الصعب تجنب المؤسسات الحكومية، ولكن هناك حوالي ألف مؤسسة غير حكومية، لها مقاعدها في جنيف، ويمكن أن تستخدم لتسهيل الاتصالات المتبادلة المحلية وليست الدولية.

والجدل الرئيسي الذي استخدمته النرويج عند رفض عضوية السوق الأوروبية المشتركة (EEC)، في عام 1972، كان الخط الرئيسي فيه سياسيًّا بيئيًّا (القضايا 1أ–3ب). لقد رفضنا المركزية التي تعرض المجتمعات المحلية و«المحيطية» للخطر، وانتقال العامل القسري، وتزايد التنافس في السوق العالمي.. لقد قلنا «لا.. شكرًا»؛ لإدخال السوق الأوروبية لأربعة إضعاف الأدوية المقبولة رسميًّا، ومازلنا نقول «لا» لفتح الباب على مصراعيه للشركات الضخمة متعددة الجنسيات.

3- تدعم السياسة الخضراء القضاء على الفروق بين الطبقات محليًّا، وإقليميًّا، وقوميًّا، وعالميًّا.

وتوضح السمات العالمية أن الأغلبية في الدول الصناعية الغنية تنتمي إلى الطبقة العالمية العليا. وبسهولة لم تتذكر الاتحادات التجارية هذا، ولا أيضا بعض الماركسيين–اللينينيين الذين مازالوا يركزون – من جانب واحد – على تحرير عمال بلادهم الغنية.

ويمكن أن نرى محور القمع الطبقي، أساسًا، كقمع عبر الأجيال لاحتمالات الوفاء بمتطلبات الحياة في علاقته بإخوانه من الكائنات (أو طبقا للمصطلح الخاص بي احتمالات تحقيق الذات).

تستخدم التحالفات السياسية البارزة الخضراء–الحمراء في إسكندينافيا هذا الاسم؛ لأن قضايا السياسة الخضراء غالبًا ما يتم فهمها من منظور ضيق إلى حد ما، على أنها تشمل فقط قضايا «1أ» إلى «3ب». وباستخدام هذا المفهوم الضيق، تقع كثير من المشكلات السياسية الكبيرة خارج إطار العمل الأخضر، ولكن يمكن لكل موضوع سياسي رئيسي أن ينظر إليه بطريقة خضراء، باستخدام أولويات القيمة الخضراء.

وقد أدى الوعي المتزايد لتفرد كوكبنا إلى إثراء حركة البيئة العميقة في الثمانينيات؛ فهو ليس كوكب «استخدم وألقِ». وقد يستغرق الطيران إلى كوكب جديد، له الجمال والثراء نفسه الذي لا يصدق، أكثر من مليون سنة. إن نظريه «جايا» لچيمس لوفلوك - أيًا كانت قيمتها العلمية - لم تفتح فقط مجالات من البحث، ولكنها أثارت أيضا موجة جديدة من الوقار والكبرياء (لوفلوك، 1979). ماذا فعلت الأرض الأم لتظل على قيد الحياة، ويظل التطور مستمرًا! إن لها أصدقاء أكثر من ذي قبل: أشخاص يدفعون الضرائب المرتفعة في سعادة، وأي شيء آخر لازم لدعم جهود المحافظة على ما تبقى من البرية والمناطق بصفة عامة، وهي كبيرة ولم يعبث بها أحد بدرجة كافية، وتسمح باستمرار الثدييات والتطورات الأخرى (بشأن الحد الأدنى من المتطلبات، انظر سوليه 1986). ولكن وجود إشارات واضحة وقوية من الأعماق الخضراء أمر ضروري للسياسيين؛ ليسمحوا لأنفسهم بوضع برامج ذات مغزى حقيقي.

(4) تعليقات أكثر على مجالات السياسة البيئية الأساسية للتلوث، والموارد، والسكان

(أ) *التلوث* : هو أقدم وأفضل الموضوعات معالجة في السياسية البيئية/ الاهتمامات السياسية في الدول الصناعية، ولكن مازال هناك جهل كبير بما هو مطلوب فعلاً لمحاربة التلوث بالدرجة الملائمة.

أولا: هناك بالطبع اتجاه لمحاولة التخلص من التلوث، حينما يكون ظاهرًا وعندما يكون خطيرًا سياسيًّا. إنه من المغري وضع الصناعات الملوثة الثقيلة على طول حدود الدولة؛ حتى يغادر كل الهواء الملوث الدولة. علاوة على ذلك.. فإنه من الأقل خطرًا - من الوجهة السياسية - أن نلوث في مناطق منخفضة في كثافتها السكانية، وتلك التي يسكن فيها

الفقراء، وذات استهلاك منخفض للطاقة، وبالتالي.. فإنه من الحكمة السياسية وضع الصناعات الملوثة في الدول النامية.

وفي هونج كونج، تصادف، أن كان هناك تسرب زيت مباشرة أمام المكان، الذي كان تجرى به مسابقة دولية للمراكب الشراعية، وتعرض الأغنياء من ذوي السلطة لمشكلات التلوث.. تم استخدام المواد الكيميائية فورًا، وتعرض السكان من الصيادين - كما تعرضت الأسماك نفسها - للآثار السيئة لكل من الزيت والمواد الكيميائية، وكان عليهم أن يدفعوا مقابل ذلك: كان الماء يبدو نظيفًا، ولكن الأسماك ماتت.

علاوة على ذلك.. فإنه من الخطر سياسيًّا أن تكون مسئولا عن التلوث، الذي سيظهر بوضوح في الفترة الانتخابية، ولكن الأقل خطورة سياسيًّا أن يتم ترتيب الأمور بما يجعل الأجيال القادمة، أو الأجيال التي تليها تعاني من الآثار الحقيقية لذلك .

وفيما يتعلق بتلوث المحيطات، فإن بعض الأشخاص الذين يملكون السفن، أو الذين لهم علاقة بالسفن يعلنون أنهم - بكل أمانة - في جانب القواعد المشددة بخصوص تسرب الزيت وناقلات البترول غير الملوثة، ولكن طالما أن هذه القواعد لا يعترف بها منافسوهم.. فإنهم لن يكونوا قادرين على المنافسة، وقد يبدو ذلك تملّصًا من المسئولية. ولكن قد نتصور للمستقبل مؤسسات عالمية لها بعض السلطة، ليس فقط لانتقاد بعض الدول والشركات، ولكن أيضًا لتنفيذ معايير معينة ضد الدول التي تخالف القواعد. ونحن في حاجة إلى هذه المؤسسات الدولية، التي لديها أكثر من سلطة النقد البسيطة، ولكن: كيف ننشؤها؟

وبالنسبة للحركة الضحلة، فإن التلوث ينظر إليه - أساسًا - كشيء مرتبط فقط بسيادة الإنسان؛ أي تلويث القيم الإنسانية، بينما في الحركة

العميقة.. فإن الإنسان يجب أن يبحث عن مكان لكل كائن حي وللنظام البيئي. التلويث من أجل من؟ لهذه الكائنات أو تلك أو لنظام ما؟

(ب) *الموارد*

وسياسيًّا، تعتبر الموارد - في سياق نطاق ضيق - قضية أساسية الآن.. ولكن الخبراء المعنيين بمعرفة حكومات الدول الغنية لم يدركوا، على الرغم من ذلك، أن هناك مشكلات أخلاقية مرتبطة باستهلاك الدول الصناعية بالنسبة للدول النامية، وبأجيال المستقبل، وبكل الكائنات الحية، وما تبقى من الطبيعة الحرة.. ليس هناك تمييز كاف بين الموارد المستخدمة وغير المستخدمة، كما حاول جورجيسكو - رويجن (1971) وآخرون توضيح ذلك. وبإهمال السياقات الواسعة، تستطيع الحكومات الاستمرار في إهدار الموارد، واستخدام محترفي الموارد المتفائلين لتجميل نتائجهم.

ولم تكن مبادئ الربحية الاقتصادية الخاصة (الولايات المتحدة) أو لمبادئ حجم الإنتاج (الاتحاد السوفييتي) ذات معنى عدائي لإهدار الموارد. إن العلاقة الوثيقة بين أيديولوجية النمو السياسي واهتمام المنتجين تجعل سياسة الموارد الخضراء صعبة بشكل غير عادي. ودون رفض واضح لأيديولوجية الكفاح - النمو، لا يمكن أن يكون هناك نقد مؤثر للسياسة السائدة لإهدار الموارد.

وعلى الجانب الآخر، كان هناك اتجاه بين مؤيدي البيئة العميقة للبخس من قيمة البترول وموارد أخرى، بحيث يخدم موقفهم السياسي جيدًا ، أن يكونوا ضمن الذين يصيحون بصوت مرتفع بشأن المصادر المتضائلة، وهذا قد قلل من مصداقيتهم. ومن الأفضل أخذ موقف معياري ، بأنك لا يجب أن تفعل كذا وكذا، بدلاً من أن تنشر تكهنات ذات طبيعة مشكوك فيها، تتم معارضتها بشكل عام، من قبل خبراء يعرفون حقائق أكثر عن موقف المورد بالنسبة للبشر.

(جـ) السكان

في بداية هذا القرن، كانت المصطلحات «خالية» و«مقفرة»، تستخدم باستمرار للإشارة إلى الأرض الخالية من المستوطنات البشرية. وإذا كانت الأرض تبدو قابلة للنمو، فإنها تصرخ مناديةً للبشر، تتوق إلى الاستغلال والتغيير المتزايد للفرد، ويستخدم المكتشفون، والسياح، علماء الطبيعة مصطلحات مختلفة الآن في نهاية القرن. ويستخدم المصطلح «الطبيعة الحرة» بشأن الأرض، التي ليس بها مستوطنات أو علامات رئيسية، تدل على النشاط البشري. ويتغير اتجاه الإنسان نحو وضع بصماته الخاصة جذريًا ؛ بسبب تقلص المناطق من الطبيعة الحرة بشكل مستديم .وحتى وقت قريب.. كان يفترض – بشكل عام – عدم قدرة الأشخاص، الذين ولدوا ونشأوا في المدن على أن ينموا مشاعر الحب للطبيعة الحرة. ولقد اتضح أن ذلك غير صحيح؛ فلم تعد الطبيعة الحرة بالنسبة لهم طبيعة خالية، ولكنها مليئة بالحياة والعجائب الأخرى.

وفي بدايات هذا القرن، كان هناك اهتمام شديد بعدد الأشخاص، الذين يمكن أن تتحملهم الأرض؛ أي قدرة الأرض على حملهم . وفي كتاب دراسي ممتاز، يقال إن هذا مثل سؤال كم عدد السجائر التي يمكن أن تدخنها قبل أن تصاب بالسرطان؟ (ميللر، 1975، ص.107). وموضوع عدد السكان الأمثل هو الآن له علاقة بذلك، ولكن من المؤسف أن المصطلح العام يستخدم بطريقة على نطاق ضيق ، مشيرًا فقط إلى كائن واحد هو الإنسان، أما الحاجة البشرية الناضجة إلى كوكب غني.. فقد تم تجاهلها.

وطبقا لريتشارد إيه. واطسون، وفيليب إم. سميث (واطسون، 1970) وضعت الأمم المتحدة دراسة عن السؤال التالي: «إذا أخذنا في الاعتبار

القــدرة العالميــة الــصناعية والزراعيــة الواســعة، والمنظــور التكنولوجيــة، واستغلال الموارد.. كم عدد الناس الذين يمكن إعالتهم على الأرض اليوم، بمستوى المعيشة المتوسط للفـرد الأمريكـي؟»، والإجابـة هـي مجـرد 500 مليون. ويعتقد المؤلفان أن 500 مليون لن ينتج عنه عالم غير متغير وراكد، في إشارة واضحة إلى القرن السابع عشر. وأتفق مع ذلك، ولكن السؤال المثـار يشير فقط إلى البشر، فماذا عن الكائنات الأخرى الحيـة؟ فـإذا كانـت نوعيـة حياتهم لن تنخفض نتيجة لسيادة البشر، ألا يعتبر إنفاق 500 على الزراعـة - مثلًا - أمرًا مبالغًا فيه جدًّا؟ أو: هل لا يخدم التنوع الثقـافي، وتطـور العلـوم والفنون، وبالطبع احتياجـات أساسـية للبـشر ، دعنـا نقـول، 100 مليـون؟ وهناك استبيان أجري في النرويج، يقـترح أن هنـاك أقليـة يعتقـدون أن 100 مليونًا تكفي، (نايس، d1985). ولكن هناك كثيرين، ممن لا يجيبون حقًّا عـن السؤال، ولكن يمرون به مرورًا سريعًا على أنه «أكاديمي»، «يوتوبي»، وهـم يفكرون فورًا في صعوبات الخفض بطريقة إنسانية.

تم صنع خرائط ذات ألوان، توضح المسافة مـن أقـرب طريـق، لكـي يرى الناس مدى صغر المساحة المتبقية على الكوكب، والتي ما تزال خالية من التدخل الرئيسي للإنسان وسيطرته. وقـد فقـد التوسـع الزراعـي إلى مناطق جديدة وظيفتـه؛ لأن قلـيلاً مـن المنـاطق الحاليـة فقـط هـي التـي تستخدم بشكل مباشر؛ من أجـل الاحتياجـات الحيويـة للإنـسان. ومـع التدمير العدد الزائد - ببطء - من الزوار للحدائق الطبيعية الحالية، وتغير السياسات، فإنه يجب العثور عـلى أراضٍ جديـدة. غـير أنـه هنـاك أيـضا احترام متزايد للأرض «الخاليـة»، دون أن تكـون هنـاك إمكانيـة أن تـدر دخلا من السياحة. وهناك تقدير متزايـد للـشعارات الـسياسية مثـل«دع التطور يستمر!» و«الأرض أولًا!». ومن الواضح مع المتطلبات المتزايـدة للمساحة بالنـسبة للفـرد الواحـد في الـدول الـصناعية الغنيـة، فإنـه مـن

المستحيل أن يكون هناك تطور مماثل في مكان آخر بشكل مادي، مع فشل كلي في المحافظة على البيئة. وزيادة السكان في البلاد الغنية واضحة من وجهة نظر عالمية.

وكان مصطلح الطبيعة «التي لم تمس» مصطلحًا شائعًا إلى حد ما في الستينيات وأوائل السبعينات؛ ولكن مع زيادة في المعرفة، سواء بتاريخ الطبيعة في الماضي أو بالتلوث الكلي للتربة، والهواء، والمحيطات، يستخدم المصطلح الآن مع ابتسامة حزينة. ولا يهدف رد الفعل السلبي المتزايد تجاه زيادة السكان البشر إلى تربية أي عداء تجاه البشر، بل - على العكس - يبدو أن إرضاء البشر يتطلب ويحتاج إلى طبيعة حرة. ويجب أن تأخذ «المركزية حول الإنسان» و«المركزية البشرية» ، والتي غالبا ما كانت تستخدم بطريقة ازدرائية، صفة فتكون «المركزية الضيقة حول الإنسان».. إلخ. وبالتدريج، فإنه ينظر إلى إمكانة حماية الكوكب ككل - ومن أجله فقط - كأحد أعظم التحديات عن أي وقت مضى، وهي بالتأكيد مهمة بشرية على وجه الخصوص، كما أن الحاجة البشرية متضمنة هنا، ونحن نحقق احتمالية فريدة في مراجعة القرارات السياسية؛ لكي تشبع هذا الاحتياج، والوقت مناسب للسياسيين - من أنصار الواقعية - بأن يسمحوا لأنفسهم بالإشارة إلى هذه الحاجة.

(5) تقوية المحلي والعالمي

(أ) *تقرير المصير*

إن افتراض القدرة على تقرير المصير، والقدرة على تحقيق الاحتمالات متضمن في نظام من المعايير الأساسية لتحقيق الذات.

وتشير دراسات أولية للاتجاهات «الخبراء» والسياسيون، الذين يشاركون في القرارات الخاصة بمشكلات البيئة (نايس، 1986a و1985d)

إلى اتجاه إيجابي - نادرا ما أعلن للجمهور تجاه، ليس فقط تثبيت السكان من البشر، ولكن تخفيضات رئيسية في السكان من البشر أيضًا. إنها بالفعل مشكلة طويلة الأمد، وهى اليوم - سياسيًّا - قضية ليس لها وجود. إنه من المهم - على أي حال - أن يعرف الناس ككل هذه الاتجاهات. وبخلاف ذلك، فإن هناك توقعًا ضئيلاً أن تقوم المجموعات التي نضع تخفيض السكان كهدف بعيد لها، بالضغط من أجل إحداث تغييرات ملائمة في الضرائب وأدوات التأثير الأخرى.

وأحد المفاهيم الغريبة الخاطئة التي تجعل الناس تتقاعس عن دعم سياسة للخفض، هو الرأي القائل بأن عددًا ضخمًا من البشر يظهرون حبًّا هائلا للأطفال. وبالتالي.. فإن هذا الخفض ينهي نقص الحماس والحب للأطفال! ومن ذا الذي يجب أن يعرف عنه أنه عدو للأطفال! ولا تدعم الدراسات الواقعية التي تبين كيف أن عدد السكان من البشر قد خرج عن التوازن، أي رأى عام رومانسي عن سبب إنجاب الناس لكثيرٍ من الأطفال.

وقد تكون الظروف الاجتماعية جيدة أو سيئة لتنمية تقرير المصير.

وهذا يعنى أنه يجب أن يكون الشخص - في أكبر عدد ممكن من مظاهر الحياة الجوهرية - قادرًا على مقاومة الإكراه. وهذه الحريات تضمحل في كل وقت، تكون فيه هناك مركزية قرار؛ بمعنى أن فاعلاً في مركز بعيد يساهم في القرار بطريقة، تشعرنا أنها تأتي من الخارج، وبهذا يقيد من حرية الشخص الخاصة في الاختيار؛ لذلك.. فإن السياسات البيئية تأخذ جانب عدم المركزية.

على سبيل المثال، في الطاقة، إذا جعلت الطاقة مركزية.. فإن أي شيء يحدث للمصادر المركزية يجعلك - بشكل أو آخر - عاجزا، وأي

اضطراب يؤثر على التوزيع وكثافة الطاقة سيتسبب في مشكلات، لن تكون قادرًا على فعل كثير بصددها. على الجانب الآخر، فإن عدم مركزية الطاقة بشكل قوي قد يكون أقل فائدة، من وجهة نظر اقتصادية ضيقة، ويتطلب عملاً أكثر بقليل من أجل المستهلك، ولكن هذا داخل مجال عملك وسلطاتك.

ومن الشائع في دولنا الصناعية التحدث عن محيط ومركز المجتمع؛ فالمركزية تعني أيضًا أن لديك أماكن معينة، أغلبها مدن كبيرة؛ حيث يتم الاعتراف بأن الابتكار هو الأعلى، وذلك يقرر الظروف في المحيط. ففي الموسيقى التي نختارها، والملابس التي نرتديها، ومئات الطرق الأخرى.. هناك مركز يقرر - إلى درجة كبيرة - كيف سيعيش الناس في ذلك المحيط. وتميل هذه المركزية إلى تقليل تقرير المصير، ومع ذلك يجب تأكيد أن تقرير المصير لا يعني رحلة الأنا؛ فكونك مع الآخرين هو شيء جوهري في تحقيق الذات.

في الدول الإسكندنافية، يكون عدم المركزية ودعم الوحدات الصغيرة في الاقتصاد شيئا، يقول السياسيون إنهم في صالحه. ولكن في التطبيق العملي، فمن الواضح أن تلك الآراء السياسية لم توقف الميل المستمر نحو وحدات أكبر.. وكلما كبر حجم الوحدات ككل، قلت احتمالات وجود الابتكار الفردي، وهناك احتمالات أقل للوحدة أن يفهم كل فرد فيما يحدث.

ولكن مرة أخرى.. يجب أن يحذر المرء من الاستبدادية؛ فقد تكون للعامل في شركة كبيرة - ذات سلطة مركزية قوية - ظروف أفضل لتقرير المصير في العمل، عن شخص آخر في شركة صغيرة؛ «فالصغير» ليس دائمًا جميلاً ، كما أعلن شوماخر ذلك بوضوح.

(ب) الاعتماد على الذات

تميل اقتصاديات الدول الصناعية إلى تفضيل أي زيادة في التجارة بين الأمم، والشيء الرئيسي هنا أن هناك أماكن معينة على الأرض يمكن أن تنتج منتجات معينة بسعر أرخص، وأن على المرء دائما أن يستورد من الأماكن التي تُصنع المنتجات بطريقة أرخص ، وأن عليه أن يُصَدِّر ما يكفي لسداد وارداته، ومن الصعب جدًّا إبطال قوة هذه الحجة.

والتأثيرات الايجابية على مستوى المعيشة المادي لعلاقات التصدير والاستيراد واضحة، وهناك بعض أنواع من التجارة مستمرة منذ آلاف السنين، أثناء تعزيز التنوع الثقافي.. ولكن ربما تكون التكلفة الاجتماعية والثقافية مذهلة. وقد أدى استيراد أسلوب الحياة مع وسائل الترفيه إلى الاعتماد على التقلبات الاقتصادية الدولية، مؤديًا إلى الاطراد، والسلبية، ومزيد من الاستهلاك، وقليل من الابتكارية.

وتقل الاحتمالية القوية للتنوع الثقافي المستمر بالمقياس العالمي؛ مما يقلل من قيمة استقلال الثقافات المختلفة، ولكن ما يفعله غالبًا هو أنه يجعل من الصعب جدًّا أن يكون المرء معتمدًا على الذات؛ أي أن تكون له إمكانة الحد الأقصى من النشاط الذاتي: الخلق بدلا من الاستهلاك، وعمل ما لا يتم عمله. ومصطلح الفلسفة البيئية الأساسي هنا هو النشاط، الداخلي والخارجي، في الوصول للأهداف.

في بعض دولنا الصناعية - مثل النرويج - نعتمد بدرجة عالية على موارد دول أخرى؛ فالمجتمع يعتمد منطقه على الآخرين، ولا يقترح من خلال الاعتماد على الذات توقف كل أنواع هذه الاتصالات ، ولكنها تنفذ فقط، إذا كانت في صالح تحقيق الذات، ولا تتم كضرورة لإشباع احتياجات يمكن إشباعها محليًّا أيضًا.

تحقيق الذات ليس ضد الاتصال الثقافي، ولكنه يؤيد قيمًا جوهرية، مادية وروحية. فعلى سبيل المثال، إذا قمت برحلة لنقطة بعيدة، وأنت لا تشعر أن لها أي قيمة جوهرية؛ لكي تحصل على سلعه أو خدمة.. فإن الاتصال يكون سلبيًّا، ولكن من الأفضل لك أن تحصل على هذا الشيء محليًّا. على الجانب الآخر، إذا كان لديك أصدقاء، أو شيء ما عند نقطة بعيدة، ولا تستطيع أن تحصل عليه محليًّا، أو إذا كان السفر نفسه خبرة قيمة، فمن الطبيعي أن يكون الاتصال - إذًا - مقبولا من وجهة نظر تحقيق الذات، وبالتالي الفلسفة البيئية T.

ولسوء الحظ.. فإن زيادة الاعتماد على الذات تتطلب من الأفراد أن يكونوا واعين جدًّا بقيمهم، وبالعقبات، وبما يمكن عمله سياسيًّا لتحسين الظروف؛ لذلك.. فإنه من الطبيعي أن تكون هناك أقلية فقط لديها الفرصة للعمل من أجل مستوى مرتفع من الاعتماد على الذات، ويكون هذا ممكنًا فقط داخل مجتمع متماسك، ومحلي، ومنطقي، وطبيعي.

(جـ) *تحقيق الجماعات المحلية*

هناك تمييز في علم الاجتماع الأوروبي، بين الجماعة والمجتمع، Gemeinschaft و Gesellschaft؛ فالمحلية والمعيَّة في معنى الجماعة هما مصطلحان مهمان في الحركة البيئية العميقة، وهناك رد فعل غريزي ضد الاستحواذ من قبل شيء كبير، ولكن ليس بالعظيم.. شيء مثل مجتمعنا الحديث. إنه - على أي حال - ليس من السهل توضيح طبيعة الخصائص الجوهرية المرغوبة لجماعة محلية.

وقد كونت ما تسمى بالجماعات الخضراء، على مدى العشرين عامًا الأخيرة، خصائص معينة تعتبر إيجابية:

(1) عدد الأعضاء ليس كثيرًا؛ لدرجة أنهم لا يعرفون بعضهم البعض معرفة شخصية. وهناك عوامل متأصلة ثابتة تجعل مستوى السكان ثابتًا إلى حد ما.

(2) تتخذ القرارات في المجالات ذات التأثير على كل الأعضاء، من خلال الاتصال المباشر؛ حتى يكون هناك شكل مباشر من الديمقراطية.

(3) تتم معالجة السلوك غير الاجتماعي مباشرة بالطرق الودية، وهناك تأثير قليل مباشر من الخارج، يتداخل مع ذلك النظام في الداخل.

(4) ترتبط طرق ووسائل الإنتاج بشكل أكثر قوة بالإنتاج الأولي، ونتيجة لذلك هناك اعتماد ذاتي اقتصادي مرتفع.

(5) التكنولوجيا هي أساسا تكنولوجيا البرامجيات، ويمكن أن نستخدم أيضا مصطلح «القريب» ؛ لأنه يجب أن تأتي المواد المصنوع منها الأشياء من المناطق المجاورة، أو على الأقل من مناطق قريبة بقدر الإمكان، ويفضل ألا تكون من خارج البلاد.

(6) يجب أن تكون الثقافة ووسائل الترفيه ذات طابع محلى بدرجة كبيرة، وينطبق ذلك أيضًا على العمل.

(7) التعليم موجه نحو التعرف على التكنولوجيا، التي تحتاجها المنطقة المحلية، ولكن - بالطبع - يجب أن تكون إمكانية التعليم الأدبي والفني موجودة.

(8) الفروق بين الدخل والثروة قليلة. وهناك تقارب بشكل كاف في طرق الحياة بين هؤلاء الذين في القاع، وهؤلاء الذين في القمة، لدرجة أنهم يمكن أن يتماشوا معًا وأن يعملوا معًا.

(9) التوسع الجغرافي قليل، حتى أن وسائل النقل الشخصي، مثل الدراجات، كافية للانتقال من مكان إلى آخر.

(10) قد تكون هناك في بعض الجماعات مؤسسات، تنتمي إلى وحدة أكبر مثل المستشفيات ومؤسسات البحث الدولية والقانون والمؤسسات التقنية. ويجب أن تعتني بعض الجماعات المحلية بالمؤسسات المركزية، اللازمة لعمل المجتمع ككل، *وهذه الحقيقة غير منسجمة مع فكرة الجماعات المحلية.*

ويبقى عدد من العقبات السياسية، أمام الحفاظ على البيئة، وتنمية أكثر للجماعات المحلية الخضراء:

(1) السياسة الاقتصادية مركزية من الناحية القومية بشكل قوي. وتحدد الأهداف لكل الدولة. وكان نتيجة ذلك تيار ثابت من الأوامر والطلبات، تصدر في المركز، وتقرر السلوك في الأحياء والمناطق، مثل متطلبات الصرف الصحي وحجم المباني. وتجعل كل هذه الأوامر وحدات الإدارة المحلية مدينة ومفلسة، وكان لذلك تأثير حاد ومحبط للمعنويات: وعندما تكون هناك إمكانة لنوع معين من الكسب الاقتصادي، فإنهم ينتهزون الفرصة، دون إبداء أي نقد؛ لذلك.. تكون الجماعات المحلية هشة ويسهل تحطيمها.

(2) السياسة الثقافية هي سياسة مركزية من خلال وسائل الإعلام؛ خاصة التليفزيون.

(3) وسائل الترفيه خاضعة لمعايير من خلال وسائل الأعلام المركزية وسوق الثقافة الدولي. ولم يكن ممكنًا أخذ الاتجاه المضاد، حتى ولو رأى كثير من السياسيين النتائج غير المرغوبة والضارة بوضوح. وتعزز المعايير النمو الاقتصادي، ولكنها تؤدي إلى متغيرات أقل بكثير من الإبداع في الأساس، ولا يتم تقييم وسائل الترفيه - أساسًا - في السوق الكبير.

(4) السلطات الصحية والسياسات الاجتماعية متمركزة ومتخصصة، وتضع أهمية على الأعراض أكثر مما تضعها على الأسباب ، ويختفي الطبيب الممارس العام التقليدي، وتشعر الجماعات المحلية أنها في حاجة إلى المال لتحمي نفسها من المرض، وهذا أيضًا يجعل من الصعب تجنب السلبية نحو السلطات المركزية.

(5) يبدو أن التنافس - خصوصا في السوق العالمي - يحتاج إلى حد ما شركات كبيرة لتكنولوجيا العتاد المادي والتكنولوجيا البعيدة. وهناك احتياج إلى حرية حركة أكبر للعمال؛ لكي يتحركوا وفقا للأسواق، مما يحطم مرة أخرى المجتمعات المحلية؛ خصوصًا أن الاستمرارية بين الأجيال تكون جوهرية جدًّا داخلها.

(6) من شأن السياسة الاقتصادية في الأسواق العالمية أن تجعل الاعتماد على الذات أو تكنولوجيا البرامجيات عديم الجدوى. كما أن استخدام الموارد المحلية في أماكن كثيرة وتقدم شركات من دول أخرى يسيء إلى المجتمع.

(7) لا يتم تشجيع التعميم؛ بمعنى تنمية مهارات عدد ضخم من الأنواع المختلفة لأنه عديم الجدوى. وتتطلب المستويات العليا من الفنانين، والعلماء، والتقنيين، والنجوم في الرياضة والتجارة من جميع أنحاء

العالم مستويات، لا يمكن تحقيقها تمامًا إلا عن طريق الاحترافية *Panis et circenses!* ، وتجعل مستوى المعيشة المادي ووسائل الترفيه المحترفة الاستخدام الفعال للإمكانات الإبتكارية للمرء يبدو غير ضروري، كما أنها تجعل الإنجازات والقدرة المحلية غير معروفة مركزيًا في المجتمعات الكبيرة، وقرب الثقافات الفرعية المحلية.

ودون معايير مضادة قوية، فإن تحطيم الجماعات المحلية والثقافة غير الصناعية سيستمر.

ومن المهم أيضًا في الحركة البيئية معادلة اتجاه لمساواة المجتمع المحلى بالوحدة الإدارية المحلية، كما يكون الضغط ابتداءً من الإدارة المركزية حتى الوحدات الإدارية المحلية صعبًا جدًّا؛ لدرجة أنه غالبا ما نجد - خصوصا في شمال أوروبا - وحدات الإدارة المحلية دائمًا على حافة انهيار اقتصادي؛ مما يقودهم باستمرار إلى موقف معادٍ للبيئة، حتى عندما تعطي الجماعة، التي يفترض أن تخدمها الإدارة الحفاظ على البيئة أولوية كبرى.

(6) العمل المباشر؛ ومعايير عدم العنف لدى غاندي

يدفعني هذا العنوان إلى التفكير في الطرق الخاصة، المرئية وغير العنيفة، التي تحاول الأسس البيئية عن طريقها أن تحارب الطرق الجماعية علانية، وكانت هناك في الصراعات التي تتعلق بالبيئة المئات، إن لم يكن الآلاف من الأعمال المباشرة، ويتسم معظمها بعدم العنف على طريقة غاندي.

وأحد الأشياء التي يجب تذكرها عندما نبدأ بتخطيط لعمل مباشر، هي أن القرارات من النوع المعادي للبيئة عادة ما تأتي بعد خطط طويلة الأمد، من جانب الصناعة أو البيروقراطية، وأن للعمل المباشر الذي يتم أداؤه - لاحقًا في عملية التخطيط - فرصة أقل بكثير في أن يكون ناجحًا عن العمل المباشر، الذي يأتي في المراحل المبكرة للتخطيط. ويرجع السبب في ذلك

أساسًا إلى أن التخطيط يتكلف الكثير من المال، ملايين من الدولارات؛ خصوصا إذا ضم أبحاثا للجدوى (ويحتمل أن تكون روتينية). ويجب أن تكون هناك - عند استخدام كثير من المال بالفعل - حجة قوية، قبل أن يقول أحد إنها قد بددت، و«يجب أن» يستمر المشروع. وهذه النقطة تجعل من الحتمي أن يطلع أكبر عدد من الناس على الخطة في مراحلها المبكرة، ويجب أن يعرفوا الخطة بشكل تام، قبل أن يتحدثوا عن مخاطرها.

ومنهج غاندي أن تخطيط شيء *غير قانوني* هو أمر ضد القانون، ويجب ألا يحدث إلا نادرًا بقدر الإمكان، فمعظم الأعمال يمكن ويجب أن تتم داخل نطاق القانون.

كان المحامون في الولايات المتحدة الأمريكية - أكثر من أي دولة أخرى - قادرين على تعبئة القوانين ضد القرارات غير البيئية. وفي الدول الإسكندينافية، كان المحامون إلى حد ما سلبيين، ولكن ما يجب تذكره هو أنه يجب دائمًا بحث مسألة قانونية القرار.

هناك نقطة أخرى أود أن أذكرها، وهي ضرورة وجود هدف واضح وملموس للعمل، وسهل الفهم، وأنه يجب إخبار الخصم بوضوح عن ماهية الهدف من وراء هذا العمل. ولا يكون الخصم أبدًا من الشرطة الرسمية، ولكن عادة ما يكون من الأشخاص ذوي المكانة العالية في هرم السلطة.. وهنا تجدر الإشارة إلى التفريق بين فرقين أساسيين: أولهما أن العمل، مثلاً، على إقفال طريق أو العمل في سد هو عمل محدد بوقت معين، وهناك حد دقيق للنشاط، الذي سيحدث أو يمكن أن يحدث. وثانيهما : أنه ربما يكون العمل جزءًا من حملة ضخمة - على سبيل المثال - لإنقاذ نهر، أو عدد كبير من الأنهار، أو إنقاذ غابة. وقد يكون العمل نفسه غير ناجح، ولكن ذلك لا يقضي على إمكانية نجاح الحملة، التي قد

تتضمن أو تتكون من كثير من الأعمال، ولا يتوقف نجاحها على النجاح الكلي لكل مكون على حدة. ومن سمات العمل الرئيسية جذب انتباه الجمهور. ويعتمد شرط نجاح العمل إذًا على مدى إمكانية العمل بالنظرية التي مؤداها أنه لو يعرف الجمهور *فقط* ، لكانت الغالبية في الجانب الصحيح.

ليست التفرقة - فحسب - بين العمل والحملة مُهمة، ولكن كذلك أيضا التفرقة بين الحملة والحركة، فقد تكون الحركة على سبيل المثال لحماية مساحة كبيرة من الطبيعة، وتحويلها إلى حديقة عامة بعد سنوات من الحملات، وقد تتطلب هذه الحركة مائة عام، قبل الوصول في النهاية إلى هدفها.

وأحد أهم الاستخدامات لفكرة الحملة هي العمل ضد الإحباطات، بعد عمل مباشر غير ناجح. وتكون معظم الأعمال غير ناجحة، وربما يجب أن تكون كذلك، وذلك لا يقلل من أهميتها؛ *فالحملة تستمر!* ومعظم الحملات غير ناجحة، ولكن ربما لا يجب أن تكون كذلك في المستقبل. ولكن بالتأكيد، من حيث إنها غير ناجحة؛ فمن المهم رؤيتها كجزء من حركة.. وكحركة، فإن البيئة العميقة قائمة نفسيًّا وثقافيًّا على اتجاهات أساسية، وإيقاف الدعم يعني إنكار هذه الاتجاهات، أو إيجاد تعبير مختلف أفضل لها.

ويتضح من خبرة الدول الإسكندينافية، وأماكن أخرى كثيرة، أن إمكانية النجاح تعتمد - بشكل كبير - على *مستوى عدم العنف* في العمل، وعلى الحملات، والحركات. وأنه من الضروري - على سبيل المثال - أن تؤخذ المبادرة للاتصال بالخصم، قبل مظاهرة أو قبل إجراء عمل مباشر. وفي مظاهرة ألتا Alta ، في النرويج القطبية، كان هناك

اتصال بشكل مستمر بالخصوم الأقوياء، لمدة تسع سنوات على الأقل من تاريخ الحملة. وفي موقع العمل المباشر، تم تقديم القهوة للحاضرين من الخصوم، وقام المتظاهرون بدعوتهم لمناقشة العمل، وبذلك يتم تجنب سوء الفهم. في إجراء عمل الماردولا Mardøla ، تمت استضافة رجال الشرطة، وقدم لهم عيش الغراب الطازج (ولكن الذين كانوا يقفون بجوار رئيس الشرطة لم يخاطروا بقبوله).

«أن تصل إلى الحد الأقصى في الاتصال بخصمك!» فذلك معيار مركزي لمنهج غاندي؛ حيث يجب أن تكون الأعمال المباشرة غير العنيفة جزءًا من المحاربة؛ للوصول إلى سياسة بيئية سليمة. ولكن على الجانب الآخر.. فإن هذه الأعمال لا يجب أن ينتج عنها إهمال الصراع اليومي والأسبوعي، ويجب أن يخطط المرء لما هو له تأثير على العمل المناسب، الذي يحاوله السياسيون؛ فإذا لم يتم التعامل معه بشكل مناسب، فقد يتحول السياسيون من تفضيلهم لقرار مضاد للبيئة إلى مدافعين شرسين عن القرار نفسه.

ولتجنب سوء التفاهم هذا، سنعطي فيما يلي بيانًا منظمًا لقواعد عدم العنف لغاندي، كما فسرها نايس Naess (1974):

معيار المستوى الأول :

N1 اعمل في جماعات الصراع، واعمل كشخص مستقل، وبطريقة ما، توصل إلى خفض عالمي وطويل الأجل، وكبير إلى أقصى حد للعنف!

نظريات المستوى الثاني :

H1 إن طبيعة الوسائل المستخدمة في الصراع الجماعي هي التي تُقرر طبيعة النتائج.

H2 في الصراع الجماعي، يمكن أن تجعل الدافع الموجه لهدف، والقدرة على العمل بشكل مؤثر على تحقيق الهدف، أقوى من الميول المدمرة والعنيفة، والسلبية، واليائسة ، أو التدميرية، وذلك فقط بجعل *برنامج بناء* جزءًا من حملتك، وبإعطاء كل مراحل كفاحك - بقدر الإمكان - صفة إيجابية.

H3 يتعارض العنف قصير الأجل مع الخفض العالمي طويل الأجل للعنف.

معايير المستوى الثاني :

N2 اجعل برنامج بناء جزءًا من حملتك!

N3 لا تلجأ أبدًا للعنف ضد خصمك!

N4a تخير العمل الشخصي، أو الاتجاه الذي يكون أكثر احتمالية لتقليل الميل، نحو العنف لكل الأطراف في الصراع!

N4b لا تتصرف أبدًا كمجرد موظف أو ممثل لمؤسسة أو كتابع، ولكن تصرف دائمًا كشخص مستقل، *ومسئول مسئولية كاملة* !

نظريات المستوى الثالث :

H4 يمكن أن تُعطي الصراع صفة بَناءة فقط، إذا فهمته ونفذته كصراع *لصالح الكائنات الحية*، ولصالح بعض القيم، وهكذا فإنه سيصبح محاربة الخصومة وليس محاربة الخصوم.

H5 ما يزيد من فهمك للصراع وللمشتركين، ولدوافعك الخاصة، هو أن تعيش مع المشتركين، خصوصا مع الذين تحارب أساسًا من أجلهم، والشكل الأكثر ملاءمة للعيش معًا، هو القيام معًا بعمل بنّاء.

H6 إذا عشت مع الذين تكافح أساسًا من أجلهم، وقمت بعمل بناء معهم.. فإن ذلك سيخلق أساسًا طبيعيًّا للثقة والإيمان بك.

H7 كل الكائنات البشرية (وغير البشرية؟) لديها مصالح مشتركة طويلة الأجل.

H8 التعاون في الأهداف المشتركة يقلل من فرص، أن تصبح تصرفاتك واتجاهاتك عنيفة تجاه المشتركين في الصراع.

H9 أنت تشجع على العنف من جانب خصمك باحتقاره أو بإثارته.

H10 الفهم الكامل للحقائق والعوامل المرتبطة، يمكن أن يزيد من فرص تحقيق عدم العنف لأهداف حملتك.

H11a إن عدم الاكتمال والتحريف في وصفك لقضيتك، وخطط كفاحك يقلل من فرص تحقيق عدم العنف لأهدافك.

H11b السرية تقلل من فرص تحقيق عدم العنف لأهدافك.

H12 كلما كانت هناك احتمالية أقل لأخذ اتجاه عنيف، كان أفضل أن تجعل النقاط الجوهرية في قضيتك، وفى كفاحك واضحة لنفسك.

H13 هناك احتمالية أقل أن يستخدم خصمك وسائل عنيفة، إذا فهم سلوكك وقضيتك بشكل أفضل.

H14 هناك نزعة قوية في كل خصم، مثل: الصدق، الذكاء، والقوة، والمثابرة على المناشدة في صالح قضية جيدة؛ بحيث تكون قادرًا في النهاية على إقناعه.

H15 ينبثق عدم الثقة من الخطأ في الحكم، خصوصا في تصرف خصمك في أن يقابل الثقة بالثقة، وعدم الثقة بعدم الثقة.

H16 الميل إلى الخطأ في الحكم وعدم فهم خصمك وقضيته في اتجاه معارض، يزيد من ميله وميلك للجوء للعنف.

H17 إنك تفوز بشكل نهائي، عندما تحول خصمك إلى مؤمن ومؤيد لقضيتك.

معايير المستوى الثالث :

N5 حارب الخصومة وليس الخصوم!

N6 عش مع الذين تكافح من أجلهم، وقم بعمل بناء معهم!

N7 قم بصياغة الاهتمامات الجوهرية، التي تشترك فيها أنت وخصمك، وحاول أن تتعاون معه على هذا الأساس!

N8 لا تحتقر خصمك أو تثيره!

N9 اكتسب أفضل فهم ممكن للعوامل المرتبطة بتحقيق عدم العنف لأهدافك.

N10 اسع للوصف غير المتحيز في كل الأمور!

N11 امتنع عن السرية!

N12 أعلن عن قضيتك بوضوح بقدر الإمكان، مفرقًا بين الأمور الجوهرية والأمور غير الجوهرية!

N13 اسع للاتصال الشخصي مع خصمك، وكن دائمًا موجودًا إذا احتاجك، وأشرك الجماعات المتصارعة في اتصال شخصي!

N14 لا تقس على خصمك في الحكم عليه، أكثر مما تقسو في الحكم على نفسك!

N15 ثق في خصمك كما تثق في نفسك!

N16 حول خصمك إلى مؤمن ومؤيد لقضيتك، ولكن لا تستخدم الإكراه!

هناك أيضًا عدة نقاط، يجب أن تحتفظ بها في ذهنك؛ لتشجع نجاح العمل داخل الحركة، وداخل المجال الاجتماعي الأكبر:

(1) تجنب التصريحات، مثل: «حملتي هي الأكثر أهمية»، أو «دون الوصول أولًا لأهداف حملتي، لا شيء يمكن عمله».

(2) قاوم الميل للبحث عن الضعف في الحركات البديلة بخلاف حملتك، والتي لها أهداف عملية في ذهنك.

(3) إن «غباء» أو «سوء» خصومك لا يجب أن يكون قضية.

(4) تجنب اللغة التقنية أو الأكاديمية في المناقشة بقدر الإمكان؛ فكل محترف لديه الميل للاعتقاد بأن جدية المناقشة، يجب أن تبدأ بلغتها المهنية الخاصة.

(5) ضع دائمًا في ذهنك كيف ترتبط أهداف حركتك بالقيم النهائية وبأهداف الآخرين.

(7) البلاد الغنية والبلاد الفقيرة : من الاستغلال إلى المساعدة المشتركة

يشكل التلوث ومشكلات الموارد جزءًا حقيقيًا من اهتمامات الحركة البيئية، ولكن الطريقة التي تتعامل بها الدول الصناعية مع هذه المشكلات لم تكن مرضية لأسباب عديدة، سواء لم يكن ذلك من المنظور القصير أو منظور بعيد المدى.. أولًا، تم إعطاء هذه المشكلات أولوية، دون تناول الروابط العميقة لسلسلة الأسباب: أنظمة الإنتاج والاستهلاك، والتكنولوجيات، ونقص التضامن العالمي والمحلي، وانحراف أسلوب

الحياة. وربما يمكن للشخص أن يتجاوز قائلاً إن مناقشات التلوث والموارد قد دفعت بعيدًا كل المظاهر الأعمق، وتسيدت الحركة الضحلة على الحركة العميقة.

ويمكن أن تتحكم الدول الصناعية في تدفق القمامة والتلوث بطريقة يستحيل اقتصاديًّا على الدول النامية إتباعها، كما يمكن أن تقلل الدول الصناعية من المتطلبات في مقابل الكرم السياسي من جانب الدول النامية،مثل : الضغط على الدول النامية لفتح بلادها لتكنولوجيا العتاد المادي معينة، ومشروعات صناعية ضخمة، والتي يمكن أن تتجاهل القوانين البيئية للدول الصناعية الغنية.

يبدو أن المؤسسات متعددة الجنسيات القوية مازالت تقود التنمية الحالية، وتسمح لهم آراء الحكومة والناس باستغلال الأراضي الفقيرة والموارد الرخيصة والمواد الخام والعمالة، على أساس العلاقة المستمرة لمدة طويلة من الاستغلال؛ حيث تكون الدول النامية هي الخاسرة. وتختلف قدراتهم على محاربة الانحلال البيئي عن قدراتنا، فنحن جميعًا لسنا في القارب نفسه، ولكن في قوارب عديدة مختلفة، كلها تخطط لمسار لكارثة.

هذه مشكلة حقيقية اليوم: بالنسبة للأشخاص؛ الذين لديهم المعرفة في مجال البيئة ليقرروا - إلى أي مدى - يسمحون لأنفسهم بأن يصبحوا مشتركين فقط في المنهج الضحل، كخبراء واستشاريين في الوظائف المتاحة حاليًا. وتتطلب معظم الوظائف الشاغرة المتاحة لهم كاستشاريين أن يظلوا صامتين في العلن، بشأن عواطفهم العميقة (نايس، 1986a، 1987b). ويختار أصحاب العمل أسئلة غالبًا ما تكون ضحلة. ويُطلب من الاستشاريين أن يقارنوا المشروعات «ألف» و«باء» ، ويتركون «ج» التي تنفذ إلى العمق، ويختار أصحاب العمل المحتملون الأسئلة التي

يدفعون للمتعلمين بيئيًّا أجرًا للإجابة عنها. ويمكن أن يختار المهتمون بالبيئة بحرية أسئلة أكثر جوهرية، ولكن بعض الآراء تظل خطيرة بالنسبة لمهنتهم، إذا نشرت باسمهم.

ومازالت هناك قيود، تجبر الخبراء داخل معظم المؤسسات على اتباع المنهج الضحل، ولكن الكثير والكثير داخل طبقة الصفوة في الدول النامية يطلبون المساعدة في تنفيذ السياسات البيئية.. إنهم يسعون للنشر في *الإستراتيجية العالمية للمحافظة على البيئة*، وهنا يكمن الأمل في المستقبل، إذا استطاعت مؤسسات قوية أن تنفذ هذه السياسات؛ لأن تنفيذها سيعلن الانتقال من الاستغلال إلى المساعدة المتبادلة.

(8) *انتقادات لمنهج حدود النمو*

كان الاستقبال الذي قوبل به النص «*حدود النمو*» - برعاية نادي روما - ذا شأن سياسي مهم جدًّا. لقد ترك أثرًا على قطاعات قوية معينة في المجتمع - والتي حتى ذلك الحين - لم تر أي حدود للاستغلال البشري للكوكب. إن المنهج الكمي ذو المستوى العالي جعل التقرير مقروءًا داخل دوائر الخبراء، الذين لا يقرأون أبدا الكتابات الأكثر رومانسية لحركة البيئة العميقة. وما أجده شيقًا وجديرًا بالملاحظة هو رد الفعل، الذي ينم عن عدم الرضى سياسيًّا، تجاه التقرير داخل حركة البيئة العميقة نفسها. وهذا الأمر ليس بذي أهمية؛ لان كل تقرير كمّي به إحصائيات، ومطبوعًا عن طريق الكمبيوتر.. أي، وبشكل عام، يتم استقبال ما يسمى بالتكنولوجيا المتطورة بشكل سلبي داخل الحركة، وهذا يضعف من تأثير الحركة على المدى البعيد: في مناقشة مع الخصوم من ذوي بعض الخلفية التقنية، تكون الإشارة إلى هذه التقارير ذات تأثير، أكبر من الإشارة إلى أي من الأنواع الأخرى من المطبوعات.

وضمن التعليقات السلبية، والتي هي من وجهة نظري إلى حد ما ضعيفة، لابد أن أذكر التالي:

(1) تم تمويل الأبحاث من قبل الصناعات الكبيرة، وذلك يمكن حدوثه فقط؛ لأن النتائج هي في صالح السياسات غير البيئية لتلك الصناعات.

وتاريخيًّا هذا غير صحيح؛ فقد دعمت الصناعة البحث دون أن يكون واضحًا بالنسبة لها نوع النتيجة، التي سيتم الحصول عليها. وفي الواقع، أشارت النتائج نحو تغيير، سيؤثر بشكل عكسي على الطرق الحالية للإنتاج، اختيار المنتجات داخل هذه الصناعات.

(2) أيدت «*حدود النمو*» الحكمة القائلة بأننا جميعًا في القارب نفسه، وتم تجاهل الفروق الطبقية والقومية والدولية؛ لذلك فهو يخدم الطبقة العليا بين الأمم وداخل الأمم، فالناس ليسوا في قارب واحد، بل في قوارب مختلفة.

ولكن الأبحاث هي فقط للتعامل مع الكميات العالمية.. إنها لا تخدم فقط «الطبقة العليا» في القيام بذلك، وقد عدلت أعمال لاحقة في مجال التخطيط العالمي الإجراءات المفرطة في البساطة إلى «*حدود النمو*»، وهذا موضح جيدًا في دونلا ميدوز عن الحقبة الأولى من التخطيط العالمي، *التماس الطريق في الظلام* (1984).

(3) لا تظهر الأبحاث استغلال الغني للفقير، ولقد كان رد فعل يوهان جالتونج كالآتي:

عندما توضع الشرور عند قدم الفقراء، فإنهم لا يستطيعون المقاومة، بل ولا يشيرون إليها، لأن الفقراء أضعف من أن يفعلوا ذلك؛ فحياتهم كفاح للحصول على السلع الأولية والأساسية. وإن صرخة «ذئب» مطبوعة

بالكمبيوتر، في وسط الجزء المركزي من العالم، لا يمكن أن تغير من هذه الأولويات... وما لا يصدق تقريبًا هو أن المؤلفين لم يثر انتباههم بشدة أن زيادة السكان، وزيادة التلوث، وزيادة الاستنزاف هي مجرد ثلاثة ظروف تعيش في ظلها ربما غالبية سكان العالم الآن بالفعل، ومنذ وقت طويل (جالتونج، 1973)

وقد ذكرت هذه المجالات لأننا - مرة بعد أخرى - نجد أن الأبحاث التي تمت داخل إطار عمل المؤسسة تقابل بنقد مماثل، وتنشر بعد ذلك بطريقة تجعل البحث مقروءًا لكثير من المحايدين تجاه حركة البيئة العميقة. وهذا الحياد يجعلهم - بشكل أو بآخر - يتأرجحون بين هذا الجانب أو ذاك. ونحن في حاجة إلى مزيد من القراء داخل هذه الدوائر، وأفضل شيء يمكن القيام به حسبما أرى، هو جعل أكبر عدد ممكن من الناس يقرؤون هذه الأشياء ويفكرون فيها بشكل نقدي. ولا يمكن للمرء أن يعتمد تمامًا على الكتابات، التي يقوم بإعدادها أعضاء بارزون من الحركة، بل يجب أيضا على المرء أن يأخذ في اعتباره كتابات الذين يأخذون خطًّا أكثر توطدًا. تصل الأساليب المختلفة في الاتصال والأنماط المختلفة من البلاغة إلى أنواع مختلفة من الناس، وهذا أساسيًّا إذا أردنا للحركة أن تكون أي شيء آخر، بخلاف زمرة صغيرة من الأنصار المؤيدين.

وبالنظر للوراء خلال الخمسين عاما الماضية، أعتقد أنه يحق لنا أن نستنتج أن عمل «نادي روما» كان له تأثير إيجابي على السياسات فيما يتعلق بالبيئة. حتى في أكثر الدوائر التكنولوجية تفاؤلا، فإن هناك اعترافًا بحد النمو، ويبدو من خلال إجراء مسح في بلاد عديدة أن هذا التفكير في ألمانيا وفي المملكة المتحدة هو الآن رأى الأغلبية، وأن الأغلبية في الولايات المتحدة ما زالت تميل إلى الاعتقاد بأنه لا حد للنمو (ميلبراث، 1984).

(9) هل الأحزاب الخضراء مرغوبة؟

الشيء الأساسي داخل حركة البيئة العميقة هو الشعور بأن أهدافها لا يمكن الوصول إليها، دون تغيير عميق للمجتمعات الصناعية الحالية؛ وهذا يعني أن الأهداف لا يمكن الوصول إليها دون تغيير في السياسة. ومن إحدى المناقشات التي ستستمر والتي استمرت، على الأقل لمدة 15 عامًا ما يلي: هل يجب أن نعمل داخل الأحزاب القائمة؟ أم يجب محاولة تكوين حزب خاص؟

قد يجيب المرء فورًا بأن الظروف تختلف في البلاد المختلفة، لدرجة أنه لا يمكن أن نجد وجهة نظر عامة.. والشيء الآخر هو أننا يجب أن نفرق بين الأحزاب الخضراء، التي تكونت بهدف تحقيق وضع حزبي جيد التأسيس، وتلك التي تم تأسيسها بهدف، هو أكثر منه إحداث تأثير سياسي مؤقت داخل البيئة الخاصة للسياسيين، ولكن لا تفترض مسبقًا أنها ذات حياة سياسية طويلة في حد ذاتها (پورريت، 1984)، والبديل الأخير هو إلى حد ما التنقل بين تكوين حزب بالمعنى المعتاد، والعمل داخل حزب قائم. وباختصار: (1) تغيير الأحزاب القائمة إلى الاتجاه الأخضر؛ (2) تأسيس حزب جديد؛ (3) تغيير الأحزاب القائمة من خلال تكوين حزب جديد ذات نشاط مؤقت. بالطبع.. فإن هذا التفكير هو الأكثر ملاءمة في الدول، التي تعمل في إطار حفنة من الأحزاب المتنافسة، وليست ذات التقسيم ثنائي القطبين مثل الولايات المتحدة الأمريكية.

وباتباع الخط الأول من التفكير، يمكن أن يحاول المرء تغيير السياسات الحالية عن طريق تأسيس «الأعمدة الخامسة» في الأحزاب السياسية القائمة؛ بالضغط من أجل التغيير في أبعاد البيئة العميقة. وتم تأييد هذا الحل الأول في الدول الإسكنديناڤية لسنوات كثيرة، ومؤخرًا في عام

1985 ، تم التخلي عن اقتراح بتكوين حزب أخضر في النرويج، بعد كثير من النقاش بين الأنصار، الذين كانوا في الماضي من المتحمسين له.

إذا كانت هناك قضية كبيرة من النوع البيئي في بلد ما وواضحة وقائمة على أساس ، مثل : موضوع مصانع الطاقة النووية لأغراض الطاقة.. فإن هناك إمكانية لتكوين حزب، يكون تركيزه على هذا الموضوع. هناك احتمال جذب انتباه كل الأشخاص في البلد، ولكن ليس هناك هذا الجدل الرئيسي، الذي يركز عليه الحزب الأخضر، ومن ثم .. فإنه من الصعب خلق اهتمام كافٍ بين العامة من أجل حزب جديد. وما مدى نجاح حزب يتبنى قضية واحدة على المدى البعيد؟

ويوجد هنا فرق بين السويد والنرويج، لأن في السويد جدلًا كبيرًا بخصوص الطاقة النووية، بينما لا يوجد في النرويج جدل سياسي رئيسي حول جانب أخضر واضح، مع الاحتمالات الضخمة للطاقة المائية.

وكان هناك نجاح في ألمانيا بتكوين حزب أخضر له أهداف رئيسية، ترتبط بكل السكان، وتؤكد النتائج حتى الآن أن الأحزاب السياسية الخضراء قد يكون لها تأثير جوهري (كابرا وسبريتناك، 1984). ولكنها تؤكد أيضا إمكانية رقم (3)- أي إنه حتى إذا تفتت الحزب الأخضر إلى جماعات صغيرة متنافسة، وحتى إذا اكتسب هؤلاء الذين يعارضون المشاركة في السياسات - القائمة على أساس- أسبقية، فإنه كان يمكن لهذه الحقبة من زمن الحزب الأخضر أن يكون لها تأثير مستمر. لقد كانت حقًّا فكرة جيدة.

ومن السمات السلبية للحزب الأخضر، هو أنه إذا حصل فقط على ثلاثة أو أربعة في المائة من الأصوات، فإن السكان يكونون صورة خاطئة عن أهمية وجهة النظر الخضراء، وعدد الأشخاص الذين يؤيدون حقًّا

المبادئ التي وراء السياسة الخضراء. وقد يكون من الأفضل عدم وجود حزب، بدلًا من أن يكون هناك حزب واحد لا يستطيع الوصول، حتى إلى عشرة في المائة من السكان.

وفيما يتعلق بالاحتمال الثالث، أعتقد أن هذه طريقة يجب أن تستمر على أية حال، حتى إذا تكوَّن الحزب. هناك دائما حاجة لوجود أعمدة خامسة في الأحزاب الأخرى – مرة بعد الأخرى – تتبنى وجهات النظر الخضراء، دون الحاجة إلى أن تذكر أنها خضراء، ولكن فقط مواقف معقولة داخل إطار العمل القائم. والميزة المهمة هنا هي أن الأحزاب التقليدية لن تتجمع ضد الحزب الأخضر؛ فهي لا تشعر بالحاجة إلى فعل ذلك، إذا كانت قادرة تمامًا على *استيعاب بعض المواقف الخضراء*، دون أن تكون مهددة؛ إذ لن يكون لديها حزب جديد لتطارده وتقتله.

والتكتيكات مهمة في السياسة.. حتى إذا كان ذلك يسير بتحفظ عند كثير من الأشخاص، المؤيدين للبيئة العميقة، فمن المهم على الأقل ألا ينقلبوا ضد هؤلاء القلة من المؤيدين ذوي الاتجاه التكتيكي.. فإذا عملنا داخل أحزاب قائمة، فعلينا أن نستخدم مصطلحات تشجع الناخبين على الاستماع؛ فمثلًا، ليس من المستحسن أن تكتب وتتحدث – كما لو كنت شخصًا ضد الصناعة بشكل عام – فوجهة نظرنا يجب أن تكون أننا يجب أن نؤيد «الصناعة»، ثم نوضح أن «الصناعة» تاريخيًّا كانت شيئا مختلفًا تمامًا عمّا هي عليه الآن – *صناعة* كبيرة.

وبالمثل.. لا يجب أن نتمسك بالشعارات العامة ضد التكنولوجيا، أو نقلل من أهميتها. ويظهر التنوع في الثقافات الإنسانية خلال التاريخ تنوعًا ضخمًا في التكنولوجيا، ودون هذا التنوع، لن يكون لدينا تنوع ثقافي عميق. ويمكن أن يقال ذلك بطريقة أخرى، ولكن بالتأكيد في أي ثقافة.. فإن الطريقة التي يستخدم فيها الناس الأشياء، والطريقة التي تعطى بها

الأولوية لأساليب معينة على الأخرى قد صبغت الثقافة - كثيرًا - بشكل عام. ومن المهم هنا بالطبع أن تذكر أن التكنولوجيا المتقدمة يجب أن ينظر إليها كالأساليب، التي ترقي بالأهداف الأساسية للثقافة، وليس كمعدات أكثر تعقيدًا وصعوبة، في حد ذاتها (انظر الفصل الرابع).

علاوة على ذلك، فقد يكون الحديث - باستخفاف - عن المدن الكبيرة وأساليب حياة المدن غير مثمر، ومن المحتمل أن يكون عدد السكان من البشر لمدة قرون (إذا لم تكن هناك حروب نووية رئيسية)، ويكون التركيز الكبير داخل المناطق الصغيرة ضروريًّا لتقليل التأثيرات المدمرة على الأنواع الأخرى من الحياة غير البشرية، والطبيعة والكوكب بشكل عام. وهناك حاجة إلى مزيد من الجهد لتحسين نوعية الحياة في مناطق التركيز، وليس مزيدًا من جهد لانتشار السكان في جميع أنحاء العالم.

ولسوء الحظ.. كان هناك كثير من النقد السهل للسياسيين، من بين مؤيدي البيئة العميقة. وهو «سهل» بمعنى أنهم ينتقدون بلاغة السياسيين، حتى عندما يبدو أن هذه البلاغة لازمة داخل النظام الحالي. ويجب أن يرحب مؤيدو الحركة بالسياسيين، الذين تم تشجيعهم بشكل كافٍ لاتخاذ مواقف خضراء جذرية تماما في قضايا جدلية. ولا يتوقع منهم أن يستمروا على الشجاعة هذه، إذا قام من عليهم أن يدينوا بالفضل بالنقد، والتأنيب، أو الصمت فقط.

هل يحصل السكان على السياسيين الذين يستحقونهم؟ للتأكد من هذا، يجب أن يقوم المرء - من وقت لآخر - بإرسال خطابات استحسان وتأييد للسياسيين، عندما يعتقد المرء أنهم قد فعلوا شيئًا جيدًا.. وبريد الكارهين ضروري مثل بريد المعجبين.

وعلى الشخص الذي لديه نشاط سياسي أن يوضح للجمهور أنهم – كأفراد – قد يعتنقون بعض وجهات نظر، لا تتحقق سياسيًّا في خلال الفترة الانتخابية، والتي على الرغم من ذلك تكون مهمة لحافزهم السياسي الشخصي. وتأثير النمو السكاني المستمر على ظروف الحياة والمجال البيئي – بشكل عام – لا يحتمل ومازال يتزايد هندسيًّا. حتى إذا كان التخطيط لتغييرات لهذا البعد كجزء من برنامج سياسي – هو تخطيط *انتحاريّ من الناحية السياسية* – فإنه عدم مسئولية من جانب صاحب النشاط السياسي أن يعترف باعتناقه وجهات النظر الخضراء تلك، كشخص. وإذا تم إخفاء وجهات النظر هذه، فإن كثيرًا من الناس الذين لا يلعبون دورًا نشطًا في السياسة – ولكنهم يعتنقون وجهات نظر خضراء راديكاليه – سيشعرون بأنهم يفتقدون القوة أكثر مما هو حقيقي؛ إذ لديهم الشعور بأن المشاركة في الكفاح من أجل القوة تكون غير منسجمة مع اعتناق وجهات النظر الخضراء.

(10) حركة البيئة العميقة والقضايا السياسية الكبرى

(أ) *الخيارات الأيديولوجية الأساسية*

أيها أكثر احتمالا، لصبغ السياسة الخضراء باستخدام المصطلحات المعتادة الغامضة والمبهمة: الأعراف السياسية أم الأيديولوجيات أم النظم،؟ دعني أعترف فورًا بأنني أشعر بعدم الارتياح، عند استخدام هذه المصطلحات.

(1) إصلاح أم ثورة؟ أتصور تغييرًا ذا عمق وحجم ثوري، عن طريق كثير من الخطوات الصغيرة في اتجاه راديكالى جديد. هل هذا يضعني – بشكل أساسي – ضمن السياسيين الإصلاحيين؟ *نادرًا ما يكون الاتجاه ثوريًّا، والخطوات إصلاحية.*

أستطيع فقط أن أقول إنني لا أعتقد أن شيئًا يشبه الثورات - التي نقرأ عنها في كتب التاريخ الدراسية، أو التي نتمنى أن تحدث في أمريكا الجنوبية - يمكن أن يكون مساعدًا للدول الصناعية.

(2) رأسمالية أم اشتراكية؟ بينما قد تكون هناك سياسات اقتصادية تسمى - للتسهيل - رأسمالية، ولكن نادرًا ما تجد أي أيديولوجية سياسية رأسمالية، بينما على النقيض، تكون أقرب إلى الاشتراكية.. ولكن هل هي تهتم بشكل كاف بالطبيعة، بدلا من اهتمامها بالبيروقراطية الخاصة؟

(3) هل لها علاقة بالشيوعية والفوضوية؟ وبشكل تقريبي.. يبدو أن مؤيدي حركة البيئة العميقة يتحركون أكثر في اتجاه عدم العنف الفوضوي، أكثر من اتجاه الشيوعية؛ فالفوضويون المعاصرون المؤيدون لعدم العنف هم أقرب إلى الاتجاه الأخضر للمثلث السياسي. ولكن مع تزايد الضغط السكاني البشري الضخم والمتضاعف والحرب، أو ظروف الحرب - في أماكن كثيرة - يبدو أنه من الحتمي الاحتفاظ ببعض المؤسسات السياسية المركزية القوية إلى حدٍّ ما. والتوصيات مثل تلك المتضمنة في *الإستراتيجية العالمية المحافظة على البيئة* (1980) هي خطوات على الطريق الصحيح. وتقترح الخبرة أنه كلما ارتفع مستوى تقرير المصير المحلي، ازدادت قوة السلطة المركزية؛ لكي تتجاوز التخريب المحلي للسياسات الخضراء الأساسية. أم أن هذا تشاؤم شديد؟ على أي حال.. فإن المدن الفاضلة الخضراء، مثل تلك الخاصة بسيجموند كفالوي ، ويوهان جالتونج، وإيريك دامان (المستقبل في أيدينا)، وإدوارد جولد سميث (مخطط البقاء)، وإرنست كالينباتش (المدينة البيئية الفاضلة)، ومثل المدينة الفاضلة «*بانتشايات*» لغاندي، تركز على كيفية جمع الحياة في الجماعات الخضراء، مع الاهتمام بحمايتها من قوى التمزق والعنف، التي من المحتمل أن تستمر لبعض الوقت على هذا الكوكب.

(ب) الاشتراكية والفلسفة البيئية

يوجد النقد الأكثر قوة والأكثر تنظيمًا للرأسمالية في الكتابات الاشتراكية، وذلك يجعل من الطبيعي بالنسبة لمؤيدي حركة البيئة العميقة أن يستخدموا النقد الاشتراكي للرأسمالية في عملهم الخاص، و يتضح فور النظر إلى شعارات الأحزاب الخضراء أن كثيرًا من هذه الشعارات هي أيضا اشتراكية، أو على الأقل منسجمة مع بعض أنواع الاشتراكية، مثل : لافردية عدوانية مفرطة، والتخصيص، والجماعة، والإنتاج للاستخدام، وفروق الدخل المنخفض، والإنتاج المحلي للحاجات المحلية، والتدخل المشارك، والتضامن.

على الجانب الآخر.. فإنه من الواضح أيضًا أن بعض الشعارات الاشتراكية التي مازالت تسمع ليست متوافقة، مثل: زيادة الإنتاج للحد الأقصى، والمركزية، والطاقة المرتفعة، والاستهلاك المرتفع، والمادية.

وتاريخيًّا، كان هناك انتقال بين كثير من الناس من مواقف تقليدية اشتراكية لمواقف بيئية، وكثير من الذين هم من أكثر مجموعات العمل اعتمادًا على الذات، ولهم توجهات نحو العمل المباشر، لديهم خلفية في الاشتراكية (سواء مكتسبة عن طريق التعليم أو الممارسة). ومن الواضح أنه مازال بعض هؤلاء من البارزين - الذين يعملون من أجل الأهداف البيئية - يأتون من المعسكرات الاشتراكية.

وأحد أوجه الشبه بين الاتجاهات الاشتراكية والاتجاهات البيئية في السياسة، هو تأكيد العدالة الاجتماعية، والتكلفة الاجتماعية للتكنولوجيا. والسؤال الأساسي المثار في الاشتراكية الموجهة بيئيًّا هو: ما التبعات الاجتماعية لسياسة بيئية محددة؟ ما التكلفة الاجتماعية للمنتجات التي تلوث البيئة؟ وكيف ينبغي للتكاليف الاجتماعية إلى حد ما أن تتكامل مع تكاليف السوق؟

على الجانب الآخر.. هناك استخدام لمصطلحي: «الشعب» و«المجتمع»، وهي خطيرة في السياسة البيئية، إذا قيل إن المجتمع أو الجماعة يجب أن يكون لديه تحكم في وسائل الإنتاج. وتطبق هذه المصطلحات بحيث لا يكون التحكم للمجتمع أو الجماعة، ولكن لسياسيين معينين، أو لوحدات إدارة مركزية تقرر بالنيابة عن الجماعة. (ويجعل استخدام مصطلح «الجماعة» في هذا السياق شعارات الاشتراكية أكثر قيمة.)

وتشير المدن الفاضلة للمجتمعات الخضراء إلى نوع من الديمقراطية المباشرة، يتحكم محليًّا في وسائل الإنتاج، كأفضل طريقة لتحقيق الأهداف.

وبسبب غموض المصطلحات.. فقد يكون هناك شيء من التناقض في القول بأن الموقف البيئي المتخلف في أوروبا الشرقية غير مرتبط بالموضوع الاشتراكي- الرأسمالي. وفي كثير من النقاط، فإن هذه الدول لا ينظر إليها على أنها دول اشتراكية حقًّا.. لقد كانت هناك محاولة لذلك ولكنها فشلت. وقد يجد مؤيدو حركة البيئة العميقة - على أي حال - بعض التأكيد على اتجاهاتهم المعادية للبيروقراطية، بالنظر إلى أوروبا الشرقية. ولكن على الأقل في الاتحاد السوفييتي، فإن المشكلات التي يجب أن تواجهها الحركات البيئية لا تختلف عن مشكلاتنا، وقد كتب بوريس كوماروف (1980) عن جلسات الاستماع الرسمية بشأن مستقبل بحيرة بايكال قائلًا:

في أحد الاجتماعات، بدأ أكاديمي متقدم في السن يصرخ فينا: «ولكن لماذا نأخذ هذا الموقف بشأن «بايكال» هذه؟ فلنلوثها إذا أردنا. لدينا الآن طاقة نووية، وإذا كان علينا لاحقًا أن نفعل، فمن الممكن بسهولة أن نصنع حفرة ونملأها بالماء، وهذا هو كل شيء. سنصنع بايكال مرة أخرى.» وقد تردد هذا الهراء تحت قباب الأكاديمية العلمية، ولكن قباب معبدنا العلمي لم تنهار،

بل إن أحدًا لم يطارد هذا الأكاديمي الخرف. واستمر الاجتماع واستمر الهجوم علينا، وأكرر أن ذلك كان وقت لي الذراع الحقيقي... (صفحتي: 8-9)

(11) البيروقراطية

هذا يقودنا إلي موضوع البيروقراطية.. في البلاد الرأسمالية المختلطة أو النقية، هناك فرق بين مبادرة خاصة ومبادرة عامة؛ حيث تتضمن المبادرة العامة تحديات من خلال البيروقراطية. في المجتمعات السياسية البيئية السليمة، سنحتفظ بمصطلح «مبادرة» كمصطلح إيجابي جدًّا، ولكنها ستكون مبادرة شخصية وليست مبادرة خاصة، وزيادة المبادرة الشخصية للحد الأقصى ستكون أحد المعايير، وهذا يعنى الحرب ضد الأبعاد البيروقراطية؛ مما يمثل صعوبة، تمامًا كما في المجتمعات الرأسمالية. وتبدو الاشتراكية هنا في موقف ضعيف؛ لأنه عندما يقال أن الشعب يجب أن يحكم، فإن ذلك غالبا ما يعنى ضرورة تبني الحكومة لكثير من المواضيع والتي تقررها كل شخص، أو أسرة، أو جماعة صغيرة في المدن الفاضلة الخضراء. وأحد المظاهر الصامتة للنقد الاشتراكي في أوروبا أن – في الوقت الحالي – هناك كثيرًا جدًّا من الاجتماعات التي عقدت، والقرارات التي اتخذت *من أجل* الشعب، وليس عن طريق الشعب.

ثم هناك مصطلح «القانون»، الذي هو من العوامل التي تنتقص من الرأسمالية– من كتابات المدن الفاضلة الخضراء؛ حيث يأخذ المرء انطباعًا بأن مؤيديها لا يخافون من القانون. وهذا يشير مرة أخرى إلى أهمية المبادرة الشخصية: ويمكن خفض القوانين للحد الأدنى، عن طريق جعل المعايير *معايير داخلية خاصة* (انظر الفصل الرابع).

والنقطة الرئيسية هنا هي أننا نحتاج إلى تغيير في العقلية؛ بما يجعل كثير من القوانين غير ضروري، ولكن سيكون هناك – على أي حال – خطر

تضاعف القوانين في المجتمع الأخضر: دعنا نرى ماذا يجعل القوانين تزداد في مجتمعنا: لدينا كثير جدًّا من القوانين الدقيقة لكل موقف صغير أو مشكلة، بدلًا من قانون ذي مدى أوسع يغطي مواقف أكثر بطرق كلية ومتكاملة. وهناك قليل من القوانين في نظامنا الحالي، التي يمكن أن نجعلها داخلية كمعايير. ونحن في حاجة إلى هذا، مع عمق أكبر في القصد ونوعية أساسية أكثر.

وينظر باحثو النظريات مثل نيلس كريستي إلى الموضوع - من الناحية التاريخية - ويبين كيف أن الجماعات المحكمة في القرن الماضي حلت مشكلة القوانين.. لقد تم حل المشكلة عن طريق التفاعل اليومي البسيط داخل الجماعة الصغيرة. لا يتعلم الأطفال فقط في المدارس، أو من والديهم، ولكنهم يتعلمون من الفرد في الجماعة. وبهذه الطريقة.. فإنهم أيضا يتعلمون المهارات، التي سيحتاجون إليها لبقية حياتهم. إذا كان هناك كثير من شرب الخمر، فسوف يقوم أعضاء الجماعة فورًا بجعلها مسألة بغيضة للمتجاوزين داخل الجماعة، ولكن أيضا إذا كان هناك قليل جدًّا من شرب الخمر، فقد يكون هناك بعض الضغط. ومن هنا نجد أن هناك قليلًا من تدخل الشرطة وقليلًا جدا من العنف داخل الجماعة، كما أن هناك ضغطًا في اتجاه الانسجام، «العنف التركيبي»، الذي لا يمكن تحمله في المجتمع الأخضر، وهو يقلل كلًّا من المبادرة الشخصية، وتقرير المصير. وطبقًا لكريستي، يجب أن نجد طريقة بين قيود التقاليد والفوضى الكاملة، التي لدينا الآن في المدن الكبيرة.

كيف سنقوم بعمل ذلك؟ إن الإجابة من «خلال التعليم الأخضر» هي إجابة غير مقنعة؛ لأنه إذا كان المقصود تعليمًا رسميًّا، فإننا نعرف أن هذا لم يعد عاملًا قويًّا للتغير، وإذا كان المقصود تعليمًا غير رسمي.. فكإننا لم نفعل شيئًا (پيپر، 1984، ص. ff215).

إن المصطلح الذي يجدر بنا تذكره هنا هو «عالم الطبيعة»، (الذي ينادى بالمذهب الطبيعي) بمعناه الأصلي والرومانسي العميق (سيشنز وديفال، 1984، ص.ff79).. إننا لا نشرك معلمين كما نعرفهم اليوم، ولكن بدلًا من ذلك نشرك أشخاصًا، حتى لو كانوا أقلية صغيرة قاموا بجعل معايير البيئة العميقة معايير داخلية خاصة ، وأكثر مركزية في التعاملات اليومية للجماعات. وهنا يستطيع المنادون بالمذهب الطبيعي بضربهم المثل الفعلي أن يجعلوا الناس يدركون أشياء، لم يفكروا فيها من قبل، ويساعدون بذلك في جعل المعايير داخلية لعدد أكبر من السكان.

وباختصار.. هناك بوضوح أشياء في السياسات الرأسمالية والاشتراكية، يمكن تعديلها واستخدامها في السياسة البيئية السليمة، ولكن السياسات الخضراء بصفة أساسية هي شيء مختلف تمامًا.

(12) حركة البيئة العميقة وحركة السلام

في أوائل السبعينيات، لم يكن من الممكن تحقيق التعاون الوثيق بين مؤيدي البيئة العميقة ونشطاء حركة السلام . وفجأة تغير هذا الموقف تمامًا، فالحرب النووية ستكون كارثة بيئية، والكوكب لا يستحق هذه المعاملة. ليس هناك شكل من أشكال الحياة – فيما عدا شكل واحد – يهتم بشكل حيوي بالأيديولوجيات السياسية المختلفة أو تنافسات القوى الكبيرة. والمستوى الحالي للتسليح – مع نموه المتضاعف – هو عبء ثقيل بيئيًّا، وهناك عامل غالبًا ما يتم إغفاله، وهو إساءة المعاملة أو حتى التعذيب، لملايين الحيوانات في تجارب تتضمن إشعاعًا نوويًّا. تعيش هذه الحيوانات، وتموت في حرب نووية اليوم (قد يبدو هذا التفكير سخيفًا في الوقت الحالي في مواجهة الرعب البشري للعالم النووي، ولكن بعد عشر سنوات أعتقد أن هذا التفكير سيكون عاديًا).

وبعضنا - مثلي شخصيًّا - يؤيد نزع السلاح من طرف واحد، وتأسيس دفاع عدم العنف (نايس c1986). ولكن سياسيًّا، فإنه ليس من الواقعي تمامًا في دول حلف شمال الأطلنطي NATO أن تعمل على الخروج من حلف شمال الأطلنطي، وعلى أي حال.. فإن هذا غير ضروري. إن الوثائق الأساسية للحلف تضعه كمنظمة دفاع، دون أن تكون هناك فقرات ضد دفاع عدم العنف، والأكثر واقعية - سياسيًّا - هو تقديم تدريجي لمقترحات غير نووية ومؤيدة لعدم العنف داخل الناتو.

ولقد كان من المهم سياسيًّا توضيح أن الحملة غير النووية الناجحة جدًّا (كجزء من حركة السلام) هي حملة محددة ومحدودة، ولا يجب أن يحاول مؤيدو نزع السلاح - أو السياسات غير النووية من أنواع متنوعة - إجبار الحملة على التوسع أو تغيير هويتها. وقد يشارك المرء في عديد من الحملات، ولكن المحاولات المتكررة لتغيير الحملة غير النووية؛ لكي تغطي أهدافًا أخرى خطيرة سياسيًّا، تؤدي إلى صراعات مدمرة بين مديري الحملات.

(13) البرامج السياسية الخضراء من يوم لآخر

نحن في حاجة إلى الاتفاق على مدينة فاضلة محددة، ولكن يجب أن نصيغ برامج محدودة، ذات أولوية سياسية، داخل إطار عمل الصراعات السياسي الحالي. وتأتي الأسئلة على نحو «ماذا يمكن أن يكون الخط/الأكثر خضرة في السياسات، في الوقت الحالي، داخل القضية «س»، وكيف يمكن أن نثيره؟» بدلًا من «ماذا سيكون الخط الأخضر العميق للسياسة داخل القضية «س»؟»، والأخضر هو فاعل ومقارن، وليس مطلقًا أو مثاليًّا أبدًا.

قد يكون المصطلح «التطوع السياسي» مفيدًا في هذا السياق - كشيء يجدر بنا أن نحذر منه. إنه مصطلح يميز النشاط السياسي، الذي يجعلك

تعتقد أنك تستطيع بسرعة أن تفرض تغييرًا عميقًا في المجتمع بقوة الإرادة المحضة، من خلال العمل المباشر. لقد استخدمه، على سبيل المثال، النقد الماركسي للطلاب المشتركين، فيما يسمى بثورة الطلاب في أواخر الستينيات. قال بعض الماركسيون إن الجامعات هي مؤسسات، تقوم على الهامش: «القوة داخل الجامعات لا تؤخذ في الاعتبار، و*الرغبة* في تغيير المجتمع بقوة الطلاب هي هراء؛ لذا يجب أن تكون لديك قاعدة للنشاط أكثر اتساعًا وأكثر واقعيةً». وفي ظل هذا المعنى، فإن التطوع السياسي هو نوع من الوهم الرومانسي.

نعود إلى مشكلة مزج المثُل الأساسية للسياسة البيئية والصراعات السياسية اليومية؛ من أجل مكسب أخضر محدود؛ فالمثال التالي يوضح هذا الموقف المعقد بصورة أكبر:

توجد مشكلة طاقة في النرويج والسويد، ولكنها أساسًا مشكلة كيفية خفض النفايات الهائلة للطاقة. إنها مشكلة كيف نحد من استخدام الطاقة؛ لتستخدم بصفة أساسية في الحاجات الحيوية. ومن وجهة النظر الخضراء، فإن المستوى الحالي من الاستهلاك السنوي هو أكثر من الكافي لأي احتياجات. وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض مؤيدي السياسات الخضراء يشاركون - ويجب أن يشاركوا - في مناقشات تتعلق بأي مصدر من مصادر إمداد الطاقة المتزايد، له أقل تبعات ضارة اجتماعيًّا، وبظروف الحياة بشكل عام، والموقف إلى حد ما مربك: فالخضر مدفوعون إلى تعزيز قرارات يكرهونها. وطالما أننا نوضح باستمرار أن أي زيادة في إنتاج الطاقة هي زيادة غير ضرورية وضارة.. فإن المشاركة في النقاش بخصوص كيف نزيد الطاقة بأقل تأثير ضار هي مناقشة مهمة، ولها ما يبررها. وفي الوقت الحالي، يجب نشر سياسات تثبيت وخفض إنتاج الطاقة بقوة، ولكن -

سياسيًّا - هذه السياسات ميتة، أو في بيات شتوي، ولا توجد هناك أي فرصة - في الوقت الحالي - لتبني مقترحات هذه السياسات، على أن تتجنبها الأحزاب القائمة. وحاليًا، تدعو الخطط السياسية القوية إلى زيادة إنتاج الطاقة حتى عام 2020، محتفظين بالإنتاج المهدر لصناعة الألومونيوم. والحزب الأخضر - على أي حال - يتبنى التثبيت أو الخفض كبرنامج، حتى ولو كان ذلك سيحد فورًا من عدد الأصوات.

«كل شيء يتعلق معا» هذا شعار جيد، وإحدى تبعات العلاقات المتبادلة، هي أننا جميعا ستكون لدينا القدرة على عمل شيء له علاقة، داخل إطار عمل اهتماماتنا الخاصة وميولنا. والحد السياسي البيئي طويل بشكل ضخم، ولكننا نستطيع فقط أن نعمل بشكل فاعل في مكان واحد، في الوقت نفسه.. إنه أكثر من طويل.. إنه متعدد الأبعاد، ونستطيع أن نشعر بالانجذاب للقطب الأخضر في كل مواقفنا السياسية.

(14) ملاحظات ختامية

(1) ترسم المدن الفاضلة الخضراء صورًا وطرقًا للحياة، تعبر عن كيف يود الناس في حركة البيئة العميقة أن يروا المستقبل. وإذا كان بالصور تفاصيل كافية، فإنها تتضمن مؤسسات سياسية. وفي التفكير الخاص بمستقبل ظروف الحياة على الكوكب، فإن هناك أسئلة ذات هيكل سياسي لا يمكن تجنبها.

(2) ويختلف ذلك عن تصوير المدن الفاضلة، ولكن ليس بشكل مستقل عنها تمامًا، إذ نجد أن التفكير البيئي يركز على كيفية التحرك في اتجاه المدن الفاضلة.

(3) بالنسبة للحركة الضحلة أو حركة الإصلاح البيئية، فإن القضايا السياسية الرئيسية مختلفة - بشكل بارز - عن تلك الخاصة بحركة

البيئة العميقة؛ فالمهمة بالنسبة للأولى هي أساسًا «هندسة اجتماعية»، وتعديل السلوك البشرى من خلال قوانين وقواعد، قامت وزارات وإدارات البيئة بوضعها؛ من أجل الرفاهية قريبة المدى للبشر.

(4) تُرَى حركة البيئة العميقة السياسات الحالية غير البيئية، كتبعات لازمة أساسًا لأولويات اجتماعية واقتصادية، ولطرق الإنتاج والاستهلاك، والتغيرات البارزة فقط هي التي ستجعل أهداف الحركة قابلة للتحقيق؛ وذلك يعني تغييرات عميقة، ذات أولويات سياسية، ومن الممكن أحزاب خضراء جديدة.

(5) أفرز التفكير السياسي البيئي في أوائل السبعينيات عددًا كبيرًا من الأهداف الملموسة، محددًا خطوات على الطريق لمجتمع أخضر فيما بعد، وإذا نظرنا إلى الخلف خمسة عشر عامًا، سنجد أن معظم هذه الأهداف ما زال يمكن اعتباره أهدافًا مهمة، وأنه قد تم اختيارها بشكل جيد. ولكن لا يوجد حزب مؤسس في أي مكان اقتنص الفرصة لإدماج هذه الأهداف في برنامجه. وقوة الحركة لتحقيق هذه الأهداف أقل بقليل، مما كانت عليه في الحقبة الماضية، ولكن جمود سياسات النمو المادي القديمة يعوق التغيير.

(6) يبدو أن ظروف الحياة يجب أن تسوء بشكل ملحوظ، قبل أن يتم تعديل الأهداف التي صاغتها الأحزاب السياسية الرئيسية.

(7) «ليست هناك نقطة اللا عودة»، وهذا ينطبق على إمكانة إيقاف التدمير السريع لظروف الحياة على الكوكب، ولا ينطبق على عدد كبير من التدمير مثل أمطار الغابات.. إلا أنه ينطبق - كذلك - على تنوع ضخم وثرى لأشكال الحياة والطبيعة. والنشاط السياسي الأخضر هو أحد الأصول، التي يجب أن نعتمد عليها.

الفصل السابع

الفلسفة البيئية T : الوحدة وتنوع الحياة

ولمواجهة المشكلات البيئية المتزايدة، كشفت الحلول المقترحة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات عن اتجاهين، الأول كان يفترض فيه أن المنهج التدريجي داخل إطار العمل المؤسس الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي منهج ملائم، والآخر الذي ينادي بالفحص الدقيق للعلاقة بين الإنسان والطبيعة والتغيرات الأساسية، التي قد تؤثر على كل مظهر من مظاهر الحياة البشرية. والاتجاه الأخير هذا، الخاص بحركة البيئة العميقة، يتضمن كلًا من القرارات الملموسة في الصراعات البيئية وخطوط إرشادية مجردة ذات صفة فلسفية.. إنها ليست مجرد فلسفة لـ «الإنسان - الطبيعة».

في الفصول السابقة، تم تناول عدد كبير من المشكلات، وهي أساسا المشكلات: التكنولوجية، والاقتصادية، والسياسية. وقد تم أخذ القواعد الأساسية في الاعتبار، وعلى وجه الخصوص التباين بين التفكير الخاص بالمذهب الذري والتفكير الجشتالتي، ويبقى تناول عدد من القضايا الفلسفية، وأيضا التناول السريع للخلفية الدينية لتفكير الإنسان-الطبيعة في الغرب. ويجب أن تكون المعالجة شخصية - بشكل أكثر - بمعنى تناول مظاهر محددة للفلسفة البيئية الخاصة بي، الفلسفة البيئية T، ولكن ليس الغرض الإشارة إلى وجهة نظري المحددة بتفصيل خاص. وقد قيل الكثير

بالفعل، دون ربطه بالهيكل المنطقي للفلسفة البيئية T، والهدف الرئيسي كما ذُكر في الفصل الثاني، هو تأكيد مسئولية أي شخص متكامل لأن يكون رد فعله - تجاه المشكلات البيئية المعاصرة - *على أساس من الرأي الكلي*.

وينقسم الفصل إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول سيوضح فكرة تحقيق الذات من خلال المماثلة، وبذلك يربط تعايش الفرد مع تعايش الكوكب كله، والجزء الثاني يعالج بشكل تخطيطي، بعض ما سبق من معالجة للفلسفة البيئية من الناحية الدينية في الغرب ومن ناحية تاريخ الأفكار، والجزء الثالث يقدم عرضًا منظمًا موجزًا للمعايير الأساسية، الأكثر منطقية في الفلسفة البيئية T.

(1) الحق العالمي لتطوير الذات والقيمة الجوهرية المتلازمة لكل أشكال الحياة

(أ) *تربط الفلسفة البيئية الحياة كلها والطبيعة كلها معًا*

تقترح تعبيرات «أن يكون لديك منزل»، و«أن تنتمي»، و «أن تعيش» - وكثير من التعبيرات الأخرى المماثلة - عوامل محيط أساسية متضمنة في تشكيل شعور الفرد بالذات واحترام الذات. وتنمو هوية الفرد «إنني شيء ما»، من خلال التفاعل مع صور واسعة، عضوية وغير عضوية. ولا توجد «أنا» منعزلة تمامًا، كما لا توجد وحدة اجتماعية منعزلة.

وبعد المرء بذاته عن الطبيعة و«الطبيعي» هو إبعاد الذات عن جزء تتكون منه «الأنا». وهويته، «ما يكونه الفرد» وبذلك يتحطم الشعور بالذات واحترام الذات. وتلعب بعض عوامل المحيط، مثل: الأم، والأب، والأسرة، وأول رفقاء للشخص، دورًا رئيسيًا في تنمية «الأنا»، ولكن كذلك يفعل المنزل والبيئات المحيطة بالمنزل.

ويزودنا البحث البيئي والنفسي بدليل ساحق عن علاقة ذاتنا، التي تم تطويرها تدريجيًّا، بتنوع لا يقدر مع ثراء الظواهر الطبيعية، ليس فحسب بشكل سائد مع الحياة في المجال البيئي، ولكن أيضا مع الطبيعة غير العضوية. ويميز الطفل بالغ الصغر تدريجيًّا أمه عن بقية الأشياء المحيطة به، ويُركز مشاعر إيجابية حول العلاقات والسياق معها. ويقوم «الطفل في مراحل النمو»، المؤيد للمذهب الطبيعي، بمد هذا الشعور الإيجابي؛ ليشمل كل الطبيعة من خلال إحساسه أن كل شيء مترابط معًا.

ويمكن لمأساة قاسية أن تحطم - بشكل طبيعي - هذا التطور المخطط بشكل غامض، مثل : فقد الأم، وهناك الخسائر المتكررة وإنكار الذات فيما بعد. ويتلقى تحقيق الذات لطمه يمكن أن تؤدي إلى اتجاه عدائي نحو كثير من الأشياء، وحتى نحو كل شيء: دافع مدمر موجه لكل العالم والوجود. وهناك أمثلة كثيرة لذلك، ولكن النقطة الأساسية هي أن التطور ليس بالضرورة تقدميًّا، وتنشر الظروف المؤيدة لتحقيق الذات إشعاع المشاعر الجيدة لطبيعة أكثر فأكثر.

في هذا الفصل، تم توضيح اتجاه إيجابي أساسي في شكل فلسفي، ولم نقم بذلك لكسب تأييد، ولكن لتقديم فرص جديدة للتعبير عنها بالكلمات لمن يشعرون بالألفة مع هذه الفلسفة؛ وذلك ضروري حتى يولي المجتمع والسياسيون اعتبارًا لأسلوب الحياة، الذي هو نتيجة طبيعية لهذه الفلسفة.

(ب) *تطوير الإمكانات حق*

أن نقول إن هذا النظام عادل والآخر غير عادل، فذلك يعد تفكيرًا قديمًا، ولم يكن مقصورًا أبدًا في التطبيق على البشر؛ فالشخص يمارس العدالة أو عدم العدالة تجاه النباتات والحيوانات أيضا. ونجد هذه

الأفكار معبر عنها فلسفيًا في المنهج الأحدث المسمى «حقوق الطبيعة»، والتي خلال العصور المتعددة، كان يتم التعبير عنها بشكل ديني وتصوفي. والنباتات والحيوانات أيضًا لها الحق في التطوير وتحقيق الذات.. إن لها *الحق في أن تعيش*.

ما الحق *في أن تعيش*؟ غالبًا ما يكون التعريف اعتباطيًا، ويتغاضى عن المكون الخيالي. والتعريف الجيد، بحسب التعريف، هو الذي ينقصه العامل الخيالي، ولكن الجمل التي بها العامل الخيالي مازالت مطلوبة اليوم. والنزعات العلمية والفلسفية للعبارة يمكن بسهولة أن تهمل مصادر مهمة من المعنى والإعجاب العام. وتعتبر جملة «كل الكائنات هي أساسًا واحدة» مثالًا جيدًا للجملة التي لها وظيفة خيالية، ولكنها أيضا قد تحكَّم في اتجاه نظرية، يمكن اختبارها أو ذات اتجاه معياري. وبينما لها استخدام إدراكي أو معرفي، فإنها أيضا مرتبطة في – الوقت نفسه بشكل أو بآخر – بالمفهوم الخيالي لنظام عادل أو غير عادل في العالم. وفي بداية الستينيات، شعرت ريتشيل كارسون، المعارضة لتسميم الطبيعة، باستخدام كل أشكال التعبير العلمية «الخيالية». كما أنها شعرت بأن الجنس البشري ليس *له الحق* في أن يدمر الطبيعة، ولا يوجد لنا مبرر لمجرد كوننا «قطرات في نهر الحياة»، بأن نسمح لأنفسنا بأن نفعل ما نشاء «في خلق الله».

نحن جزء من الطبيعة؛ ولذلك، فإننا لا نستطيع أن نفعل بها ما نشاء، دون أن نغير أنفسنا. يجب أن نبدأ بأن نرى ما نفعله بأنفسنا، عندما نقول «نغير فقط الطبيعة الخارجية». نحن جزء من العالم البيئي بشكل وثيق، كما أننا جزء من مجتمعنا الخاص. ولكن قد يكون التعبير «قطرات في نهر الحياة» مضللًا، إذا كان يعنى أن فردية القطرات تفقد في النهر. وهذا جسر صعب السير فيه: إلى اليسار لدينا المحيط من وجهات النظر العضوية والتصوفية، وإلى اليمين هاوية الفردية الشديدة الصغر.

(جـ) الحياة كعملية تاريخية رحبة

يخبرنا التاريخ الجيولوجي لعالمنا بتغييرات هائلة: ارتفاع سلاسل الجبال، وعوامل التعرية المستمرة، والحركة البطيئة للقارات. ومن بين هذه العمليات الضخمة في الوقت والمكان، الأقرب لنا: تطور الحياة التدريجي. إن البشر الذين يرغبون في الوصول إلى المنظور الأقصى لفهم ظروفهم الكونية، نادرًا ما يستطيعون أن يحجموا عن الشعور بالفخر في المشاركة الحقيقية في شيء أكبر - بشكل هائل - من مستقبلهم الفردي والاجتماعي. ويكشف علم دراسة الحياة قبل التاريخ Palaeontology عن المراحل المتنوعة في التطور: اتساع الحدود إلى حيث يمكن للحياة أن تزدهر ، وتأسيس كثير من الاحتمالات للحياة في البيئة غير العضوية، وتطور النظام العصبي الذي وصل إلى قمته في عَقْل الثدييات.

وتترك الدراسة الكاملة انطباعًا بأن تطور الحياة على الأرض هو عملية متكاملة، على الرغم من التنوع والتعقد المتزايد، ويمكن مناقشة طبيعة وقصور هذه الوحدة. ومع ذلك، فإن هذا ظل شيئًا أساسيًا. «الحياة هي في الأساس واحدة».

الجنس البشرى الآن *Homo Sapiens* - بشكل متفرد - مجهز جيدًا لفهم هذه الوحدة في ضوء النقص البشري المفرط في التخصص البيولوجي، فيدُنا هي مجرد «بدائية»، بمعنى غير متخصصة، مثلها في ذلك مثل تلك الخاصة بالسحلية، وأكثر بدائية بكثير من حوافر الحصان أو مخالب النسر، *وقشرة المخ* هي العامل الحاسم؛ فهي تضطلع أكثر وأكثر بأنشطة غريزية، وتسمح لنا بأن نقترب من حالة عدم التخصص لكتلة من البروتوبلازما (المادة الحية في الخلية). وافتقارنا إلى مكان بيولوجي محدد نسميه منزلًا، يجعلنا نشعر أننا بالمنزل في كل مكان، ونستطيع أن

نتعاطف مع *كل* أشكال الحياة الأكثر تخصصًا. ولم يتم تقدير القيمة التعليمية لعلم الوجود بالمعنى الكامل بعد، ولكننا ستراها في المستقبل كأكبر من مجرد اهتمام بالتطور، وببعض الديناصورات المثيرة للإعجاب.

الطريقة التقليدية للتعبير عما هو مشترك في كل كائنات الحياة - وبصفة عامة كل أشكال الحياة - هي للإشارة إلى كفاح أساسي، وهو الخاص بحفظ الذات. وعلى أي حال، فإن هذا المصطلح مضلل؛ من حيث إنه لا يأخذ في الاعتبار ديناميكيات التوسع والتعديل. هناك ميل إلى تحقيق *كل* إمكانية للتطور؛ لاكتشاف كل إمكانات التغيير داخل إطار عمل الكائنات، حتى تتجاوز حدودها. ويتحدث علم دراسة الحياة قبل التاريخ عن «الغزو» أو «التوسع» من البحر، إلى الأرض والهواء، وتطور المساعدة المتبادلة.

وفي ضوء سلبية الدفاع التي يقترحها مصطلح المحافظة على الذات، فإنني أفضل مصطلح تحقيق الذات أو تطوير الذات. وتاريخيًّا أرجع هذا المفهوم إلى سپينوزا *perseverare in suo esse*، حين أشار إلى المحافظة من قبيل الشخص بطريقته الخاصة على وجوده، وليس على مجرد البقاء على قيد الحياة. وتركز الفلسفة البيئية بصفة خاصة على سمات التطور العام؛ حيث إن الحياة - بشكل عام - تتضمن «التطور الخلاق» (بيرجسون)، والتوسع المستمر للمحيط البيولوجي، من البحر الفاتر المريح، إلى البحار الضحلة للمحيطات وينابيع الماء الساخن المتبخرة. إن ظهور الوعي البيئي البشري هي فكرة فلسفية مهمة، قد تطور شكل الحياة على الأرض.. تلك الأرض، القادرة على فهم وتقدير علاقاتها مع كل أشكال الحياة الأخرى، ومع الأرض ككل.

(د) الحق العالمي في العيش والازدهار

إن حق كل أشكال الحياة في أن تعيش هو حق عالمي لا يمكن قياسه. لا يوجد كائن واحد من الكائنات الحية له حق أكثر في العيش والتطور من أي من الكائنات الأخرى، وربما لا تكون أفضل طريقة إن نقول إن هناك حقًّا *متساويًا* لكل أشكال الحياة في أن تطور قدراتها المحددة، وتقترح «المساواة» نوعًا من القياس الذي يكون مضللًا.

من وجهة نظر الفلسفة التحليلية، فإن المصطلح «حق»، مثل كثير من المصطلحات الأخرى المستخدمة في الحياة اليومية: «حقيقة»، «إثبات»، «واجب»، «القيمة في حد ذاتها»، هو مصطلح إلى حد ما مثيرًا للريبة. هل له أي معنى يمكن توضيحه؟ هل هو مجرد مسألة قوة إجبارية، عندما يقول شخص إنه ليس لدينا الحق أن نفعل كذا وكذا؟ لا أعتقد ذلك. فعندما استخدم المصطلح، لا افترض أن له معنًى قابلًا للصياغة، بقدر ما هو أفضل تعبير وجدته حتى الآن لحدس، أكون غير قادر على رفضه بكل الجدية. ولكنني أقبل تمامًا أن يتجنب بعض الفلاسفة البيئيين المصطلح، وأنصح البعض أن يفعلوا الشيء نفسه.

عندما نحاول أن نحيا من خلال علاقتنا بالكائنات الحية الأخرى – طبقًا لهذا *المبدأ الخاص بالحقوق المتساوية* لكل الكائنات الصديقة – تثار بالطبع بعض الأسئلة الصعبة (ذلك يحدث دائمًا عندما تتم ممارسة فكرة معيارية في المراكز المهمة الرئيسية لنظام معياري). إنه يقترح التوجيهات لسلوكنا، ولكنه لا يقرر أي شيء عن سلوكنا، وتكون معايير إضافية ونظريات، على سبيل المثال، ضرورية كمقدمات منطقية؛ من أجل اشتقاق معيار أن القتل ينتهك الحق. وأن نعامل كل شيء بالطريقة نفسها على أنه لا يعد نوعًا من المعايير غير المشروطة التي يمكن عزلها. إنه فقط

جزء من نظرة كلية. ويحتل إدراكنا للظروف الفعلية التي نعيش حياتنا الخاصة في كنفها - أي «نظرية» معينة - مكانًا مرتفعًا في مستوى النظرة الكلية المنظم، الذي يجعل من الواضح جدًّا أننا يجب أن نجرح ونقتل، أو بمعنى آخر تمنع تطوير الذات للكائنات الحية الأخرى بشكل فعلي. والحق المتساوي لتطوير الإمكانات كمبدأ ليس معيارًا عمليًّا للسلوك المتساوي، نحو كل أنواع الحياة.. إنه يقترح توجيهات تحد من القتل، وتحد - بشكل عام - من إعاقة تطوير الإمكانات.

يجادل الكثيرون في أن الكائنات الحية يمكن أن تصنف وفقًا لقيمتها الجوهرية النسبية. وعادة ما تعتمد ادعاءات القيمة المصنفة على واحد أو أكثر من الآراء الجدلية الآتية:

(1) إذا كان لكائن روح أبدية، فإن هذا الكائن يكون ذا قيمة جوهرية، أكبر من آخر له روح محدودة الوقت أو لا روح له.

(2) إذا كان الكائن يستطيع أن يعقل، فإن له قيمة أكبر من الآخر، الذي ليس لديه عقل أو غير عاقل.

(3) إذا كان الكائن واعيًا بنفسه وبإمكاناته في الاختيار، فإنه يكون ذا قيمة أكبر من الآخر، الذي ينقصه هذا الوعي.

(4) إذا كان الكائن من الحيوانات العليا بالمعنى التطوري، فإنه ذو قيمة أكبر من الذين، هم في المستوى الأسفل من المقياس التطوري.

وحسبما أرى، لا توجد واحدة من وجهات النظر هذه قد تم تبريرها أساسًا، فهي قد تبدو منطقية من أول نظرة، ولكنها تتلاشى بعد التفكير والمواجهة مع الإدراك الحدس الأساسي لوحدة الحياة والحق في الحياة والازدهار.

وأحيانًا يقودنا الرأي القائل بأن شكلًا من الحياة أعلى من آخر للجدل بأنه كلما كان الكائن أكثر قيمة، كان له الحق أن يجرح ويقتل الأقل قيمة. وهناك منهج مختلف وهو تحديد تحت أي ظروف، يكون من المبرر مطاردة وقتل كائنات حية أخرى. وقد نتفق على قواعد تتضمن سلوكًا مختلفًا تجاه أنواع مختلفة من الكائنات الحية، دون أن ننكر أن هناك قيمة متأصلة في الكائنات الحية، والتي هي *القيمة نفسها* للكل. ولكنه ضد الإدراك الحدسي بالوحدة أن أقول «أستطيع أن أقتلك لأني أكثر قيمة»، ولكنه ليس ضد الإدراك الحدسي أن نقول «سأقتلك لأني جوعان». في الحالة الأخيرة هذه، يكون هناك ندم ضمني: «آسف، سأقتلك الآن لأني جوعان». وباختصار، فإنني أجد بوضوح أنه من الصحيح - ولكن غالبًا من الصعب - تبرير الأنواع المختلفة من السلوك مع الأنواع المختلفة من الكائنات الحية، ولكن ذلك لا يعنى أننا نصنف البعض بأنهم أكثر قيمة جوهرية من الآخرين.

وقد أكد علم البيئة الحديث درجة عالية من *التعايش*، كخاصية مشتركة في أنظمة بيئية، ناضجة من حيث الاعتماد المتبادل لمصلحة الجميع. لذلك.. فإنها قدمت *أساسًا معرفيًا للشعور بالانتماء* الذي لم يكن ممكنا سابقًا. وللانتماء الأسري، ورابطة القرابة، أساس مادي في المعية والتعاون المدرك، ومن الممكن - في النهاية - ومن خلال توسيع فهمنا للسياق البيئي، تكوين شعور بالانتماء مع منظور أكثر توسعًا: *انتماء المحيط البيئي*.

«والمهمة هي إيجاد شكل من المعية مع الطبيعة، يحقق مصلحتنا الخاصة. وأي تعريف آخر يكون رأيًا منافقًا». إذا تم قبول هذه العبارة، فإن « مصلحتنا الخاصة» يجب أن تعني «التي تخدم الذات الكبرى»، وليس فقط «الأنا» الفردية أو المجتمعات البشرية، وإذا تم تضمين ذات

أصغر.. فإن الجملة تكون مضللة، وقد يرغب المرء في الرفاهية للحيوان والنبات مثلما أنه من الطبيعي أن يرغب هذا الشخص. وبالنسبة لمالكي الكلاب.. فإن رفاهية كلابهم تكون أكثر أهمية بالنسبة لهم من رفاهية جيرانهم، كما يكون التماثل أقوى ويكون التقمص العاطفي أكبر. ويستطيع المرء - دون نفاق - *أن يرغب في شيء هو لفائدة الكائنات الحية الأخرى* - والشخص عادة يحصل منها على الرضى الكامل.

والتطور التقني مع تبصرنا بالعلاقات التعايش المتبادلة يجعل من الممكن - للبشر - *السماح بالتعاون والمعية* لإضافة حياة لأيام عملنا وأوقات فراغنا أكثر من قبل. وللأسف، فإن ذلك في الوقت الحاضر هو أساسًا نظرية محتملة. وربما تشهد الحقبات التالية انقسامًا ثنائيًّا معينًا بين المجتمعات البشرية، ترهق فيه نفسها (مثل صراع الشمال-الجنوب)، بالإضافة إلى الانقسام بين الجنس البشري والكائنات الحية الأخرى (تدمير بيئات الكائنات الأخرى).

دعنا نفحص تجربة خاصة بفكرة مزعجة إلى حدٍّ ما. وقد يكون *الإنسان المعاصر* قادرًا - في الظروف المناسبة، وبناء على أساس من منظور واسع - على *التوصية بانسحابه* بصفته الكائن الحي المسيطر على الأرض. وبمثل هذا التصرف يؤكد البشر (تمامًا كما نفعل في كثير من الأعمال الأخرى) أن البشرية ليست مقيدة بالقيم «المفيدة للبشرية» أو «مناسبة للمحافظة على الذات البشرية»، عندما تؤخذ «النفعية» و«الذات» *بالمعنى الضيق*. وإذا فهمنا المصطلحات بمعناها الواسع جدًّا، فإننا مقيدون بذاتنا، كما أن الدائرة مقيدة بـ Π (3.14159..)؛ فقد يكون من المفيد - وبالنسبة للذات الكبرى للإنسان - نقل بعض السلطة على الآخرين لكائنات أكثر حسًّا وحساسية.

ومن الواقعي أن نسأل: كيف سنتصرف في مواجهة كائنات حية من كواكب بعيدة، والتي *تشبه الإنسان المعاصر* حتى تكون المماثلة سهلة. هل نحن ككائنات بشرية نخضع أنفسنا، دون تحفظ للإرادة السياسية لكائنات غريبة، والتي لها – بشكل أو آخر – خصائص مماثلة لنا، ولكن ينقصها ميلنا للتعذيب، والعذاب واستغلال بعضنا البعض؟ وربما تستغرق الإجابة قرونًا قليلة، ولكنني أعتقد أنها ستكون إيجابية، وأننا سنتنازل، إذا كنا متأكدين منهم.

هذه التجربة الفكرية تخلق الافتراضات، التي لا يمكن أن يقال إنها محتملة، وأعضاء *الجنس البشري* ليسوا مقيدين بصفة عامة، أو بأي طريقة أخرى بالتعذيب والعذاب واستغلال بعضهم البعض للأبد. وإمكانية أن يشير بحث المستقبل إلى هذه النتيجة الكئيبة عن الطبيعة البشرية، يمكن أن توصف بأنها غير محتملة. ولكن التجربة الفكرية تصرح بأن السعي البشري لتحقيق الذات يتطلب منا أن نفسح طريقًا للأكثر كمالًا. وستفقد الكائنات البشرية شيئًا من طبيعتها الجوهرية الخاصة، إذا أحجمت عن التنازل.

(هـ) تفرد الجنس البشري لا يجب الاستخفاف به

يخبرنا علم دراسة الحياة قبل التاريخ عن الثراء الغامر وتنوع أشكال الحياة. ربما يكون قد انقرض الآن 100 مليون كائن، ولكن من بين هذه الكائنات الحية حاليا، فإن *الإنسان المعاصر* بطرق كثيرة يعد كائنًا فريدًا.. فريدًا بيولوجيًّا من خلال عقله، وفريدًا ماديًّا من خلال مئات الحضارات الرئيسية، والحضارات العديدة المثيرة للدهشة بشكل أقل، وإن كانت ليست أقل من ناحية الأصل.

ومن المهم صياغة هذه العبارات من وقت لآخر؛ لأن البيئة غالبًا – والبيئة العميقة – تؤكد ما هو مشترك بيننا وبين الأشكال الأخرى من

الحياة، وكيف أن علاقاتنا حميمة، بل يجب أن تكون حميمة مع أشكال الحياة والمحيط البيئي بصفة عامة.

ولماذا، يُسْأَل أحيانا، ألا تستخدم القدرات الفريدة «لغزو العالم» ، وإكمال مهمة خلق بيئة بشرية واحدة كبيرة، من كل الأجزاء الصالحة من الأرض للسكنى ؟ لماذا يجد مخلوق من تحقيق ذاته بأن يدع الأشكال الأخرى من الحياة تحفظ بيئاتها - إذا لم تكن نافعة بشكل واضح؟

وعلى أي حال، فإن هذه الأسئلة، ، تبدو أنها تميز جزءًا فقط من الثقافات البشرية، وربما تكشف ليس - فقط - عن اهتمام محدد بتحقيق الذات البشرية، ولكن - كذلك - عن إهمالها.

وعلم الأحياء الذي يذكر بوضوح المميزات البيولوجية الخاصة بالكائنات الحية - بالإضافة إلى الفروق - على سبيل المثال بين الاتصال البشري والحيواني، ينسجم تمامًا مع الفلسفة البيئية للمماثلة والحق المتساوي. وهناك خاصية محددة في البنية البشرية، وهي أن الكائنات البشرية تدرك بوعي حافز الكائنات الحية الأخرى لتحقيق الذات، وأننا يجب لذلك أن نأخذ على عاتقنا *نوعًا من المسئولية عن سلوكنا تجاه الآخرين*.

ويقترح علم الدراسة العامة لسلوك الكائنات الحية، أن العنف الموجود داخل المجتمعات الصناعية أكثر ضررًا ومدمرًا للذات، من ذلك العنف الموجود في أي مجتمع ثدييات. ويبدو أن الوسائل التي تستخدمها الثدييات الأخرى؛ لتجنب ولتقليل العنف تكون أكثر فاعلية وأقل وحشية من وسائلنا. وتستحق هذه المجتمعات الحيوانية الدراسة، وتستحق في بعض المظاهر *المحدودة* أن تستخدم كنماذج للسلوك البشري، وهذا لا يعنى تقييما أقل للجنس البشري ولإمكاناتنا المستقبلية.

ويؤكد علماء البيئة الحديثة تقريبًا بالإجماع أهمية المعية والتعاون في عالم النبات والحيوان، كما يؤكد علماء البيئة الأشكال المقيدة والسلوك الظاهر في الصراعات، وأهمية الانتفاع «بالبيئات الملائمة» المتباينة في الوجود؛ بمعنى تجنب التصادم المباشر.

ونحن ننظر إلى بعض قدرات الحيوانات بإعجاب ودهشة.. على سبيل المثال، قدرة أسماك السالمون على عبور المراكز غير المحدودة للمحيط، لتجد مصب نهر معين، وتتحمل بشجاعة منحدرات الأنهار السريعة لتصل إلى أماكن وضع البيض. وما من سبب هناك، لكي ننظر بأقل دهشة للقدرة البشرية التي اكتشفت ذلك عن السالمون. واهتمامي هنا هو بالقدرة البشرية على المماثلة، وشعور الإنسان بالسرور في تماثله مع السالمون في طريقة وصوله لأماكن وضع البيض، وشعوره بالأسى عند التقليل من طرق الوصول إلى هذه الأماكن المهمة.

قد تم إساءة فهم مبدأ المساواة في المحيط الحيوي، والذي يتم تعريفه في ضوء الحق المتساوي، وتم فهمه بمعنى أن الاحتياجات البشرية لا يجب أن تكون لها أبدًا الأولوية على الاحتياجات غير البشرية. ولكن ذلك لم يكن هو القصد أبدًا. فنحن على سبيل المثال في التطبيق العملي، لدينا التزام أكبر لما هو أقرب لنا، وهذا يعنى واجبات، قد تتضمن أحيانا قتل أو جرح غير البشر، (نايس، a1984). ولكنه شأن خطير عندما تخضع الحيوانات لتجارب مؤلمة؛ من أجل اختبار المواد الكيميائية المستخدمة، على سبيل المثال في تلوين الطعام. والبشر أقرب لنا من الحيوانات، ولكن هناك حاجة بشرية حيوية تحرك صناعة الغذاء التجميلية، هو أن المعيار بشأن الحالة السابقة المتعلقة بذلك معيار واحد. وتتطلب القرارات المسئولة من المرء أن يأخذ النظام المعياري بأكمله في الاعتبار ، ويجب أن

تقارن أبعاد الاحتياجات *المحيطية* بالبشر - إذا كان هناك تعارض - *بالاحتياجات الحيوية* للكائنات الأخرى.

«لن تجعل كائنات حية أخرى تعانى بغير ضرورة». يقدم هذا المعيار توجيهات مهمة هنا. يجب جعل الضرورة شرعية، عن طريق صياغتها في عبارة تتضمن الأهداف، بالإضافة إلى عبارة، تفسر عدم إمكانة تحقيق الهدف دون إنزال المعاناة. وليست هناك ضرورة في تحقيق متطلبات السوق.

وظاهريًّا، تبدو الاتجاهات المتناقضة جاريه قدمًا. ومن جانب آخر، فإننا نجد سوء معاملة وسيطرة طائشة، وعلى الجانب الآخر جبهة واضحة ضد «المعاناة غير الضرورية». في أوسلو، إذا اكتُشف أن فأرًا قد حبس في فتحة تهوية، لا يمكن الخروج منها، فهذا يستدعى الاستعانة بـ SPCA ليحضروا وينهوا معاناته- بقتله. وقد تقدم هذا التقليد من الاهتمام جانبًا إلى جنب، مع حملات الإبادة التي تستخدم وسائل لا تسبب ألمًا لا ضرورة له. وعلى المدى البعيد، فإن الوعي المتزايد بهذا التناقض (الذي أتمنى أن) ينتج عنه وسائل رحيمة أو - الأفضل - جعل الإبادة غير ضرورية، والابتهاج بالتعايش أكثر انتشارًا.

قد استخدم تفرد *الإنسان المعاصر*، وقدراته الخاصة بين ملايين الأنواع من الكائنات الحية الأخرى كمقدمة منطقية للسيطرة وسوء المعاملة، بينما تستخدم الفلسفة البيئية كمقدمة منطقية لرعاية عالمية، لا تستطيع الكائنات الأخرى فهمها أو تحملها.

(2) المماثلة، والانسجام، والكمال، وتحقيق الذات

(أ) *المماثلة والإقصاء؛ أفكار الانسجام والكمال*

تم استخدام أربعة مصطلحات معًا في عنوان هذا القسم. وربما يجب أيضا أن نضع في ذهننا أربعة مصطلحات متناقضة: إقصاء، تعدد، تجزئة،

ونكران الذات. وقد تساهم علاقات هذه المصطلحات بعضها ببعض في توضيح الفلسفة البيئية، والمثال التالي يقدم للقضية:

في شرفة زجاجية بها حائط مفتوح بعيدًا عن الشمس، يلعب مجموعة من الأطفال بمبيد حشري رشاش. تجمعت الحشرات على الحائط المتجه نحو الشمس، وسقطت بتأثير الرش بشكل مأساوي على الأرض. هل ذلك مسلٍّ؟ ويظهر شخص بالغ، يلتقط حشرة وينظر إليها بعناية، وينطق حالما: «ربما هذه الحيوانات مثلك، تفضل أن تعيش بدلًا من أن تموت؟» تم استيعاب الموضوع، ولوهلة رأى الأطفال الحشرات وتعايشوا معها بشكل تلقائي ، كأنهم هم أنفسهم، وليس فقط كشيء مختلف، ولكن – بمعنى أدق – مثلهم. مرحلة مماثلة لحظية! ربما لا يكون لها تأثير على المدى البعيد، أو ربما يغير بعض الأطفال قليلًا اتجاهه نحو الكائنات الصغيرة الرفيقة.

شاهد الأطفال قبل التدخل حركات الحشرات النصف ميتة، ولكن من المحتمل أنهم لم يتفاعلوا بما شاهدوه. ومن وجهة نظر الفلسفة البيئية، فهم كانوا بعيدين بالمعنى الدقيق للكلمة، أي كونهم غير مكترثين بشيء كان من الممكن مع التنشئة الطبيعية أن يثير تعاطفًا قائمًا على المماثلة. ومشاعر عدم الاكتراث بدلا من مشاعر الغربة، والعزلة، والبعد، هي مشاعر ذات أهمية رئيسية في هذا الموقف.

هناك كثير جدًّا عن الحشرات، ولكن ماذا عن المماثلة مع الجبال؟ والمصطلحات العادية هنا: «تشخيص»، و «الاعتقاد أن الروح هي المبدأ الحيوي»، و «التجسيم». ولآلاف السنين، وفي الثقافات المتنوعة تم توقير الجبال لاتزانها، وعظمتها، وبعدها وجلالها. وعملية المماثلة هي متطلب مسبق للشعور بنقص العظمة والاتزان في الذات التجريبية للشخص.

و«الشخص يرى ذاته في الآخر»، ولكنها ليست الذات التجريبية، أو الذات التي يأمل الشخص أن يكونها. وإذا كانت هناك ظروف غير ملائمة، فسوف يُمثل الجبل التهديد والرعب، وعدوًّا يجب التغلب عليه، ويخفف من هذا التهديد ما يسمى بغزو الجبال.

يستخدم مصطلح «المماثلة» بطرق كثيرة، ولكن الطريقة التي استخدم بها في القصة قد تكون نادرة، ويصعب توضيحها إلا من خلال أمثلة كثيرة، إيجابية وسلبية.

والعلاقة بين المماثلة والعملية الأضيق الخاصة *بالتضامن*، هي أن كل حالة عميقة ودائمة تفترض مماثلة على نطاق واسع، والمعنى الأساسي للاهتمامات المشتركة مفهوم تلقائيًّا ومدمج في النفس، وذلك يقود إلى *اعتماد تحقيق ذات «ألف» على تحقيق ذات «باء»*. وعندما يسعى «باء» لمعاملة عادلة، فإن «ألف» يعزز المطالبة، ويفترض «ألف» موقفًا مشتركًا على أساس المماثلة مع «باء». *وقد* يفترض «ألف» أيضا موقفًا مشتركًا بناءً على أفكار مجردة من العدالة الأخلاقية، مع حد أدنى من المماثلة.. ولكن مع محاولات صعبة ومستمرة لفترة طويلة، فإن التضامن الناتج لا يتوقع أن يصمد، والشيء نفسه ينطبق على *الولاء*. وعندما يكون التضامن والولاء مثبتين بشدة في المماثلة، فلا تتم ممارستهما كمتطلبات أخلاقية؛ فهما يأتيان من تلقاء نفسهما.

ويؤكد النقد الأوروبي للمجتمع الغربي الصناعي الإقصاء، الذي يسببه نوع من التكنولوجيا، التي تقلل من كل شيء لتصبح مجرد أشياء *للتلاعب* Verdinglichung! ، ولا يقتصر هذا التعامل على الحيوانات فقط، بل إن العمال يعاملون على أنهم مجرد عوامل- غالبًا ما يتسببون في المتاعب - في العملية الإنتاجية. وتميل التمويلات المالية الكبيرة نحو

تعزيز هذا الاتجاه: ماذا يُنتج وكيف يُنتج، هذا ليس له علاقة ، فكل ما يهم هو البيع المربح. وإذا قارنّا عملية الإقصاء في الثقافات المتنوعة، فغالبا ما يجد المرء تكنولوجيات تتضمن قسوة وعدم اكتراث كبيرين بالمعاناة. وما يتوقع اليوم أن المجتمعات غنية بدرجة كافية، تجعلها قادرة على التخلص التدريجي من هذا الإقصاء.

وتنشأ الوحدة من عملية المماثلة، وحيث إن الوحدة ذات صفة جشتالتية، فإنه يمكن إحراز الكمال.. قد يكون مجردًا للغاية وغامضًا! ولكنه يقدم إطار عمل لوجهة النظر الكلية، أو منظورًا مركزيًّا (رئيسيًّا).

وقد يبدو أن ما سبق يشير إلى اتجاه التصوف الفلسفي، ولكن المصطلح الرابع، تحقيق الذات اقتحم وأعاد تنصيب الموقف المركزي للفرد- حتى لو كان حرف الـ S الكبير في المستخدم في عبارة Self-realisation «تحقيق الذات» هو للتعبير عن شيء، وراء نطاق الذات الضيقة. وتوسيع وتعميق الذات الفردية إلى *حد ما* لا يجعلها أبدًا داخل «كتلة» واحدة، أو داخل كائن كل خلية مبرمجة؛ لكي تدع الكائن يؤدي وظيفته ككائن واحد مفرد، ومتكامل. كيف يحدث ذلك بطريقة دقيقة ملائمة ؟ لا أعرف.. إنه لما يواسي - إلى حد ما - أنني لا أجد الآخرين قادرين على القيام بذلك في تأملاتهم لكل من الوحدة والتعدد. «في تنوع الوحدة!»، نعم، ولكن كيف؟ كمبدأ غامض.. فإن له وظيفة محددة، داخل وجهة نظر كلية، مهما كان غير كامل.

(ب) *المماثلة وتحقيق الذات*

إن موت الأفراد وانقراض الكائنات هو جزء لا غنى عنه في التطور، وكذلك قتل فرد واحد أو كائن لآخر، حتى لو كانت الأسباب البيئية غير

العضوية هي السائدة. لكن التطور يظهر أيضا قيام المعاونة المشتركة، ولا يسع الكائنات البشرية الناضجة إلا أن تعمل تجاه حالة، هي أكثر بقليل مما يتخيلون على المدى البعيد.

وتقترح الحكمة «عش ودع الآخرين يعيشون» مجتمعًا حرَّ الطبقات في المحيط البيئي بأكمله، وديمقراطية نستطيع فيها أن نتحدث عن العدل، ليس فقط فيما يتعلق بالكائنات البشرية، ولكن أيضًا الحيوانات، والنباتات، وشكل ومظهر الطبيعة، مما يفترض تأكيدًا كبيرًا على ترابط كل شيء، وأن «الأنا» الخاصة بنا هي أجزاء - ليست أجزاء منفصلة، وكأن لدينا قوة محدودة بشكل مفرط موضوعة داخل الكل، ولكنها تكفي لكشف إمكاناتنا، شيء أكثر شمولًا من إمكانات «الأنا» الخاصة بنا.. إذا نحن أكثر من الأنا الخاصة بنا، نحن نشارك في خلق وصيانة هذا الكل، *ونحن بذلك نشارك في عظمته*، وقد تكشفت أبعاد جديدة. وتتطور الأنا إلى أنفس ذات أبعاد أكبر وأكبر، متناسبة مع مدى وعمق عمليات المماثلة.

والمدخل الأبسط من ناحية المفاهيم والأقدم تاريخيًّا لهذه الفلسفة، هو ربما هذا الذي يحلل *المفاهيم المتباينة* «للذات». وفي السنوات الأولى من الحياة، لا تكون الذات أكبر بكثير من الأنا - المركز الأناني الضيق، الذي يخدم إشباع الحاجات البيولوجية الأبسط. إنه من الأفضل - عندئذٍ - أن تأكل الكعكة كلها *بمفردك*، وعند سن السابعة حتى البلوغ تظهر الاجتماعية، التي تنشر تقدير الذات، ثم تشمل الذات أسرة الفرد والأصدقاء المقربين.

وتعتمد قوة المماثلة مع الحياة الأخرى على المحيط، والثقافة والظروف الاقتصادية. وقد تطورت وجهة نظر الفلسفة البيئية من خلال مماثلة عميقة جدًّا، حتى أن *ذات الفرد الخاصة* لم تعد الأنا الشخصية أو التي

يحددها الكائن الحي بشكل ملائم، ويكتشف المرء نفسه أنه جزء أصلي من كل الحياة. كل كائن حي مفهوم كهدف في ذاته، *ومن حيث المبدأ* هو على قدم المساواة مع الأنا الخاصة بالفرد، وهذا أيضا يستلزم تحولًا من اتجاهات أنا- هو إلى اتجاهات أنا - أنت، باستخدام مصطلحات بابير.

إن ذلك لا يعنى أن الفرد يتصرف - أو يرغب في أن يتصرف - أو يمكن أن يتصرف بشكل ثابت بانسجام مع مبدأ المساواة. ويجب أن تؤخذ العبارات بخصوص مساواة البيئة المحيطة فقط كتوجيهات، وحتى تحت ظروف المماثلة الشديدة، يحدث القتل. إن الهنود في كاليفورنيا بأسطورتهم الروحية، كانوا من ناحية المبدأ مثالًا للمساواة ، مع الاعتراف بحاجاتهم الحيوية الخاصة. وعندما يأتي الجوع، يوضع الأخ الأرنب في الإناء. «الأخ هو مواطن، ولكن كم هو مغذ بشكل مغرٍ!» التعجب سهل جدًّا: وتوضح الطقوس المعقدة التي تحيط بالصيد، في كثير من الثقافات، كيف يشعر الناس بالارتباط بالكائنات الأخرى، وكيف أنه *من الطبيعي أن نشعر أننا عندما نؤذي الآخرين، فإننا أيضا نؤذي أنفسنا*، وتتحول التصرفات اللاوسائلية إلى وسائلية.

كانت حكمة إيمانويل « لا تستخدم أبدًا شخصًا آخر فقط كوسيلة »، وقد تم التوسع فيها في الفلسفة البيئية T ؛ لتصبح «لا تستخدم أبدًا كائنًا حيًّا فقط كوسيلة».

ويؤدي نقص المماثلة إلى عدم الاكتراث، وتحال الأشياء البعيدة - التي لا تبدو أنها تهمنا هي في أفضل الأحوال - إلى خلفية عدم الاكتراث.

والمبيد الحشري أزُدرين قلَّل عدد بعض الحشرات «البغيضة» تقريبًا إلى الصفر، وهذا كان المقصود، ولكنه بالإضافة - إلى ذلك - أباد الأعداء الطبيعيين للحشرة. والنتيجة أنه بعد مضى بعض الوقت، زاد عدد

الحشرات غير المرغوب فيها أكثر من قبل. وقد حركت هذه الحوادث شعارًا جديدًا: يجب أن تعرف ماذا سيحدث عند التدخل في الطبيعة، إذا كنت لا تعرف التبعات، لا تتدخل. ولكن هل هذا واقعي؟ لا يمكن معرفة إلا ما يعد جزءًا صغيرًا من التبعات، وجهلنا الآن - وفي المستقبل القريب - بتبعات التدخل هو أكثر شيء مما كان مفترضًا مبدئيًّا. وعدم اكتراثنا ببيئة الحياة قد يعنى أنه قد تم ممارستها فقط كخلفية رمادية، ومع المماثلة يتغير كل ذلك.

افترض أننا نشرنا مادة كيمائية على قطعة من الأرض، وأخذنا جرامًا واحدًا من التربة. ماذا يحدث في القطعة الصغيرة من «خلفيتنا الرمادية»؟ وماذا يحدث في حالة تدخلنا؟ بتحليل الكتلة الصغيرة من التربة، تم الكشف عن عدد مذهل من الكائنات الصغيرة، التي تعيش بها: ضمن أشياء أخرى 30.000 من الأوليات (البروتوزوا : حيوانات وحيدة الخلية)، و50.000 من الطحالب، و 40.000 من الفطريات و2500.000.000 بكتريا (إهريلتش، 1970، ص. 180). وتعتمد خصوبة التربة على تفاعل معقد لا يقدر ، في شبكة تعايش معقدة بشكل مجنون، تشمل كل هذه الكائنات الصغيرة.

وكلما زاد فهمنا لمعيتنا مع الكائنات الأخرى، زادت المماثلة، وزادت العناية التي سنوليها. وبذلك أصبح أيضًا الطريق مفتوحًا أمام المتعة برفاهية الآخرين والحزن، عندما يقع الأذى عليهم. إننا نسعى لما هو أفضل لأنفسنا، ولكن من خلال التوسع في الذات، الأفضل لنا هو أيضا الأفضل للآخرين، والتفريق بين الخاص/ غير الخاص موجود فقط في قواعد اللغة، لا في المشاعر.

ومن الناحية الفلسفية.. فإن مفاهيم الأنا والذات ، «والذات» بحرف الـ S الكبير في Self (الذات البيئية العميقة الشاملة) قد مزجت في أنظمة

متباينة، وكانت أصلًا مرتبطة بأديان العالم. وبسبب التأثير الضعيف لهذه الأديان في مجتمعاتنا الصناعية، تعذر الوصول إلى فلسفات المماثلة تقريبًا، ولم يعد المستنبت لأنواع كثيرة من الخبرة الدينية التلقائية منحة ثقافية من المهد.

وجدير بالذكر أن «ديمقراطية أشكال الحياة» تكون – أو كانت – خاصية بعض المجتمعات الأولية، ومفهومها للموقف البشري هو أكثر واقعية مما يقدم في تعليمنا التقني – الطبيعي العلمي.. وبينما نجرد الطبيعة هكذا من كل التنوع الحسي، ونؤكد أنها فعلا دون ألوان، نجد أن حيوية المادة تتحرك في الاتجاه المضاد.

وفي تحذير من الغوص «اللاواعي» في المجتمع التقني للمستقبل، ذكر أحد علمائنا الأولين: «نحن نمتلك الطبيعة مع رفقائنا»، ولكن أيديولوجية ملكية الطبيعة ليس لها مكان في الفلسفة البيئية؛ فلا يملك الشعب النرويجي، أو الدولة النرويجية، النرويج. وموارد العالم ليست فقط موارد الكائنات البشرية، وقانونًا نحن «نمتلك» الغابة، ولكن إذا دمرنا ظروف الحياة في الغابة، فإننا ننتهك معيار المساواة.

ويظهر الاتجاه المساواتي، عندما يتناقش الصياد مناقشة طويلة مع روح الدب، ويفسر معتذرًا أن مخزن الطعام خالٍ، وأنه كان يجب أن يقتل الآن ليطعم أسرته. وفي المقابل، يمكن أن يُذكر الصياد روح الدب أنه هو وأسرته سيموتون في يوم ما، ويتحولون إلى تراب لنمو النبات، قوتًا لسلالة الدب. وبمعنى آخر.. فإن هذا اتجاه مساواتي *واقعي*، واعتراف بدورات الحياة وترابطها في الطبيعة.

وتعبر الحياة البرية وإدارة الغابة ومهن أخري ذات صلة وثيقة بالطبيعة، من اتجاهات الناس.. إنه فقط من خلال العمل، واللعب، ويمكن الفهم للمماثلة العميقة والدائمة أن تتكون، مماثلة عميقة بشكل كافٍ لصبغ ظروف الحياة الكلية وأيديولوجية المجتمع.

ولا يقتصر الاتجاه المساواتي على المجتمعات قبل الصناعية. «تصوف الطبيعة» كما غالبًا ما يسمى هو سمة أصلية من سمات الثقافة الغربية، والتماثل مع كل الحياة لا يعني التنازل عن ميراثنا الثقافي. النصح الأخلاقي، وعقاب مجرمي البيئة، والعقوبات الاقتصادية، وأدوات أخرى سلبية لها مكانها، ولكن التعليم تجاه مماثلة أكبر وأوسع من خلال توسيع الذات هو طريقة إيجابية بالكامل.

(جـ) *« الذي ليس له قيمة لأي من البشر، لا قيمة له على الإطلاق»*

يذكر البعض من الذين يشاركون بإيجابية في القرارات البيئية المهمة إنهم تحدهم فكرة أن - بطريقة أو بأخرى - أي تقييم أيًا كان هو تقييم بشري؛ ولذلك يجب أن يكون له قيمة *للبشر*، وهم يشعرون أن هناك أسبابًا فلسفية للانتقاص أو التخلص من الإشارة إلى الطبيعة، والكوكب، والبرية بالتسمية نفسها. ولتجنب عدم المنطقية، يجب أن يتمسك المرء بمواقف نفعية تتركز على الإنسان: يجب أن يشير المرء للفائدة التي ستعود *على* البشر.

ويقنعنا التفكير الفلسفي بأن البشر فقط هم الذين يصيغون عبارات القيمة على هذا الكوكب. عبارات تقييمية، مثل نظريات الجاذبية التي يصيغها البشر بلغة البشر، ليست كتلك النظريات التي يصيغها البعوض بلغة البعوض. وقد نتحدث عن الجاذبية بالنسبة لنا أو عن غيابها، سواء كنا في مجال الجاذبية أم لا. إن قوانين نيوتن قام نيوتن بوضعها، ولكن الحجارة تسقط من دونها.

والخلاصة في غاية البساطة: أن مجرد أن يقول *البشر* «هذا يكون نافعًا»، فإن هذا لا يعنى أنه «مفيد للبشر».. إنه مصطلح مضلل أن نؤكد أن القيم التي يدركها البشر، كقيم ذات قيمة هي كذلك بالنسبة *للكائنات البشرية*.

الموقف الذاتي الذي تعنيه عبارة «جيد يعني جيدًا للجنس البشري»، إذا طُبق باتساق، يقود بسهولة إلى الأنانية: «جيد هو جيد *بالنسبة لي*». إذا أعطيت أي شيء، فذلك بسبب أن هذا يحقق لي رضا نفسيًّا. وإذا كنت محبًّا للغير، فذلك فقط لأنني في حال أفضل، عندما يكون الآخرون في حال أفضل. وقليلون مَنْ لديهم مفهوم «كل السكان من البشر»، أو ما هو جيد لهذه المجموعة من السكان. الجيد «لنفسي، ولأسرتي ولأصدقائي» هو ربما ذو معنى أكثر وضوحًا لمعظمنا. ولكننا نرفض بشكل صحيح أن نعترف أننا بوجود «س» يكون جيد»، أي إن «س» يكون جيدًا لنفسي، وأسرتي وأصدقائي».

ويمكن أن يكون تعقل الأمور مرشدًا لنا هنا؛ فنحن نعترف بأن هناك دوافع مختلطة، وندرك أن تقييماتنا تتركز - بشكل أو بآخر - حول الأنا، وأن منفعتنا هي - بشكل أو بآخر - التي في ذهننا، ونادرًا ما تعطي أولوية للآخرين قبل أنفسنا. ولا يمكن رسم خطوط الحدود، فهناك فروق فردية وجماعية كبيرة . وغالبًا - على أي حال - ما نتفق تمامًا من الناحية العملية. دعنا نقول إننا نخطط رحلة معا. بعض الأماكن سيتم زيارتها لأنها لمصلحة «ألف»، بينما نحن الآخرين *لا نرى قيمة فيها*، الأماكن الأخرى قد يختارها «باء».. إلخ. وفي الوقت نفسه، ونحن كأصدقاء نعي أن كل منا يفكر أنه شيء قيِّم أن نزور مكانًا، يعتقد *شخصا ما* أنه ذو قيمة أن نزوره، فذلك يجلب تقييمات وثيقة الصلة على المستويات المتعددة.

تقترح هذه الاقتراحات أن إضفاء قيمة للحيوانات، وللنباتات، ولأشكال الطبيعة ومظاهرها ، والمناطق البرية بشكل مستقل عن علاقتها بالنفعة البشرية يعد إجراءً شرعيًّا فلسفيًّا. وربط كل القيمة بالجنس البشري، هو نوع من اعتبار الإنسان هو مركز الكون، وهذا الذي يمكن التوصل إليه فلسفيًّا.

وقد تكون الطبيعة البشرية تلك التي مع تزايد النضج تزداد الحاجة البشرية؛ لحماية ثراء وتنوع الحياة من أجل مصلحة الحياة ذاتها. وبالتالي، ما هو غير مجدٍ على نطاق ضيق قد يكون مجديًا بمعنى أوسع؛ أي إشباع الحاجة البشرية. وحماية الطبيعة من أجل مصلحتها يكون مثالًا جيدًا لذلك.

(د) حياة الطبيعة ***Friluftsliv*** :

على عكس المتوقع، فإن الحياة الحضرية لم تقتل انبهار البشر بالطبيعة الحرة، ولكنها فقط جعلت الوصول إليها أكثر صعوبة وعززت السياحة الجماعية. وهناك لحسن الحظ أسلوب مؤثر، بشكل كبير للحياة في الطبيعة الحرة ، في تحفيز الشعور بالانسجام، والكمال وبتعميق المماثلة.

وغالبًا ما تستخدم كلمات «التنزه في الخلاء » للأنشطة التي يشترك فيها كثير وكثير من الناس في المجتمعات الصناعية أثناء وقت فراغهم. ولكن في اللغة النرويجية، هناك كلمة أوضح ومحملة بالقيمة، وتشير إلى نوع من «التنزه في الخلاء» الذي يأتي للطبيعة بشروطها الخاصة : *أن تلمس الأرض برفق*، وتعني كلمة «*friluftsliv*» حرفيًا «الحياة في الهواء الحر»، ولكنها ترجمت «الحياة في الهواء الطلق» و «حياة الطبيعة» (انظر رييد وروثينبرج (1987). ونحن نحتفظ فيما يلي بالمصطلح الأصلي؛ ليشير إلى حالة من النوع الإيجابي من الحالة الذهنية والجسدية في الطبيعة، والتي تقربنا من بعض المظاهر الكثيرة للمماثلة وتحقيق الذات، اللتين افتقدناهما، مع الطبيعة.

إن إشباع حاجتنا للحياة في الخلاء، والحاجة إلى كشف تقني موجه نحو الماكينات لا يمكن أن يقعا *في وقت واحد*. وتحاول القوى الاجتماعية - الاقتصادية في البلاد الصناعية - في الوقت الحالي - التأثير لصالح

أولوية الجهاز الرأسمالي المكثف: وجهاز الحياة الفقيرة هو عائق «للتقدم»، ويجب أن نرى حياة الطبيعة «*friluftsliv*» الحقيقية كطريق تجاه تغيير نموذجي.

وتلعب «*friluftsliv*» حياة الطبيعة دورًا متزايدًا في الأهمية؛ حيث أصبحت الظلال المظلمة لأسلوب الحياة الحضرية للدول الصناعية أكثر وضوحًا. ويقول المكتشف القطبي، والبطل النرويجي القومي فريتچوف نانسين إن («*friluftsliv*» حياة الطبيعة هي استمرار جزئي لمظهر من مظاهر أشكال الحياة السابقة). والكائنات البشرية، حتى وقت قريب، كانوا صيادين وجامعين للأشياء؛ أي عاشوا وعملوا في الطبيعة. وقد تم تكريس ما يقل كثيرًا عن واحد بالمائة من تاريخنا لمحاولة عيش حياة، تتميز بالماكينات والأحياء المزدحمة. ومؤخرا، مع بداية هذا القرن، اعتقد كثير من الكتاب البارزين الذين يكتبون عن المستقبل، ومن ضمنهم إتش. جي. ويلز، أن «التقدم» سينجح، وأن البشر سيكونون سعداء تمامًا في الشكل الجذري الجديد للحياة.

وفي الوقت نفسه، فإن حياة الطبيعة تتناول - بشكل أو بآخر - أنواعًا من الرحلات الترفيهية القصيرة في الطبيعة. وهذه الرحلات لا تهدف إلى تدبير الطعام، ولا ينطبق عليها أي وصف كالعمل. الحياة في الخلاء قد اتخذت أشكالا تشبه الأنشطة المادية في ثقافات الصياد والجامع: فعلى الماء هناك السباحة، والغوص، والتجديف والشراع والصيد، وفي الحقول والغابات هناك نزهات، ومعسكرات، وتزلج ، وركوب خيل والصيد؛ وفي المناطق الجبلية: السير على الجليد، والتسلق، والتزلج عبر البلاد، وتسلق الجبال على زلاجة، وصيد الأسماك والصيد. وأين تقع المنافسات الرياضية من هذا كله؟

يقول نيلز فارلوند (1973):

التنافس كقيمة يمثل شكلًا من أشكال تحقيق الذات، التي هي موضع للاختيار. ويفترض أسلوب الحياة المحفز للتنافس أن يكون هناك «خاسرون». وتحقيق الذات بالنسبة للصفوة يفترض ضمنيًّا أن الآخرين محرومون من تحقيق الذات. ويكون التنافس كقيمة حصريًّا للصفوة. والحياة في الخلاء بمعنى العيش في حيوية في الطبيعة تقتضي ضمنًا - على الجانب الآخر - تحقيق الذات للآخرين من أجل تحقيق ذات المرء نفسه (مثال: تقديم الذات التي لا تفرق بين الفرد والطبيعة).

وهناك عنصر مهم وهو ضرورة الجهد؛ فدون الجهد، لا توجد نوعية، ودون نوعية، يقل الاستمتاع. والاستمتاع بالنوعية في سلوك الحياة الشخصية للفرد هو هدف ذاتي لتجربة القيمة، أو الدافع الداخلي. والدافع التنافسي هو دافع خارجي؛ ولذلك فهو شكل أضعف للدافع.

وإذا وضعنا في اعتبارنا المستقبل القريب، فإنه من المهم وضع توجيهات لحياة طبيعية مسئولة أخلاقيًّا وبيئيًّا.

وهذه يمكن صياغتها كالتالي.

(1) **احترام الحياة كلها..** احترام شكل ومظاهر الطبيعة، ويتبع ذلك بالضرورة التخلص من صيد المتعة، فيما عدا «الصيد الفوتوغرافي». ويجب أن يكون الصيد مقصورًا على إدارة الحياة البرية، التي لها مبرراتها من الفلسفة البيئية؛ أي المرور دون أثر خلال البرية: ألا يترك الفرد أثر «روث» في المناطق الطبيعية، أو مزيدًا من المباني الحجرية، وعدم التوسع في الغابات خلف المدينة (الطرق العامة، والموتيلات، إلخ) في المناطق الطبيعية.

(2) **التعليم الخلوي في علامات المماثلة.** ويتم تشجيع اشتياق الأطفال (والبالغين) وقدرتهم على المماثلة مع الحياة وشكل ومظاهر

الطبيعية، وعدم تشجيع التوجه إلى هناك بالهدف التقليدي: أن تذهب هناك، أن تكون ماهرًا، أن تكون أفضل من الآخرين، أن تنجز الأشياء، أن تصف بالكلمات، أن تملك، وأن تستخدم معدات جديدة رائعة. وتتم تنمية القدرة على تجربة تفاعل عميق وثري ومتنوع في الطبيعة ومعها.

(3) **الحد الأدنى من الجهد على الطبيعي، الممزوج بالحد الأقصى من الاعتماد على الذات**.. هذا هو التحدي الكبير الذي يواجهنا اليوم. وغالبًا ما تسمح المعرفة الأكبر باستخدام النباتات المحلية والمواد المحلية الأخرى المتاحة للفرد بأن يعيش في طبيعة بالموارد المحلية. ولكن الدراية بقدرة إمداد الطبيعة مطلوبة في الوقت نفسه؛ مما يحد من عدد الأشخاص، الذين يمكن أن يكونوا تقريبًا مكتفين ذاتيًّا داخل طبيعة معينة.

(4) **أسلوب الحياة الطبيعية**. جميع الأشكال المتعددة الجوانب للمعيشة، مع التركيز على أكبر قدر الممكن على الأهداف، وأقل قدر ممكن على ما يشكل وسيلة- في حد ذاته - مع أكبر قدر ممكن من التخلص من التقنية والأجهزة القادمة من الخارج.

(5) **وقت للتكييف**: لدى القادمين من حياة حضرية عادةً تقدير معين للهدوء والسكون، وثمة مظاهر أخرى تتعارض بحدة مع أسلوب الحياة المليء بالتوتر في المدينة. وعادة ما يظهر بعض من *الاستخفاف*، بعد أيام قليلة أو أسبوع: عدم وجود الراديو والتليفزيون والسينما.. إلخ. ويستغرق الأمر بعض الوقت بالنسبة للبيئة الجديدة لتعمل في العمق، ومن الطبيعي جدًّا أن تمر عدة أسابيع، قبل أن تتكون *الحساسية* للطبيعة؛ حتى تملأ العقل. إذا تم

وضع كثير من التقنية والأجهزة بين المرء والطبيعة، فإنه لا يمكن الوصول للطبيعة.

ويقصد بالخمس نقاط السابقة أن تكون توجيهات إرشادية، وفي نظر النمو الاقتصادي هذه النقاط هي سُمٌّ، ولا يمكن للمرء أن يعتمد على أي مجهودات حكومية مباشرة؛ لحماية الأسس القائمة لحياة الطبيعة المسئولة أخلاقيًّا وبيئيًّا. ومؤخرا.. فإن وزارة البيئة النرويجية، على الرغم من ذلك، قد قَصرَت - للغاية - فكرة *حياة الطبيعة* على ما هو متوافق مع هذه النقاط الخمس. وفي النمو الاقتصادي ككل، تنسى الأهداف والقيم الأساسية من أجل السياحة والاستثمارات الرأسمالية المربحة.

وتحاول قوى كبرى أن تستبدل *حياة البيئة* بالاقتحامات الميكانيكية، المنافسة، والمخربة للبيئة داخل الطبيعة. ويمكن مقاومة هذه القوى- على نطاق ضيق - من خلال نضال طويل على عدة جبهات.

عندما بدأ التحضر العنيف يعيق الحياة البشرية في المدن الصناعية الغنية، تم تبني إقامة متنزهات عامة ومناطق حرة أخرى كبيرة. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظهر أن الحاجة إلى مكان واسع للحركة والعمل والنشاط تحت السماء المكشوفة هي أكثر من حاجة الصفوة للرفاهية، وأصبحت - بين كثير من الناس - حاجة حيوية.

وقد ثبت أن المناطق الحرة التي يسهل الوصول إليها غير كافية، وسرعان ما انتحلت واجهة حضرية- تكتلات، ركام، وتخريب الحياة النباتية، تقلص مهلك لحرية الحركة، ومساكن ترف، وعيشة رفاهية بدلًا من *الحياة البسيطة*.

في الثمانينيات، كان كثير من المتنزهات محملًا بأكثر مما تتحمل من البشر (غالبًا أوروبيين في بيوت متنقلة على عجلات!) فكان لزامًا إدخال

قواعد صارمة. ويمكن تتبع اتجاه تدريجي نمطي: يمنع التخييم في مناطق معينة – يمنع التخييم إلا في مناطق محددة – التخييم ممنوع؛ يمنع إعداد الطعام إلا في شوايات أسمنتية، يمنع إعداد الطعام في الخلاء؛ يمنع التحرك في أرض منحدرة (تعرية) – يسمح فقط بالإقامة المؤقتة – لابد من الحصول على تذكرة كل يوم – «الدخول ممنوع: سيتم ملاحقة المتعدين».

فبدلًا من الدخول إلى عالم من الحرية، يشعر المرء أنه في داخل نوع من المتاحف، يحكمه مُلاك غاضبون.

وفي بلد تقبل فيه *حياة الطبيعة* كحاجة حيوية.. فإن هذه القيود تعتبر إساءة.

لقد خلق التعاون بين ممثلي الصناعة والرياضيات المتنافسة، *جماعة ضغط*: إذ ظهر ما يسمى بالتحسينات الجديدة، والتي تقوم بتسويقها باستمرار، كما تم تأكيد المعايير الخاصة باستبدال المعدات، وقد تم قبولها لدى قطاعات عريضة من السكان، وهو تحسين يمكن أن يكون مهمًّا في المنافسة العالية، ولكنه تافه في *حياة الطبيعة*. ولكنه على الرغم من ذلك، يباع للأثرياء والمجموعات غير المبالية من الجمهور السريع التأثر بحملات المبيعات؛ حيث إن بيع المعدات التي تستخدم في الخلاء لغير الاختصاصيين أقل تكلفة بكثير من المعدات المتخصصة؛ لذلك يتم تشجيع الناس على التخصص. علاوة على ذلك.. فإنه من الأكثر ربحية أن تبيع أشياء تتطلب مبالغ رأسمالية ضخمة.

بعد تدفق هائل للموارد والتقنية، تم التغلب على الحواجز؛ إذ يتمدد المستهلك السعيد على فراش بسيط في القمرة الخشبية، ويستمع للطيور تغني، ويفتح بابًا خشبيًّا ذا صرير؛ ليشاهد أسماك السالمون تقفز بحيوية في المياه. ويبتلع الناس خطاف المعدات، والخيط، والثقل الرصاصي،

ويطيلون يوم عملهم ويزيدون من ضغوط المدينة عليهم؛ حتى يتمكنوا من شراء «الأحدث». وهم مجهدون، ومع القليل من الوقت الذي يستطيعون توفيره، ينطلقون إلى المناطق الخلوية؛ من أجل فترة راحة قصيرة، قبل أن يندفعوا عائدين إلى المدن. ومازالوا يموتون جوعًا، ويستمرون في العض!

و*حياة الطبيعة* موضوع إلى حد ما ملموس، ولكن لا يمكن فصله عن ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا). إذن القفز للخلف إلى الفلسفة ليس طويلًا على نحو كافٍ، وفهم أي شيء في الطبيعة يبدأ بالخبرة المباشرة، ولكن سرعان ما يحفز ذلك التفكير.

(3) القسوة في الطبيعة؛ تراجيديا وكوميديا الحياة

قد «نمدح الطبيعة» باستخدام صيغ التفضيل التامة في شعرنا وبلاغتنا، ولكن ليس في فلسفتنا أو سياستنا. وتضمنت ظاهرة الداروينية الاجتماعية، وظاهرة الفاشية، وظاهرة الاشتراكية القومية «التمتع بالحياة» بلا قيود، مع تأكيد خاص على الاستغلال والتنافس الوحشي. هذه الاتجاهات السياسية استفادت من وصف الحياة المتعذر الوصول إليه، ولكننا كمؤيدين للفلسفة البيئية يجب أن نتجنب جعل الناس يعتقدون أننا نقول «نعم!» لأي شيء في الطبيعة.

وتقودنا عملية المماثلة إلى أن نرى كثيرًا من القسوة في الطبيعة، ولكنها لا تقودنا بالضرورة إلى أن نعتقد أن أي حيوان يكون قاسيًا، وقد نستنكر سلوكًا ما، دون تطبيق مقاييس أخلاقية سلبية على الفاعل.

ويلزم في فلسفة « الانسجام والتنوع»، التي تمثلها الفلسفة البيئية T معالجة مستقلة لأربعة مجالات مختلفة من الظواهر:

(1) المماثلة مع الكائنات الحية بشكل فردي (توزيعي)، وداخل مواقف الحياة المحدودة.

(2) المماثلة مع الكائنات الحية جماعيًّا أو في جوهرها («الحياة نفسها»، والأنظمة البيئية والكائنات).

(3) الحكم الأخلاقي (بكل المقاييس) على الكائنات الفردية في مواقف محددة .

(4) الحكم الأخلاقي على الحياة بشكل جماعي، أو في جوهره.

ويقودنا الوحي المعاصر من الطبيعية أساسًا إلى المماثلة مع *كل الحياة*، *بشكل إفرادي*. ونادرًا ما تجد البغض والرفض ، ويظهر على سبيل المثال، عند النظر إلى أو عند معالجة للظروف القاسية التي تسببها الزيادة السكانية؛ بافتراض أن ردود الأفعال هذه غالبا ما يكون لها مكون أخلاقي، ولكنها لا تتضمن حكمًا أخلاقيًّا سلبيًّا على حياة الحيوان ككل.

وتتطلب المعالجة ملاءمة أكثر لهذا الموضوع، من حيث مناقشة وجهات النظر الأخلاقية المتنوعة وعلاقتها بتقييم الطبيعة. ولقد جمع المؤرخ الأدبي چوزيف دبليو. ميكير (1972) معرفته مع الخبرة بالبيئة. هل مفهوم العلاقة البشرية مع الطبيعة في الكوميديات الأدبية أكثر صدقًا ونفعًا في الأزمات البيئية، عن تلك العلاقة الموجودة في التراجيديا؟ إن ميكير يقترح أنها كذلك.

وبصفة عامة يجاهد الأبطال في التراجيديات الإغريقية - وفى غيرها - قوى ضخمة، ويحطمونها ببطولتهم في النهاية. ومعاناتهم كبيرة مثل مشاعرهم- الحب المحلِّق والحقد المتوهِّج، والوطنية المتَّقدة. وترتفع المثل إلى عنان السماء، ولكن لا أهمية للطبيعة . العواصف تقتل الأبطال كما تقتل الأوغاد، والبطل يخضع ليأس ميتافيزيقي: القوى الطبيعية ليست إلى جانبه، كما يجب أن تكون.

وفي الكوميديا، يتم تصوير الـمُثل العليا والمعاناة المتطرفة الناتجة بـشكل هزلي كبعض أنواع الجنون، أو كشيء غير حقيقي. والبشر مثـل الحيوانـات، لديهم نقاط ضعفهم الصغيرة، يستمتعون بالحياة بشكل أو بآخر، ويحصلون على المتع البسيطة، ويتمتعـون بالفـضائل المعتدلـة، وبمـستوى معتـدل مـن الطموح، وبروح الدعابة.. يلتمسون طريقهم ويتعثرون بشكل غـير بطـولي خلال الوجود دون إدعاء، ويعيش «أبطـال» الكوميـديا بطريقـة متواضـعة تمامًا، بينما يخضع أبطال التراجيديا لأن يتركوا أثرًا من الحزن واليأس.

وكان من الممكن أن يشير ميكير أيـضًا إلى شخـصية فاوسـاتية (نـسبة لفاوست)، الذي دائمًا يتوق ويتشوق للحصول على ما هو مؤقت، ويسرع دائمًا للبحث عن شيء آخر؛ لأن «السعادة لا توجد حيث توجد أنت».

وتؤدي وجهة النظر التراجيديـة للإنـسان - كـما يقـترح ميكـير - إلى كارثة ثقافية وبيولوجية، وإلى أن الوقت قد حـان للبحـث عـن البـدائل، التي تشجع على بقاء أفضل لكائناتنا والكائنات الأخرى.

فقد كان كومس - نصف الإله، الذي يحتمـل أن يكـون اسـمه أصـل كلمة «كوميدي» - مشغولًا بالخصوبة، وحياة الأسرة المنـسجمة، والمعيـة الاجتماعية، وترك الأشياء ذات الأهمية الفكرية الكبيرة لأپولّو، والمـشاعر الهائلة لديونيسيس.

ويعتقد ميكير أن التطور البيولوجي يُظهر كثـيرًا مـن مرونـة الكوميـديا، أكثر مما يظهر من ثقل «العاطفة الماليثية (الضخمة المتراصّة)»، وأن الأنظمـة البيئية الناضجة مرتبة في توازن ثابت نسبيًّا، بين حـشد مـن الكائنـات الحيـة المتنوعة.

وخلال التسعة آلاف عامًـا الماضـية، كـان الجـنس البـشري يتـصرف كجنس غازٍ رائد. هذه الكائنات فردية، وعدوانية، ومندفعة، وهي تحاول

أن تتخلص من الكائنات الأخرى أو تقمعها، كما أنها تكتشف طرقًا جديدة للعيش تحت ظروف خارجية غير مواتية - باهرة!، ولكنها في النهاية مدمرة للذات. وقد تم استبدالهم بكائنات أخرى مناسبة بشكل أفضل لإعادة تثبيت ونضج النظام البيئي؛ فإذا أراد الجنس البشري أن يتجنب استبداله إذًا، فيجب أن يتوقف الكفاح ضد الطبيعة، ويجب احتضان نوع من اتجاه «العودة للطبيعة»، بما لا يعنى أن أسلوب الحياة والمجتمع سيصبح بسيطًا جدًّا بالنسبة لقدراتنا الذهنية الكبيرة. وعلى العكس من ذلك ، فإن العلاقات في النظام البيئي الناضج أكثر تركيبًا، مما يجعل أي جنس بشري لا يستطيع فهمها بالكامل. ومع الفهم المتزايد والحساسية المتزايدة تجاه العلاقات الداخلية، يستطيع البشر أن يعيشوا بوسائل مادية معتدلة، ويصلوا إلى ثراء هائل من الأهداف.

وللفلسفة البيئية T بعض من خصائص كوميديا ميكر: المساواة، والابتهاج، والتعايش في جماعات صغيرة، وأيضًا القليل من التراجيديا: تقترح المُثل (كخطوط إرشادية) لعدم العنف، ولكن يستحيل الحصول عليها، إذا تم فهمها تمامًا وبصفة مطلقة. علاوة على ذلك، فإنها تؤكد الإيحاء بالعمل؛ من أجل ظروف اجتماعية أفضل. ويبدو أن الأسلوب الكوميدي المرسل على سجيته - مع ولعه بالتكيف الشخصي - يترك من هو أقل حيلة؛ ليبقى تحت رحمة العناصر. وقد يكون الأسلوب الكوميدي هو أسلوب المستقبل، ولكن الصراع السياسي الشديد يقف بيننا وبين هذا الهدف، ووقتنا لم يعد وقت الاسترخاء التام!

ومازال السلوك البشري اليوم رائدًا في غزو الكائنات، يقدم تخلفًا ثقافيًّا مأساويًّا.. إنه سلوك مضاد بشكل منظم لعملية المماثلة، وما يثمر عنها من شفقة والعيش بلا مبالاة على الأرض.

(4) منظور تاريخي 1 : الإنجيل

لماذا لم نتمكن في الدول الأوروبية أن نصل إلى مستويات عالية من المماثلة؟ هل لأنها ليست أساسًا مشكلة تقنية؟ هل لأن خضوعنا للتكنولوجيا يتطلب إقصاءنا عن هدف معالجتنا؟ من الصعب أن نقدم إجابة كاملة.

وقد أثر الإنجيل - وما زال يؤثر - في نظرتنا إلى مكاننا داخل الأنظمة البيئية، وهذا ينطبق على المسيحيين، وغير المسيحيين.

لقد تمت من قبل دراسة الإنجيل من وجهة نظر بيئية، وقد ظهرت اتجاهات راديكالية مختلفة. ويجب توقع هذا، إذا أخذنا تاريخ أصل الإنجيل في الاعتبار، وسوف أقتصر هنا على ملاحظات قليلة على الفقرات الإيجابية.

تشير أماكن كثيرة في الإنجيل إلى أن الله قد أعطى الكائنات البشرية نوعًا من الوضع المتميز بالنسبة لبقية المخلوقات، ولكن السؤال: «ما نوع هذه المزايا؟»، يجعل الأمر يتطلب بحث عبارات محددة داخل أقسام محددة.

وطبقًا لسفر التكوين، الفصل الأول، آية 28، يبدو أن الله يريد للإنسان أن يخضع الأرض ويملأها بالذرية. لقد أعطينا السيادة، ولكننا لم *نعط الحرية* لفعل أي شيء نريده. والنسخة التي أجيزت تقول«عمّروا الأرض، وأخضعوها: وسيطروا على أسماك البحر..». وقد تؤدى هذه الجملة،إذا استخدمت *منفصلة عن النص*، إلى اتجاه متعجرف، لا يأخذ في الاعتبار الخلق أجمعه.

وطبقًا لسفر التكوين 9:3، الله *أعطى* كل شيء لنوح، ولكن يبدو أن سفينة نوح كانت مزدحمة جدًّا وغير مريحة بالنسبة له، وربما يكون قد نظر

بضيق شديد إلى المخلوقات الكثيرة عديمة الفائدة، وربما تمتم «لو كانت لي سيطرة، لكنت أعرف ماذا أفعل!» ويبدو أن سيطرته كانت تشمل تلك الأشياء التي يحتاجها نوح وسلالته *ليحيوا حياة صحية، من خلال الخوف من الله. وعمليًا*، لا يوجد هناك وجه للمقارنة على الإطلاق بمستوى المعيشة المادي المتوسط في الغرب.. والعبارة يمكن تفسيرها؛ لتعني أن الله يورث الأرض كنوع من الملكية الشخصية، ولكن التفسير الأكثر منطقية هو أن الله يضع كل شيء تحت تصرف نوح، بشرط صارم، وهو أن تستخدم طبقًا لوصايا الله؛ أي أن يتلقى نوح حق الاستخدام، وليس حق الملكية. ويوجد استخدام واسع أيضًا لهذه السيطرة من النوع نفسه في سفر المزامير (التوراة)، 8:5 و 8:6. «لأنك قد جعلته أقل بقليل من الملائكة، ... لقد وضعت كل شيء تحت قدميه.»

ولكن هناك أيضًا اتجاهات مساواتية أكثر في كتب موسى، «حيتان ضخمة، وكل مخلوق حي، وطير مجنح يكون مفيدًا ويتكاثر، ويملأ البحار والأرض »(سفر التكوين 1 :22، 21)؛ فالله نادرًا ما كان في ذهنه أعمال صيد الحيتان! ويبدو أنه قد افتُرض أن الكائنات البشرية يجب أن تملأ الأرض، ولكن ليس بحشر الكائنات الأخرى التي خلقها الله. ويكون من الصعب، حتى على النرويجيين أن يبرروا صيد الحيتان والفقمة مع سفر التكوين 1:22. بارك الله الجميع بالتساوي: *كل شيء مبارك بشكل منفصل، ويشار إليه بأنه جيد*. ولقد أصدر الله أحكامًا شديدة القيمة، حتى قبل أن يخلق آدم. ويبدو أن الأجزاء الفردية من الخلق قد أُعطيت لها قيمة جوهرية. لا شيء من الأشياء التي خلقت لها القيمة كوسيلة فقط، ولم يخلق الله شيئًا من أجل الإنسان فقط ، أو من أجل أي كائن آخر فقط على الأرض. ولذلك، فإن النقطة الرئيسية في «المساواتية في المحيط الحيوي» هي التي تفوز: كل كائن حي مساو لكل الآخرين *بدرجة* قيمته الجوهرية.

وتنكر أيضا أماكن أخرى في العهد القديم تفردنا الهادف، مثال مزمور 104:118: «الهضاب العالية هي ملاذ للماعز البري، والصخور للأرانب (أرانب جبال الألب)». وقد تم وضع الهضاب العالية والصخور تحت تصرف الأرانب بالطريقة نفسها، التي سمح الله بها للكائنات البشرية، باستخدام ما نحتاجه من أجل حياة صحية، تتميز بالخوف من الله.

ووظيفة الإنسان كحارس أو وصي أكثر أهمية لتفسيرات الفلسفة البيئية. و«الله الرب قد أخذ الإنسان ووضعه في جنات عدن ليكسوها ويحميها»، (سفر التكوين 2:15)، وكانت الجنة صغيرة، ويفترض أنها لا تشكل تهديدًا لبيئات الكائنات الأخرى.

في هذه الفقرة وفي فقرات أخرى، يبدو أنه على الإنسان أن يكون مسئولًا عن نشاطه على الأرض. وفي بعض المواقف، يجب أن يخفف الجنس البشري من تأثيرات الحيوانات المفترسة على الكائنات الأخرى، بالإبادة وبحرصه على أن يسود النظام والانسجام، فالذي خلقه الله لا يجب أن يفنى، حتى ولو كانت الأفاعي في الجنة.

والجنس البشري مسئول أمام الله في ضوء وضعه المتفرد المسئول؛ وبعض التعبيرات التالية، مثل: حاكم، خليفة، نائب، وصي، رجل الإدارة، الوكيل والخادم استخدمت في الإنجيل والقرآن.

وللأسف.. فإن دور الوصي بواجباته ومسئولياته ليس له تعريف منظم في أي مكان في الإنجيل. وفي العهد الجديد، فمن الطبيعي أن يشار إلى حكاية الخدم المخلصين وغير المخلصين. «زرع رجل ما حقلًا من العنب وأحاطه بسور، وحفر مكانًا وذهب إلى بلد بعيد» (مرقس 12:1) لم يعط المزارعون المالك أي نبيذ.. لم تسر الأمور معهم كما يرام. «مملكة الله ستؤخذ منكم، وتعطى لأمة تجنى الثمار من ذلك» (متى 21:43).

استخدم كثيرون هذه الحكاية، لدعم اتجاه ضرورة أن يكون الجنس البشري مسئولا عن كيفية التصرف بيئيًا.. وهناك كثير من الأدلة خلال العصور، تؤيد أهمية هذا التفسير.

وطبقًا لبولس، فإن الأرض لا تنتمي للجنس البشري: «فالأرض ملك الرب، ومن ثم الكمال» (I كورنيثيوس 10:26). كل شيء خلقه الله فهو طيب (1 تيموثوس 4:4). والعهد الجديد - ككل - لا يذكر الطبيعة الخارجية قليلًا؛ لأنه عما قريب سينتهي العالم، والخلاص الروحي للجنس البشري هو بالنسبة للعهد الجديد أكثر أهمية، عما هو في العهد القديم. وكما فهمنا من چيمس وات - ضمن آخرين - فإنه لم يكن هناك وقت لنضيعه في الحفاظ على الطبيعة.

ولكن، لنعد إلى العهد القديم...

كل شيء خلقه الله طيب ومرتب بحكمة أكثر، وتنوع أكثر من أي شيء يمكن للإنسان خلقه.. لذلك، فإن الطبيعة تشهد على وجود الله، *ليس فقط في تنوعها*، ولكن أيضًا في النظام البيئي؛ حيث تقود سلسلة الغذاء إلى ظروف أدنى:

> **تزأر الأسود الصغيرة في البحث عن فريستها، وتطلب لحمها من الله. (مزمور 104:21)**
>
> **يارب، كم هو متنوع عملك! بالحكمة صنعتهم جميعًا: والأرض مليئة بثرواتك (مزمور 104:24)**
>
> **إذًا، هل هذا بحر ضخم وواسع، حيث تزحف أشياء لا تحصى، حيوانات صغيرة وكبيرة. (مزمور 104:25).**
>
> **... الرب يفرح بأعماله. وهو ينظر إلى الأرض، فترتعد: ويلمس التلال، فتتبخر. (مزمور 32، 104:31).**

في هذا المزمور البيئي الشهير، لا يُمجَّد الجنس البشري من خلال الإنسان، كما تم - كذلك - تنوع لا يقدَّر من الحيوانات والعمليات الجيولوجية، التي ليس لها أدنى منفعة للبشر - على قدم المساواة - مع كل شيء آخر.

ويشجع الرب في الإنجيل أن تفرح الزلازل والثورات البركانية؛ فهذه الأحداث يُقصد بها أن تكون جيدة وجميلة، ولكن ليس بشكل خاص للبشر.

يقول الإنجيل، إن الرب يفرح بخلقه، وكذلك بفعل الإنسان.. ولكن أحيانًا بدرجة كبيرة! الفرح بالخلق ونسيان الخالق. هذا هو أحد مصادر احتقار العالم من الرؤية المسيحية. الخاطئون «الذين غيروا حقيقة الله إلى كذبة، وعبدوا المخلوقات وخدموها أكثر مما عبدوا الخالق...» (الرومان 1:25)، على الرغم أن «الأشياء غير المرئية من الله منذ خلق العالم قد تمت رؤيتها بوضوح، لكونها مفهومة من جانب الأشياء التي صنعت، حتى قواه الخالدة والربوبية... (الرومان 1:20)». ونجد ميلًا لاستنتاج النتيجة المرغوبة للفلسفة البيئية، وهى أن «پولوس يعزو خطيئة الإنسان إلى فشله في أن يرى أعمال الله في الطبيعة ». هذه هي النتيجة التي توصل إليها سي.چيه.جلاكن في عمله الاستثنائي البيئي التاريخي « آثار على شاطئ رودوس» (1967)، ص. 161 . وعلى أي حال، يبدو أن پولوس يقول إنه من المفترض أن يرى الإنسان الله في الخلق، ولكنه رغم ذلك ينتهك وصاياه. ويؤكد پولوس على تجلي الله في خلقه؛ أي الطبيعة؛ لأن هذا التجلي نفسه يجعل من الأعمال السيئة للبشر خطايا. وليس لديهم أي عذر.. إنهم يعرفون ربهم، ويرونه في خلقه، ولكنهم رغم ذلك يتصرفون بطريقة ملحدة وغير عادلة.

ولذلك، فإن تمجيد الخلق دون تمجيد الخالق نوع من الوثنية، وكذلك مماثلة الله مع الخلق. ولتفنيد هذا الأخير، نقول إن معجزة الله قد تم *تباينها* مع تلك الخاصة بالطبيعة، هذه مجرد فكرة تأملية، ولذلك اعتبر الانشغال بالطبيعة أمرًا مؤذيًا.

وثمة مصدر آخر *لاحتقار العالم* قائم على سفر التكوين 3:17 ، «وإلى آدم قال، لأنك قد أصغيت لصوت زوجتك، وأكلت من الشجرة، التي أمرتك، قائلا، ألا تأكل منها: لعنت الأرض من أجلك....»، ويبدأ سفر التكوين 3:18 : «سوف تجلب لك أيضًا أشواكًا...»، وقد استنتج البعض أن الأشياء الأقل تقبلًا - مثل الأشواك - قد تم خلقها بعد هبوط الإنسان من النعيم الإلهي؛ حيث تم *خفض نوعية الطبيعة*،ولذلك.. فإن النوعية الرديئة تبرر الاحتقار.

ومن الصعب تقرير مدى تأثير هذه التفسيرات الفارقة، وقد أظهرت الفقرات المقتبسة السابقة - فقط - مدى ارتباط مادة الفلسفة البيئية في النصوص الإنجيلية. وخلال العصور، كان يشار إلى الإنجيل للمساندة في مواقف مختلفة - إلى حد كبير - وغير متسقة بشكل متبادل. وفي السنوات الأخيرة، أكدت بعض التفسيرات النموذجية للإنجيل مسئولية الإنسان تجاه الله عن كيفية التعامل مع عجائب الطبيعة، وقد حاول الكلام السابق - بشكل أساسي - إضعاف الانطباع بأن دورنا قد تم تفسيره بانتظام خلال العصور، وأن هذا التفسير قد عبر عن العجرفة، والتفكير النفعي، والإيمان العقيدي الأعمى. ولا يمكن أن يشتق رأي الفرد بشأن الحركة البيئية من حقيقة أنه «يؤمن بالإنجيل».

وتكون حكمة الله سخيفة، لو قيل إنه قد أشرك مخلوق جاهل جدا ووضيع، *كالإنسان*، ليدير أو يحرس هذه الطبيعة الضخمة ، التي لا نفهم منها إلا القليل جدًّا، فالطبيعة ليست مساحة صغيرة من الخضراوات!

وتتضمن عجرفة الضيافة فكرة التفوق، التي تشكل الأساس لفكرة أننا نوجد لنراقب الطبيعة كوسيط شديد الاحترام بين الخالق والخلق، ونحن نعرف القليل جدًّا عما يحدث في الطبيعة؛ لكي نتولى هذه المهمة.

وأهم نقاط الضعف في التعبير هي ربما أنه بالنسبة لإدارة الطبيعة، فإن الظروف البسيطة والواقعية تكشف قدرتنا المحدودة جدًّا في تخطيط نموها أو حتى تطورها، حتى إذا لم يكن التطور وانجراف القارات - وعمليات أساسية ضخمة أخرى على أرضنا - متضمنًا في المحاولة.

وفكرة المدير هي فكرة أكثر معقولية، إذا كانت مقصورة فقط على الحيوانات الأليفة والأراضي الزراعية. وتكون كلمة «الطبيعة» إذًا أقل شمولا، مما يتطلبه منظور الفلسفة البيئية. إن مسئوليتنا اليوم ليست مسئولية الوصي، ولكنها مسئولية اللص والمناور، ويجب أن نواجهها، كما أن فكرة جهلنا بالتَّبِعات تتضمن معيارًا بشأن القصور والتحكم الدقيق لتدخلنا. ولكونها اعتدالية، وأكثر ارتباطًا بالتواضع المسيحي، فإن فكرة المدير قد تساهم في تقوية الوعي بالمسئولية البيئية. *والخلفية الدينية لمثل هذا الوعي هي ميزة لا يمكن الاستعاضة عنها*، ولكن مَنْ لا يوقف إنزال الأذى، لا يصبح مديرًا.

ويميل علماء اللاهوت المسيحي - الذين درسوا الموقف البيئي الحرج للجنس البشري - إلى اعتناق الحركة البيئية، ويجدون دعمًا كاملًا في الإنجيل. واللاهوت المسيحي ليس متجانسًا بأي حال من الأحوال، ولا يجب التعامل معه على أنه كذلك، ومحاولة القيام بإحداث التجانس ربما تميز اتجاهًا يمقت *التنوع*، عندما تكون الاختلافات أعمق مما يستطيعوا السيطرة عليها بالكامل، وتحبط الاختلافات الواردة في اللاهوت المسيحي الذين يستنكرون التنوع.

ولنعط مثالا لجزء من الفلسفة البيئية المسيحية ، دعنا نتأمل بعض الأفكار التي وضعها إي.إف. شوماخر في مقالة قصيرة جدا بعنوان «*عصر الوفرة: منظور مسيحي*» (1974)، وسوف نسمي هذا المنظور «الفلسفة البيئية S» بغرض مقارنة المصطلحات.

يعلن شوماخر أنه في هذه المقالة «سيأخذ منظورًا كليًّا»، «يمكن الحصول عليه فقط من ارتفاع كبير»، ويعني في مصطلحات الفلسفة البيئية T ، «عمقًا كبيرًا». والحقائق ليست كافية؛ فهي تحتاج للتقييم، بمعنى تهيئتها في نظام قيمة؛ لكي تكون ذات نفع. وفي المصطلحات الخاصة بي: تحتاج النظريات إلى أن تتصل بالمعايير؛ لكي تشتق القرارات، ويمكنني - بالأحرى - تأكيد أنه « من ارتفاع المنظور الكلي فقط ، يمكن أن نحصل على نظام قيمة ذي مغزى».

وتطابقًا مع المعيار الأعلى ونظرية الفلسفة البيئية T، يقترح شوماخر استخدام ما سماه «إجناتيوس»، في اقتباس من «لويولا»، «الأساس»:

> خُلِق الإنسان ليسبِّح، ويوقر ويطيع الله الرب، وبهذه الوسيلة ينجي روحه؛
>
> ولقد خلقت الأشياء الأخرى على وجه الأرض لصالح الإنسان؛ وللمساعدة على تنفيذ الهدف الذي خلق من أجله.
>
> ومن ثم، يمكنه أن يتَّبع
>
> وأن الإنسان يجب أن يستفيد من ذلك ، حسبما ما يساعدونه على الحصول على هدفه،
>
> وأنه يجب أن يسحب نفسه منها بقدر ما يمنعونه.

ومن وجهة نظر النظام المعياري، فإننا قد نبدأ بمعيار «الإنسان يجب أن يفعل ما خلق لفعله!» باستخدام نظريتين مدعمتين من السطور الأربعة الأولى من المقطع المقتبس: ونستطيع من هذه المقدمات النهائية أن نشتق المعيارين المعبر عنهما في السطور الأربعة الأخيرة.

كتب شوماخر يقول إن «منطق هذه القاعدة لا يهتز ؛ إنه في الواقع نوع من المنطق، نحاول أن نطبقه بشكل ثابت في شئوننا اليومية، سواء كانت أعمالًا، أو علومًا، أو هندسة، أو سياسة »، باستخدام مصطلح «منطق»، كما يستخدم في الحياة اليومية، أكثر مما يستخدمه مؤلفو الكتب الدراسية في المنطق الرمزي.

«أي شخص يكون مستعدًا لقبول هاتين المقدمتين لا يمكن أن يرفض قبول النتيجة»، وقد يجعل المرء هذه العبارة أكثر مصداقية بتفسير مصطلح «الله»، بشكل غير تقليدي في الجملة الأولى، كنوع من الجملة المعيارية «الله!»؛ أي اجعل أي جملة عن هذا الذي خلقنا الله لنفعله؛ لتكون مزيجًا من المعيار والنظرية.

ويذكر شوماخر معيارين يمثلان المستوى الثالث من الاشتقاق داخل نظامه، وتعنى الجملتان الأخيرتان من الفقرة المقتبسة من «لويولا» أنه «حينما لا يملك الناس ما يكفي للحصول على هدفهم، فعليهم أن يحصلوا على المزيد، وحينما يملكون أكثر من الكافي، فعليهم أن «ينسحبوا» من ذلك المزيد».

ويعكس «لويولا» الرأي السائد في عصره، عندما يقول بأن « الأشياء الأخرى على وجه الأرض خلقت لصالح الإنسان...». ومن الصعب أن ينسجم ذلك مع الآراء الأساسية داخل حركة البيئة العميقة. أما بالنسبة لشوماخر، فهذا لا يبدو صعبًا، وهو يستشهد بالمفكر الكاثوليكي الأكبر للعصور الوسطى:

> يقول القديس توما الأكويني، إن أصغر بعوضة هي أكثر روعة من أي شيء صنعه الإنسان أو سيصنعه في أي وقت. إذًا لا يجب أن يفقد الإنسان إحساسه بالعالم المدهش حوله وداخله.. عالم لم يصنعه هو، وبالتأكيد لم يصنع نفسه. وهذا الاتجاه يولد حالة من عدم العنف، التي هي شكل أو مظهر من أشكال أو مظاهر الحكمة.

ولا يقصد شوماخر أن البعوض أكثر روعة للإنسان، كشيء ينتفع به عن أي شيء صنعه الإنسان بنفسه، ولكن يبدو أنه - بشكل ما - يشير إلى روعة مخلوقات الله، وإذا كان هذا ما يقصده، فإنه يعترف بالقيمة الجوهرية لكل الكائنات الحية.

ويستخدم شوماخر المصطلح المهم الغامض والمبهم؛ لكي يشير إلى خطوط إرشادية تقريبية للسياسة، وهذا قريب من صياغات T_0 التي استخدمتها. وإنه من المتأخر جدًّا إجراء مقابلة مع شوماخر؛ لكي نوضح موقفه من النقاط القريبة من حركة البيئة العميقة والمشتركة معها، ولكن يمكن أن نؤكد - بثقة - أن الفلسفة البيئية S المسيحية يمكن تطويرها على أساس كتاباته المؤثرة.

(5) منظور تاريخي 2 : من أفلاطون إلى ديكارت

نشأت في أواخر العصور القديمة اتجاهات، وجهت انتباه الإنسان «إلى الأعلى» وإلى الروح «النقية»، وكان هناك تباين بين الروح والجسد: «... بينما نحن في المنزل في الجسد، فإننا غائبون عن الرب» (بولوس في كورنثيوس الجزء الثاني - 5:6)، وتم تشجيع التأمل الداخلي لغير صالح ما يسمى الكائن البشري الخارجي، والمجتمع والبيئة الخارجية. والجسد، والأشياء، والعالم المادي.. كلها كانت تعتبر عوائق لحياة الروح.

وقد شكلت الطوائف المسيحية جزءًا صغيرًا من الذين قادوا هذا التحول خلال العالم الروماني الإغريقي كله، وقد قام دارس الكلاسيكيات إتش. بي. لورانج (1953)بوصف هذا الاتجاه قائلًا :

يجب أن يتغلب البشر على فوضى الإدراك والمفاهيم، التي خدعتنا بها حواسنا ووضعتنا فيها، وأن يبحثوا عن واقع أسمى. ويمكن تحقيق ذلك بجمع الروح في حياة داخلية، في مفهوم - وفى التأمل الفكري «للأشياء»، وتقع خلاصة «الأشياء» في الأفكار. حتى

أفلاطون في القرن الثالث بعد الميلاد، يرى في الحقيقة المحسوسة للطبيعة انعكاسًا جميلًا للأفكار، ولكن أشياء الطبيعة فقدت تدريجيًا هذا الانعكاس. وانسحب المرء من العالم الخارجي، من «الجسد الجميل»، وجمع نفسه مع الحياة الداخلية، خلال احتمالية مجددة.

تضمنت الرؤية أحادية الجانب هذه انتقاص الواقع المادي في مجموعه، أو - بمفهوم الفلسفة البيئية - انعزل مظهر من مظاهر الوجود، وسُمِّي «الواقع المادي».

والبحث عن كائن خارق للطبيعة يمكن أن يصبح بسهولة مسعًى عدائيًّا للإنسان والبيئة. في الحقيقة، فإنه قد يؤدي إلى فن رائع. ولا يعنى حدوث نضال عنيف للأعلى، نظريًّا خفض الواقع المادي في جملته، ولكن يبدو أنه قد فعل ذلك. ويجادل لورانج أن هذه الخاصية يمكن تتبعها في كل أشكال الفن، والفلسفة، والفكر الاجتماعي في الغرب:

ولذلك.. فإن الفن الكلاسيكي هو تعبير عن التوازن، وعلاقة تصالح بين الجنس البشري والعالم.. إنه هذا التوازن السعيد بين الداخلي والخارجي المفقود في أواخر العصور القديمة. لقد حرم البشر من الولاء المباشر والحسي للعالم الخارجي، وانسحبوا إلى مواضع منعزلة في حياتهم الداخلية.. هذا هو البرج الذي كان ينظر منه الفن إلى أسفل على الواقع، في أواخر العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى.

لذلك.. فإن بيترارك عانى من تأنيب الضمير، عندما أعجب بالطبيعة: «لقد ذهلت ... وغضبت من نفسي؛ لأنني مازلت أعجب بأشياء أرضية.. كان يجب أن أتعلم منذ وقت طويل، حتى من الفلاسفة الوثنيين، أن لا شيء يستحق الإعجاب بجانب العقل: وبالمقارنة لعظمته لا شيء يكون عظيمًا». (رسالة سينيكا 8.5 ، بيترارك 1966).

يا له من مثال مثير للمشاعر لتمجيد الجنس البشري لضرر شيء آخر! إذا كانت «س» مجيدة و «ص» تختلف عن «س»، إذًا لا يمكن أن تكون «ص» مجيدة! لكن أليس كل من الحلين أو الحل يمكن التسليم بأنه ممكن؟ (انظر الفصل الثاني.)

ويستمر النص المقتبس في توضيح دور التأمل الداخلي، ذاكرًا:

... لقد كنت راضيًا تماما بما رأيته من الجبل، وحولت عيني الداخلية تجاه نفسي... كم مرة تعتقد اليوم أنني ألتفتُّ للخلف، ونظرت تجاه قمة الجبل بينما كنت أسير؟ يبدو لي أنه يرتفع أعلى بقليل عن الذراع، بالمقارنة بارتفاع التأمل البشري، حيث يكون هذا الأخير غير مغمور في قذارة الطين الأرضي.

ومن وجهة نظر الفلسفة البيئية T، فإن بيترارك يمثل الارتداد من ذات متسعة إلى ذات ضيقة، فهو يوقف مماثلته السابقة، ويجعل الفرق بين الداخلي- الخارجي ماديًّا ، عازلًا نفسه عن الجبل.

يجعل الفرق بين «في الذات» و«في الخارج في الطبيعة» وصف علاقتنا بالطبيعة صعبًا . وعندما يتم تجاوز هذا الفرق بنجاح، يظهر مفهوم آخر للطبيعة ومفهوم آخر «للذات».. إن المفهوم هو الحدس الجوهري الكامن خلف الفلسفة البيئية T.

هذا التمجيد للبشر على حساب الطبيعة يصبح - من ناحية الفلسفة البيئية - ذا علاقة، عندما يظهر في أولويات القيمة.. ويكون له تأثير بيئي سلبي واضح بالقدر الذي ينتقص من الممالك البشرية ، أو يعمينا عنها.

وقرب نهاية العصور الوسطي، انحسرت القوة المسيطرة، التي كان يمارسها الدين الرسمي على عقول الأفراد. من المعروف إلى حد بعيد أن هذا يرجع - جزئيًّا - إلى كشف غموض الواقع عن طريق العلم، والتقنية، وظهور اقتصاديات رأس المال. لقد قللنا من كفاحنا للصعود للأعلى، *ولكن دون عودة إلى الاتجاه المنسجم نسبيًّا مع الطبيعة*. كما استمر انتقاصنا للواقع «المادي»، وهو الآن على شكل استغلال. *وأصبحت الطبيعة تفسر على أنها عبد ومادة خام معًا*. ومثل العبيد، يمكن للطبيعة أن تثور، وأصبح تعبير «الكفاح *ضد* البيئة» يستخدم بشكل مستمر منذ ذلك الوقت، وتحولت العدائية للواقع «المادي» إلى الطبيعة بشكل عام.

واحتفظ الأوربيون بفكرة أن ارتباطنا بالطبيعة خارجي ونفعي بشكل ضيق؛ لذلك.. يبدو أنه من النفاق التظاهر بأننا يمكن أن نراعي الحيوانات والنباتات، إذا لم يكافئ مالك الخلق ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، بعد زوال الله الخاص بالعصور الوسطى. وقد استمر الاتجاه الخفي للمماثلة خلال عصر النهضة، وخلال العصور الأكثر حداثة، بينما كانت الصورة الميكانيكية - والمنعزلة للطبيعة - موجودة في الوقت نفسه في مجموعه مع الاستغلال «العملي». كانت كل المكونات متوافرة لإحداث تغير كامل ومفاجئ في الاتجاه، الذي قام به رينيه ديكارت.. لقد طالب ديكارت في كتابه «*أسلوب الخطاب*»:

> ...الفلسفة التأملية التي تدرس في المدارس يمكن استبدالها بفلسفة عملية... ومعرفة قوى وتأثيرات النار، والماء، والنجوم، والسماء... وقد يمكننا بذلك أن نجعل أنفسنا، كما لو كنا، سادة ومالكي الطبيعة.

(6) احترام ذاتنا ليس فقط نتيجة لأهميتنا: مجرة درب التبانة تثير أيضًا الاحترام

هل سيحرم الفرد من أي شيء، إذا سلمنا بأن: (1) الفرد لا يمثل وضعًا مميزًا في الكون، و(2) أن تكون هناك مناظير أخرى بالقيمة نفسها تمامًا كالمناظير البشرية؟

كان أرسطو على الاستعداد للاعتراف بوجود مناظير كلية بخلاف تلك الخاصة بالبشر:

> لأنه سيكون من الغريب اعتبار السياسات أو الحكمة العملية كأسمى أنواع المعرفة، بينما الإنسان هو ليس أفضل شيء في الكون. وبالتأكيد، إذا كانت كلمة «بصحة» و«جيد» تعنيان شيئًا واحدًا للإنسان، وتعني شيئًا آخر للأسماك، فإن كلمتي «أبيض» و«مستقيم» دائما تعني الشيء نفسه، وكلمة «حكيم» يجب أن تعني الشيء نفسه للجميع، ولكن «حكيم بشكل عملي» مختلفة؛ لأن كل كائن معين يعزو لنفسه الحكمة العملية المرتبطة بنفسه، وبذلك الشيء الذي يحافظ على مصلحته جيدًا، وسوف يعهد بنفسه لذلك الشيء. وهذا هو السبب في أن الناس ينسبون الحكمة

العملية - حتى لبعض الحيوانات - لكل الذين يظهرون قدرة على التدبر في الشئون المتعلقة بحياتهم الخاصة.

Nicomachean Ethics 1141 ، 20 - 6

هل مبدأ «القيمة اللانهائية» لكل فرد وطبيعته المتفردة، التي لا يمكن الاستعاضة عنها، أكثر معقولية داخل الكون البالغ الصغر للعهد الجديد، والذي يشكل فيه الجنس البشري المركز والمنظور الزمني القصير، عن داخل المجال البيئي الهائل لعلم البيئة؟ وتعتمد إجابتي السلبية على فكرة أن «الحياة أساسًا واحدة».

والمسألة المهمة والجوهرية بالنسبة لكل الأفراد هي سلوك الفرد الشخصي، فكل فرد لديه مسئولية، وكل فرد لديه شيء يحافظ عليه، وشيء ينميه. لمقاومة اللامبالاة وقلة احترام الذات ، ارتكب فلاسفة الأخلاق خطأ بوضع البشر في موضع متفرد من الاحترام، متعارض مع اتجاه مفتوح لبقية الطبيعة. وفي علاقته بالكائنات الأخرى على كوكبنا، فإن *الإنسان* يكون متفردًا: من الصحيح أن نطلق على أنفسنا متفردين *على الأرض*، ولكن ما وضعنا في مجرة درب التبانة ؟

إذا قدرنا أن عدد النجوم في نظام مجرة درب التبانة، هو مائة ألف مليون (ربما يكون أكثر)، وافترضنا أن واحدًا من المليون منها، به كواكب تتوافر بها مقومات الحياة الجيدة. ولو ظهرت كائنات ذات أعضاء إدراكية ولها قدرة أكبر من قدرة عقولنا في نصف هذه الكواكب، فإن ذلك يعنى أننا نواجه حوالي 50.000 كائن حي، يشغل وضعًا مشابهًا لعلاقتنا بالحيوانات الأخرى على كوكبنا. وهناك خط تطوري طويل يمكن رسمه، والإنسان في الوسط، التوسط (إذا احتفظنا بتفكيرنا التنافسي العادي)... الطيور المغردة .. *الخنفساء المرقطة الجناحين...؟*

... الإنسان... س...ص...

قد يعارض البعض بأن المقومات المسبقة الجيدة للحياة قد تكون حتى أكثر ندرة. حسنًا، دعنا نفترض أنها تظهر في المتوسط في نظام شمسي واحد فقط حتى مائة ألف مليون، وربما نكون في مجرة درب التبانة فقط، ولكن بتقدير متحفظ، هناك مائة ألف مليون كوكب نجمي من نوع مجرة درب التبانة، داخل مجال رؤية تلسكوباتنا الضخمة. إذا كان في النصف منها حياة أقل منا في القدرة العقلية، وفي النصف الآخر حياة ذات قدرة أكبر، فسوف يكون هناك خمسون ألف مليون من الكائنات الحية ذات عقل متطور عنّا. ولكن لماذا تشغلنا جدًّا هذه المنافسة؟

إننا لا نصبح أقل عندما نُرى من منظور مجرة درب التبانة، طالما أن لدينا إحساسًا معينًا بالمشاركة في شيء عظيم، كما أن مشاركتنا لا تبدو أقل أهمية من أي شيء آخر.

وكلنا نعرف أنه قد يكون للحياة مستقبل كبير، نشارك فيه ونغيره. و فيما يتعلق بالإمكانات الكونية، نستطيع - دون تعارض مع أي من «الحقائق الثابتة» - أن نعتنق نظريات مثل تلك الخاصة بتطور الوعي، الذي يشمل الكون بأسره. وأنا شخصيًّا، يمكن أن اقبل بما هو أقل، ولكنه سيكون أمرًا اعتباطيًّا أن نضع حدًّا نظريًّا لتطور الكيانات الواعية في الكون وقوتها.

وهناك ملاحظات على الحياة في الكون مرتبطة بالفلسفة-السياسية؛ لأنها قد وسعت - وربما مازالت تستطيع أن توسع - منظور كثير من الناس. ودون توسع معين في المنظور، تكون السياسات البيئية مستحيلة.

(7) عدم العنف وفلسفة الانسجام

نحن لا نزعم أننا نقدم فيما يلي أكثر من خط فكرى، يمزج وجهة نظر ميتافيزيقية أساسية أو دينية مع نمط للتعامل مع كثير من الصراعات، التي يستلزمها بالضرورة الدعم النشط لسياسة بيئية مسئولة.

وقد تكون اللهجة القوية لعدم العنف الموجودة في الفلسفة البيئية T مكروهة من البعض، وهناك على الرغم من ذلك مظهر لعدم العنف، والذي أعتقد أنه لازم لكل المشتغلين بالبيئة. وتشير الخبرات من السنوات الحديثة إلى أن وجهات النظر البيئية تكتسب حركة للأمام - من خلال الاتصال السياسي - الذي يتسم بعدم العنف، والذي يقوم بتعبئة الأسس. ولكن ذلك يعنى تأكيدًا كبيرًا على معيار «تعامل مع القضايا، لا مع الأشخاص»، والذي يعني انفتاحًا معينًا تجاه وجهة النظر البيئية للمعارضة. وباختصار.. فإن عباراتهم لا يجب أن تخضع لتفسيرات محرفة، كما لا يجب استيعاب الصياغات الصادرة من حزب المرء الخاص بشكل غير نقدي.

ويجب أن نرى أهمية قبول نظرية صراع عدم العنف، كجزء رئيسي من الفلسفة البيئية في ضوء موقفنا العالمي. ويجب أن يُتَّخذ - فيما بين 20 إلى 30 سنة قادمة - عدد وفير من القرارات الجماعية، ولكن يبدو أنه لا يوجد هناك دليل على أنها ستتخذ. وبافتراض أنها اتخذت، فيجب أن تؤيدها القوة والسلطة، ويجب - كذلك - اعتبار تخريبها انتهاكا خطيرًا للوفاء البشري المتبادل. وفى مواجهة كل هذه الصراعات، فإنني أعتقد أن كل مؤسسات صنع القرار الراسخة - بالإضافة إلى العمل المباشر - يجب أن تستخدم في حماية البيئة. وكلما تباعدت هذه المناهج الأخيرة بشكل جدي أكثر عن عمليات صناعة القرار الراسخة، كان من الأكثر أهمية أن تحصل على مستوى مرتفع، ليس فقط فيما يتعلق بالمعرفة البيئية، ولكن أيضًا فيما يتعلق بسلوك الصراع. وكلما كان العمل المباشر أكثر راديكالية، كثر عدد الناس الذين سيضارون دون قصد، ويتكون نوع من التواضع بشكل طبيعي، كما يجب تأكيد مبدأ عدم العنف النشط بشكل أكثر.

لقد كانت طرق عدم العنف وفلسفات الكمال والانسجام مرتبطة تاريخيًّا إلى حد بعيد؛ إذ جمع غاندي القوة والوحي من *باجافاد جيتا*، والتي تحتوي على عديد من العبارات الرئيسية، التي تعتبر القاسم المشترك لقطاعات ضخمة من الفلسفة الهندية. والأجدر بالذكر، هو الفصل السادس، مقطع 29 : «ذلك الذي نفسه منسجمة عن طريق اليوجا، يرى الذات تسكن في كل الكائنات، ويرى كل الكائنات تسكن في الذات.» ويضيف رابنيدراناث طاغور: «ولن يكون أبدًا مختبئًا بعد اليوم». ويعلق الفيلسوف شانكارا على ذلك قائلًا: «عندما تفهم البشرية أن كل المخلوقات تشعر بالفرح والألم نفسه مثلنا، فإننا لن نؤذي أي مخلوق»، ويكون الارتباط بعدم العنف مباشرًا.

ولكن الألم – وليس الفرح – هو الذي يقوم بالتزويد بالخبرة العاجلة للانسجام، وهذا عبرت عنه بوضوح الكلمات الافتتاحية لپيتر ويسيل زاپفي في كتابه «المسيح المنتظر» (انظر ريد روثينبرج1987):

> **ذات ليلة في العصور الماضية التي يتعذر استرجاعها، استيقظ الإنسان ورأى نفسه... وعندما جاءت الحيوانات إلى مصادرها المائية،حيث كان في انتظارها كعادته، لم يعد يشعر بدافع أن ينقض عليها، ولكن يشعر بترنيمة عن أخوة المعاناة، وسط كل ما هو يعيش.**

وطبقًا لفلسفات الانسجام، *فإن الطريق يسير أولًا للداخل فقط؛ ليقود للخارج مرة أخرى إلى كل شيء*. طريق الفعل (***karmamárga***) يقود إلى الفعل يوجي (*karmayogi*) بالاتصال مع كل المخلوقات، سواء كانت تشعر بالألم أو لا تشعر.. هذا هو الطريق الذي اتبعه غاندي.

ويسير التأكيد الغربي الكبير على إخضاع الطبيعة ضد بصيرة الانسجام هذه، وهذا الاتجاه ظاهر، حتى بين القادة البارعين لبرامج الصحة العالمية لهذا القرن. ويقول كارل إيڤانج:

نحن *البشر* نعيش في طبيعة عدائية، تتكون من بكتيريا وفيروسات... الطبيعة مازالت عدونا الرئيسي. والطبيعة، إذا أطلقنا لها العنان، ستدمرنا في الحال.. تقف *الثقافة* بين الإنسان والطبيعة، وتقدم المنظمات لحمايتنا.

وقد يمكن القول بأن *الثقافة* التي تحيط بنا كمنطقة عازلة بين الإنسان والطبيعة «ستدمرنا سريعًا»، إذا سُمح لها أن تنطلق بحرية في البلاد الصناعية . وربما تكون منظمات الصحة العالمية في حاجة إلى أيديولوجية، تكون متأثرة - إلى حد كبير - بالصحة الظاهرة في الطبيعة.

إن الحياة الجماعية مع الحيوانات في الأشكال المتطرفة لفلسفة الانسجام على المماثلة العميقة تعتمد في إظهار نفسها من خلال خبرة القيمة، والحقوق المتساوية. إن الأمر ليس تسلطيًّا - بطبعه - مثل الذئب الأخ الخفي، الذي أطاع بتواضع فرانسيس الأسيسي، فتاب، وبعد ذلك عاش حياة أفضل، ولم يتخيل غاندي الذئاب أو الأسود التي أصبحت «طيبة »، ولم ترتكب خطأً. وتفترض وجهة النظر البيئية - مسبقًا - قبول حقيقة أن الأسماك الكبيرة تأكل الأسماك الصغيرة، ولكن ليس بالضرورة أن يخنق الرجل الضخم الرجل صغير الحجم.

«إن فلسفة الانسجام » يمكن أن تكون اسمًا مضللًا؛ إذ يمكن أن تعطي انطباعًا بأن الشخص الذي يقبل بأمانة ووضوح هذه الفلسفة، يكون بذلك قد نجح وتصرف باتساق وبشكل ثابت، لا يحتمل الجدل بطريقة معينة، وأنه - كذلك - احتفظ بحالة عقلية معينة تجاه الكائنات المرافقة لنا. وفي هذه الحالة، فإن «فلسفة الانسجام »، يمكن أن تكون اسمًا لنظام كلي، مع تبعات واضحة في كل وضع من الأوضاع، وبخلاف ذلك، فإن المرء يكون متنازلًا عن حريته كشخص. ولكن التاريخ مليء بأمثلة تم فيها القبول بالأساسيات المجردة، وبعدد مؤثر من المعايير المشتقة الرائعة، التي لم تظهر في الممارسة. إن الاشتقاق من خلال المعايير

والنظريات *أطول بدرجة* لا يمكن أن يتم التحكم فيه، بينما تكون قدراتنا على العمل تلقائيًا كبيرة *جدًا*!

ولا تحل نقاط البدء النظرية لفلسفة «الواحد والكثيرين» محل الوقت الملموس، أو محل الوضع الذي تقرره المداولات، التي يجب أن تتم عند اختيار العمل السياسي الملائم. والمعيار المساواتي ليس مضللًا، ولكنه فقط خط إرشادي، إذا أراد المرء أن يأخذ القرارات السياسية - في الاعتبار - من أوسع منظور ممكن. وهذا يمكن أن يتم - بل يجب أن يتم - دون مراجعة للفلسفة، قبل كل اختيار وقبل كل عمل. وموقف الفلسفة البيئية هو ذلك الموقف، الذي يجب على المرء فيه أن يستنبط دعمًا من خبراء من مهن كثيرةً بينما على الجانب الآخر، يجب أن تبذل الجهود لدمج بصيرتهم في الكل، الذي لا يعد *انضباطًا* متبادلًا فقط، ولكنه أيضًا يشمل بيان الاتجاهات الأساسية العميقة.

في مصطلحات الفلسفة البيئية T ، يحمل الحرف S الكبير في «تحقيق الذات» *Self-realisation* حملا ثقيلا، ويوحي بفلسفة الانسجام كما يفعل الفصل السادس، مقطع 29 من *الجيتا*. ولكن بالطبع، الفرق كبير جدًا في المضمون؛ إذ إن الفلسفة البيئية T - كوجهة نظر كلية - تنتمي إلى تقليد ثقافي مختلف بشكل كبير. ويلمح الحرف الكبير S إلى أنه إذا استمر توسع وتعمق الذات *إلى ما لا نهاية*، فالذات ستحقق نفسها عن طريق *تحقيق الشيء نفسه*، مهما كان ذلك. ولأن للمستوى اللانهائي لتحقيق الذات معنى ميتافيزيقيًا، فإن الحرف الكبير S يجب أن يستخدم باقتصاد. وفي أي مستوى لتحقيق الإمكانات، تظل الأنا الفردية منفصلة، وهي لا تذوب مثل قطرات فردية في المحيط. وفي النهاية يستمر الاهتمام بنا فرديًا، الأفراد، وليس جماعيًا. ولكن الفرد لم يكن - ولن يكون منعزلًا - مهما كان لوجوده من شكل جشتالتي.

وعند التحدث عن الأفراد من البشر، فإنه لا مفر في مجتمعنا المنافس من أن نسأل: مَنْ كان في الأوقات التاريخية من البارزين في تناول تحقيق الذات؟ لا يمكن أن تكون هناك إجابة جيدة؛ لأن هذا التفوق في التاريخ المكتوب لا يهم؛ إذ يجب أن يكون هناك تأثير مسجل على نطاق واسع، ويجب أن يظهر المستوى فوق العادي، الذي ربما لا يكون ممثلًا للحال أبدا. ماذا عن غاندي؟ رغم كل شيء، كان غاندي تحت منظار نقدي - بشكل جزئي - لمدة نصف قرن. نعم، هو عبقري عدم العنف، ولكنه أيضًا مقاتل شرس، وسياسي ماكر. وبالتحدث عن هؤلاء البارزين، الذين تناولوا تحقيق الذات، فإنني أعتقد أن أشخاصًا مجهولين أكثر قد وصلوا إلى أعلى من ذلك، كما أن أسلوب وضع السؤال - على أي حال - يكشف طريقة التفكير الغربية المحلية إلى حدٍّ ما.

(8) تنظيم المعايير والنظريات المنطقية والنهائية للفلسفة البيئية T

(أ) *فكرة نماذج العلاقات المنطقية*

إن الصياغة الكاملة للفلسفة البيئية غير واردة؛ فتعقد ومرونة الكائن الحي يجعلان ذلك مستحيلًا، وربما غير ذي معنى كذلك. وقد تكون هناك أيضًا أسباب منطقية لاستحالة صياغة وجهة نظر كلية؛ إذ ستكون مثل الجشتالت دون خلفية، وستكون - كذلك - شيئًا سخيفًا. على أي حال، فإن المرء قد يحاكي هذا النظام، ويجعل جزءًا منه نموذجًا ، بعزل أنماط معينة وسمات من أجل الفحص الدقيق، متظاهرًا - ضمنيًا - بأن الأجزاء الباقية - إلى حد ما - توجد في عالم التفكير الخالص.

فيما يلي، سأعمل على استخدام هذا النموذج كخاتمة لهذا الكتاب، وهو يعبر عن رؤية للفلسفة بيئية في شكل هرم أو شجرة.

إن الاتجاه من القمة إلى القاعدة، ومن النظرية إلى التطبيق، هو اتجاه اشتقاقي منطقي، وليس أصليًّا أو تاريخيًّا.. إنه ليس ترتيب طبقات، ولا يشير إلى أولويات القيمة. وعلى المستويات العليا، فإن هناك عددًا قليلًا من الصياغات العامة والمجردة، وفي القاعدة صياغات مفردة وملموسة، تم تكييفها حسب المواقف الخاصة ، وكذلك الجماعات، والفترات الزمنية، والأعمال.

ويقدم الاتجاه من القاعدة للأعلى اشتقاقًا أصليًّا وتاريخيًّا، يتضمن كل الحوافز والدوافع، الناتجة عن صياغات المعايير والنظريات.

والنموذج هنا هو ظاهرة حركة دائمة التغيير، كما أن المعايير والنظريات مشتقة بطريقة أو بأخرى بشكل منطقي، ومطبقة في التطبيق العملي، والناتج تغييرات محفزة. ويمكن ترتيب الشجرة لتشكل مثلثًا، أو متوازيًّا بخط قاعدي أفقي عريض، وخط قمة ضيق. ويعبر الاختلاف في بُعد العرض عن حقيقة أنه من المعايير المجردة والعامة، كما يمكن أن تتبع النظريات - بشكل غير محدد - الكثير جدًّا من المعايير المتخصصة والنظريات الأخرى، مفسحة المجال لظهور كثير من القرارات في المواقف الواقعية غير المحددة.

إذا قررنا رفض معيار منخفض المستوى، فذلك يعنى أننا سنضطر إلى تعديل بعض النظريات والمعايير في مستويات أعلى، وبهذا يهتز الهرم العلوي بأكمله. وعلى أي حال، فإن هذا الرفض يؤدى - عمليًّا - إلى إحداث تعديل بسيط، أو يؤدي - ببساطة - إلى تبني نوع ما من الدقة المختلفة لمعيار أعلى أو *لصياغة* النظرية.

وفى العلوم الاجتماعية، تفسر جملة مثل «التمس تحقيق الذات!» كجملة بصيغة الأمر.. ومن وجهة النظر الاجتماعية، فمن الضروري أن

نسأل: من هم «الراسلون» ومن هم «المستقبلون»؟، ولكن هذا ليس ضروريًّا في تفسير T_0 لأنظمة النماذج المعيارية. إن مسألة كيف نفهم وظيفة جملة مكونة من كلمة واحدة، مثل «تحقيق الذات»، هي مسألة كبيرة وعميقة ولن أتعرض لها. ولكن دعنا نكتفي بالقول بأن هناك أمثلة لاستخدام الراسل علامة التعجب ، ولكن ليس لِـمُسَتقْبِل محدد. وعندما تحدث أشياء فظيعة، مثل: انهيار كوبري، أو فقد مفاتيح الشخص في بالوعة.. فإننا قد نقول «لا!» في قصدية واضحة لمعناها، ولكن على الأقل عندما يقولها بعضنا مِمَّن ليس لديه في هذه الحالة مجموعة مستقبلين محددين في الذهن؛ فإن وظيفة الجملة تكون واضحة جدًّا لديهم. ويظهر النموذج الأصلي من هذه الوظيفة في الإنجيل، عندما يقول الله «فليكن هناك ضوء!»، ويكون سؤال: من هم المستقبلون المقصودون بهذا التعجب في هذه الحالة - إلى حدٍّ ما - خادعًا، إذا افترضنا أنه لم يكن هناك شيء قد خلق بعد، ولكن طرح السؤال هو في حد ذاته قابل للتساؤل.

وباختصار.. فإنني أجد أنه من واجبي أن أوضح أن هناك أسئلة، تتعلق بوظيفة الجمل المعيارية في الشرح الذي نتناوله الآن، والتي يجب أن يعيها المرء، ولكن ليس عليه بالضرورة أن ينهمك في «حلها».

فيما يلي تفسير واحد محدد للفلسفة البيئية T، وقد تكون النسخ الأخرى مساوية معرفيا، وتعبر عن المضمون نفسه في هيكل مجرد مختلف.

(ب)صياغة المعايير والنظريات الأساسية (المعايير = N ، النظريات = H)

N1 : تحقيق الذات!

H1 : كلما ارتفع تحقيق الذات الذي يحصل عليه أي شخص، كانت المماثلة مع الآخرين أوسع وأعمق.

H2 : كلما ارتفع مستوى تحقيق الذات الذي يحصل عليه أي شخص، اعتمدت زيادته أكثر على تحقيق ذات الآخرين.

H3 : يعتمد تحقيق الذات الكامل لأي شخص على تحقيق ذات الكل.

N2 : تحقيق الذات لكل الكائنات الحية!

التعليق:

تشكل الصياغات الأربعة N1، وH1، و H2، وH3 المستوى الأول من الدراسة المسحية. أما الصياغتان N1 و H1 ، فهما نهائيتان؛ بمعنى أنهما غير مشتقتين من الصياغات الأخرى الواردة داخل النسخة المختارة من التنظيم المنطقي للفلسفة البيئية T، بينما يفترض أن تكون H2 و H3 و N2 صياغات مشتقة منطقيًا من الصياغات النهائية، وتتطلب الدقة الشكلية منا أن نضيف بعض المقدمات المنطقية، والتي تكون ذات اهتمام أكبر بالنسبة لعالم المنطق، أكثر من معتنق الفلسفة البيئية (على سبيل المثال: إذا كانت «ألف» متماثلة «لباء»، وكلاهما من الكائنات؛ بمعنى أن يكون ذا مغزى أن نتحدث عن مستوياتها المرتفعة لتحقيق الذات، فإن تحقيق الذات الكامل «لألف» يتطلب تحقيق الذات الكامل «لباء». والنتيجة: يبدو أن الاشتقاق الرسمي لنظريات الجزء الأول من *المبادئ الأخلاقية لدى* سبينوزا يتطلب حوالى 160 مقدمة منطقية إضافية .. ولكن يتحقق الاتساق وهي في متناول اليد).

وكل صياغات المعايير والنظريات هي صياغات T_0، أي عند أكثر مستوى بدائي، من وجهة نظر الدقة.

يرتبط نقص الأنوية حتمًا بزيادة المماثلة والعناية بالآخرين، والسؤال: أي «آخرين»؟ وتَرِد إحدى الإجابات المقبولة من خلال رسم دوائر اهتمام

وعناية، تتماشى مع مراحل التطور: الأسرة، العشيرة، والقبيلة، والبشرية. ولكن من الواضح أن الحيوانات - خصوصًا الأليفة أو المنزلية منها - غالبًا ما تتمتع بالاهتمام، والعناية، والاحترام (في أوقات حالة الألوهية) قبل البشر ككل. وتختلف سلاسل الدوائر في الثقافات المختلفة. وعلى أي حال.. فإن المستويات العليا من تحقيق إمكانات الذات، تساند تحقيق ذات الآخرين.

وإذا اعتبرنا المدى الواسع للمماثلة مرتبطًا داخليًّا بتحقيق الذات المتزايد، فإن هذه الزيادة تعتمد على تحقيق ذات الآخرين، وذلك يعطينا H1؛ مما يعنى أن «الآخرين» لا يفقدون فرديتهم، ونتعثر في المجموعة الميتافيزيقية القديمة «الوحدة في التنوع»، عندما يتماثل الكائن البشري «ألف» مع «باء»، والذات الأوسع «لألف» تشمل «باء»؛ إذ لا يفترض أن «باء» ترفض فردية «باء»؛ لذلك إذا كان «باء» و«ألف» هم أشخاص، فإن ذات «ألف» تشمل ذات «باء» والعكس صحيح.

وتنشأ أهمية H1 بالنسبة للتطور *المفاهيمي* الكلي، للفلسفة البيئية، عند الذين يعتقدون أنها نظرية يمكن الحصول عليها .. أولئك الذين يشعرون بألفة معها، ويميلون إلى رؤية الطبيعة وما يحدث فيها، فهم يرون ذئبًا وحيدًا ويائسًا وجائعًا يهاجم أحد الأيائل، ويجرحه بشكل مميت، ولكنه لا يستطيع قتله.. يموت الأيل بعد معاناة شديدة من الألم ، بينما يموت الذئب ببطء من الجوع. من المستحيل ألا تتماثل مع آلام كل منهما أو تشعر بها، ولو إلى حدٍّ ما! ولكن طبيعة ظروف الحياة على الأقل - في وقتنا الحاضر - تؤكد أنه لا يمكن فعل أي شيء بشأن المصير «القاسي» لكليهما. ويثير الموقف العام حزنًا، كما يبدأ البحث عن وسائل للتدخل في العمليات الطبيعية، بالنيابة عن أي كائن في حالة ذعر ويأس، وألم لفترة طويلة، وقمع شديد أو عبودية مذلة. ولكن ذلك السلوك يعنى أننا

نستنكر كثيرًا ما يجرى في الواقع في الطبيعة، وأننا نستنكر أكثر كونه جوهريًّا للحياة على الأرض. وباختصار.. فإن تأكيد H1 يعكس اتجاهًا معارضًا لأي *استخدام* تام *غير مشروط* للحياة.

وبالنسبة لـ «H3»، فإن ثمة صيغة «إلى حد ما» أكثر دقة، وهي: «تحقيق الذات الكامل لأي شخص، يعتمد على تحقيق الذات لكل الكائنات، التي هي *من حيث المبدأ قادرة على تحقيق الذات*.» ومن أجل الإيجاز في الدراسة هذه الكائنات فيما يلي، ستسمى «كائنات حية»، ونُعرِّف «الكائنات الحية» - فيما بعد - بهذه الطريقة.

وحقيقة أن N2 مشتقة من N1 من خلال النظرية المذكورة - آنفا - لا يجعلها تلقائيًّا معيارًا وسائليًّا خالصًا في الفلسفة البيئية T.. إنها مجرد *وسيلة بالنسبة* لـ «N1». ويكون المعيار وسائليًّا خالصًا فقط، إذا كان تعريفه يستثنيه من كونه غير وسائلي، في أي علاقة مفردة. مثال:ومن المجدي على المدى البعيد أن تكون صادقًا، ولكن ذلك لا يستثني إمكانية أن الصدق يمكن أن يكون معيارًا غير وسائلي حقًّا، بغض النظر عن الربح.

والقول «نعم» بشكل غير مشروط لـ «N1» يعنى الإجابة بنعم عن السؤال: عما إذا كان تحقيق الذات شيئا ذا قيمة أم لا؛ وحيث إنه لا يوجد شيء يمكن أن يجعل تحقيق الذات معيارًا وسائليًّا خالصًا، فإن «نعم» تعلن عن قيمتها الجوهرية، والقول «نعم» لـ N2 يعنى التقويم الجوهري لكل الكائنات الحية. ومن هذين المعيارين، والمعايير المشتقة منهما (بالإضافة للنظريات)، فإن الصياغات المقترحة لبرنامج حركة البيئة العميقة تكون قابلة للاشتقاق (انظر الفصل الأول، 5§). وبالمصطلحات الفلسفية الشائعة، فإن البرنامج يعبر عن علم القيم، بينما تعبر الفلسفة

البيئية T عن نظريات دراسة الأخلاق. والتصنيف الأخير - مع ذلك - مريب؛ لأن علامة التعجب الخاصة بـ «N1» لا تعني أن ما تم التعبير عنه هو اتصال مع شخص ما. إذًا، تعبر N1 عن علم الوجود، وليس عن نظريات دراسة الأخلاق. وعلى أي حال، فإن الغرض من هذا الفصل ليس الدخول أكثر في فلسفة محترفة.

(جـ) *المعايير والنظريات الناشئة في علم البيئة*

H4 : تنوع الحياة يزيد إمكانات تحقيق الذات.

N3 : تنوع الحياة!

H5 : تعقد الحياة يزيد إمكانات تحقيق الذات.

N4 : التعقد!

H6 : موارد الحياة للأرض محدودة.

H7 : التعايش يزيد إلى الحد الأقصى من إمكانات تحقيق الذات، تحت ظروف الموارد المحدودة.

N5 : التعايش!

التعليق:

هذه الصيغ السبع تشكل الجزء الثاني من الدراسة المسحية. وبينما المستوى الأول ميتافيزيقي بإحكام، نجد أن المستوى الثاني ذو صبغة بيولوجية ، ولكنه مازال ميتافيزيقيًّا، بسبب استخدام الحرف الكبير S في Self-realisation «تحقيق الذات»، وتشير الصياغات الأكثر دقة إلى علم البيئة العام وعلم صيانة إحياء البيئة، أكثر من علم البيئة البشري.

وتقدم H4 المصطلح الرئيسي «*الاحتمال* تحقيق الذات»، وهناك في علم النفس وعلم الاجتماع كثير من النقاش للإمكانة والإمكانات

والاحتمالات التي لدى الفرد، والجماعة، أو المؤسسة في الحياة، متضمنة حياة الأمم. ومصطلح «تحقيق الذات» هو نوع من التعميم لهذا، فيما عدا أنه عند استخدام الحرف الكبير S، تعلن بعض المعايير، التي تضيق مدى ما يشكل زيادة في تحقيق الذات.

وH4 لها خلفية ميتافيزيقية، ويتم النظر إلى الحياة كنوع من الكل الفسيح. وتنوع أشكال الحياة، مع طاقاتها المختلفة يتحقق؛ بمعنى أنها تجلب إلى الواقع، شيئًا ما يضاف للكل، وهم يدركون *إمكانات تحقيق* الذات. ويحوي كل فرد – بشكل غير محدد – كثيرًا من هذه الإمكانات، وليس إمكانة واحدة فقط. والزيادة في نوعية تنوع أشكال الحياة تزيد من احتمالية الإمكانات؛ لذلك فمن H4 و N1 تلي N3.

(د) معنى التنوع، والتعقد، والتعايش في سياق تحقيق الذات

وتحقيق الذات بالحرف الكبير S هو صياغة معيار مستوحى من جزء من الفلسفة التقليدية، تسمى الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة). وكل مصطلحات التنوع والتعقد والتعايش مستعارة من علم البيئة، وهناك نوع ناتج من التوتر المصطلحي بين المستويين الأولين من المسح، بالإضافة إلى توتر عام بين «الواحد والكثيرين».

والجسر المفاهيمي بين تحقيق الذات والتقييم الإيجابي للتنوع، والتعقد، والتعايش مزود بمفهوم إمكانات تحقيق الذات، وتزداد فكرة أن تحقيق الذات الكلي في عالمنا يرتبط بتحقيق هذه الإمكانات (التحقيق هو مناظر لمقياس الأنتروبيا السلبي). لا يوجد كائن واحد يمكنه تحقيق الهدف بالكامل، وتعدد الإمكانات مسألة حاسمة : فهي تدخل التعدد إلى الوحدة، والحدس – وهو يدفعنا تجاه «الذات» – لا يعترف بذلك.

وهناك فكرة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بهذا، وهي فكرة العالم الصغير، الذي يعكس صورة عالم كبير، وقد كانت فكرة فاعلة أثناء عصر النهضة، وتم الآن إحياؤها جزئيًا في التفكير الخطي. كل زهرة، وكل كيان طبيعي ذو خاصية الكل (جشتالت) يعكس *بطريقة ما* صورة أو يعبر عن الكل الأسمى. وأقول «بطريقة ما»؛ لأنني لا أعرف أي تحليل جيد لما يسمى عكس الصورة هنا، والعالم الصغير ليس منفصلًا عن الكل؛ والعلاقة ليست مثل تلك العلاقة التي بين الفيل الكبير والفأر الصغير، والعالم الصغير هو أساسي لوجود العالم الكبير. ولقد تأثر سبينوزا بالفكرة عند المطالبة بإله هائل، وليس إلهًا منفردًا. والباب مفتوح لتقييم الزيادة في تحقيق الإمكانيات؛ بمعنى إمكانية تحقيق إمكانات أكثر أي *التطور المستمر على كل المستويات* بما فيها الحيوانات وحيدة الخلية، وشكل الطبيعة والثقافات البشرية ومظهر كل منهما.

ويجب أن يكون التحقيق *مختلفًا من الناحية النوعية*، دون أخذ الوفرة العددية في الاعتبار. وهناك طريقة لتأكيد هذا الفرق، وهي أن نفرق بين التنوع و(مجرد) التعدد، فمصطلح «التنوع» مؤسس جيدًا في علم الأحياء، ويستخدم غالبًا للتحدث عن تنوع الكائنات، أو كائنات حية مختلفة نوعيًا.

وللوصول إلى تفسير أكثر لمفهوم التنوع، ولتقديم مفاهيم التعقد والتعايش بوضوح، يتطلب الأمر دعم النظريات عن نوع الكون الذي نعيش فيه. ولقد كان هذا الدعم بصراحة، ضروريًا حتى عند بداية التحدث عن تحقيق الذات، ولكن الآن فقط، فإنه من الضروري ذكر هذا الدعم بوضوح وصراحة. والكون الذي سنقيد أنفسنا بذكره هو كوكبنا، الأرض، والذي قد نسميه أيضا «جايا» لتأكيد حالته ككائن حي، بالمعنى الأكثر اتساعًا.

وأنا أقوم بكثير من الافتراضات الضمنية بشأن ظروف حياة الأرض؛ خصوصًا قصورها، وبشأن أي رأى كلي يتطلب ذلك.

ويمكن تعريف التنوع بحيث يعنى الظرف *الضروري* الوحيد لنمو وتحقيق إمكانيات «تحقيق الذات». إذًا «الحد الأقصى من التنوع!» لا يكون له معنى؛ لأن كثيرًا من الاختلافات قد لا يتضمن تحقيق الذات، وقد يكون غير متسق مع التعايش. ومن الأفضل تضمين فرق نوعي، كما ذكرنا أعلاه، لتقديم مفاهيم الفرق، والتي يميزها من مجرد التعدد. وينشأ تضارب التعدد من المحدودية؛ ليس فقط لكوكبنا ككل. على أي حال، فإن صفة «الحد الأقصى» قد أضيفت إلى بعض تعبيرات الفلسفة البيئية T، عند تقديم التنوع؛ بهدف إعلان أنه لا يوجد حد متأصل للصفة الإيجابية لنمو التنوع، كما لا يقصد منه أن الزيادة جيدة، حتى إذا انخفضت ظروف تحقيق المعايير الأخرى. إذا تم الاحتفاظ بصفة «الحد الأقصى» فإنه يجب أن يؤخذ - عند مستوى أكثر دقة (T_1) - كاختصار «للحد الأقصى»، دون إعاقة تحقيق المعايير الأخرى في النظام»، و يجب أن يؤكد ذلك وجود معيار « التعايش » في النظام؛ لأنه ينسج الرابطة بين التعقد والتنوع.

الآن دعنا نتجه للتعقد.

إذا كان لنا أن ننوع ثلاثة عوامل: (أ)، و (ب)، و (جـ) في ترتيبات أفقية مكانية، فمن الممكن إدراك ستة أنماط فقط: (أ ب جـ)، (أ جـ ب)، (ب أ جـ)، (ب جـ أ)، (جـ أ ب) ، (جـ ب أ). وإذا أضفنا عاملًا أساسيًّا آخر (د)، فإن عدد الترتيبات يزداد إلى «أربعة عامليًّا»، 24، وهذا يوضح *العلاقة الأساسية بين التعقد والتنوع*. وعندما يزداد عدد العناصر خطيًّا، فإن عدد العلاقات المحتملة يزداد عامليًّا.

دعنا نفكر أن (أ ب جـ) هي نمط للحياة، مدرك كنوع من الكائن الحي أو الحياة الشخصية، وأن هذا النمط يتميز بثلاث وظائف أو أبعاد رئيسية ، (أ،ب،جـ) تعمل معًا كنظام عالي التكامل (أ ب جـ)، ولندع الترتيبات الخمسة الأخرى لـ «أ» ، و«ب» و«جـ» ترمز لخمسة أنظمة أخرى بعدد الأبعاد نفسها.

الآن، يمكن أن يقال إن مبدأ حفظ الذات يتكون كحد أدنى من آلية داخلية؛ حيث يدافع النظام عن نفسه ضد التخفيض إلى أبعاد (2-)، (1-)، أو (صفر) ، وأيضًا ضد التحولات إلى الأنظمة المرموز لها من خلال الأنماط الخمسة الأخرى، ويميل إيجابيًّا إلى التطور إلى أنظمة ذات أبعاد أكثر، وبذلك يكون التنوع أكثر والتعقيد أكثر.

والتعقد في تعارضه مع التعقيد هو - في الفلسفة البيئية T - نوعية كائنات وعلاقتها ببيئتها، ويتميز بالعلاقات الجوهرية والاعتماد المتبادل العميق لعوامل أو عناصر متعددة. وبعد موت وحيد القرن.. فإنه - ككيان يتنفس - لم يعد له وجود، ولكنه يظل جزءًا معقدًا بشكل هائل من الطبيعة، تسكنه أو تغزوه ملايين من الكائنات الأخرى، الأقل تعقيدًا. ويُظهر الإنسان الذي يقع فريسة لمرض النوم الأفريقي العلاقات الجوهرية المتبادلة ، بين الفرد ومستعمرات *الحيوانات وحيدة الخلية*. إن كلًّا من هذه الحيوانات لديه تعقد في الهيكل يتعذر فهمه، ولكننا ندرك أن الكائن البشري مازال أعلى رتبة في التعقيد.

إذا تم تعريف التعقد من الناحية البيولوجي كمضاد للبساطة.. فإن «الحد الأقصى من التعقد!» لا يمكن أن يدعم تحقيق الذات. وإذا تم، كما في حالة «التنوع!» فقط، فإن وضع بعض الفقرات المقيدة، يمكن أن يعطي للحد الأقصى معنى.

ومنذ وقت تطور أطراف الزواحف، حدث تطور أكثر تعقدًا بكثير من تطور اليد البشرية، ولكن بساطة اليد البشرية، من وجهة النظر هذه، هو الجمع بين انتصار البساطة والفاعلية على التعقد، ولا يجب أن تكون هناك طائفة من التعقد.

وفي النصوص البيولوجية المصبوغة بمفهوم الحيوانات الدنيا والعليا، كان مصطلح التعقد يستخدم تقريبًا - بصفة دائمة - في وصف حالات *مفيدة* للزيادات في التعقد. إن الوظائف «الأعلى» ممكنة من خلال تفريق معين أكثر تعقيدًا للأنسجة، وقد تكونت العين من سطح متجانس من الجلد. وقد قيل القليل عن الزيادة غير الناجحة في التعقد؛ لأنه يفترض أن الكائنات ذات الحجم الكبير، خلال ملايين السنوات - فقط - قد تركت لنا بقايا لندرسها. وأعتقد أنه من المفيد استخدام مصطلح تعقد - كمصطلح عام - يغطي أيضًا حالات، ليست لها ميزة واضحة من أي نوع.

وهناك مثال بيولوجي بسيط للتعقد المتزايد للأشكال «المتقدمة»: إن الأنواع الأقل تعقدًا من الإسفنج هي أقرب شبهًا بالجوال. وهناك في أحد الأطراف فتحة، يقذف من خلالها الماء والفضلات للخارج، ومن خلال فتحات صغيرة في الجدران يتم إدخال الماء. والأشكال الأكثر تعقدًا لديها جدران، بها ثنايات حتى يكون سطحها أكبر مقارنةً بحجم الجوال مما يعتبر تقدمًا؛ حيث إنه ميزة أن يكون هناك مزيد من الخلايا السطحية، بالمقارنة بعدد الخلايا الأخرى. ويتم الوصول إلى مستوى أعلى من التعقد، عندما تقوم هياكل خاصة بتأمين إلقاء الفضلات إلى الخارج بعيدًا؛ حتى لا يخاطر الإسفنج باستنشاق بعض الفضلات مرة أخرى. وإجمالًا، فإن علماء الحيوان متأكدون من أن الزيادات في التعقد لها وظائف، كان يمكن ألا تتحقق دون هذه الزيادات. وليست هناك قيمة إيجابية ترتبط بالتعقد وما أشبه؛ فمثلًا، الجدران ذات السماكة غير

المتساوية تحقق إيقاعًا معينًا، ولكن بلا أي قيمة ايجابية أو سلبية لأي وظيفة واضحة للكائن.

في عالم مليء بالشر، قد يكون التطور قد تم بطرق مختلفة كما في حالتنا، فيما عدا أن الطفيلية ربما تكون قد جعلت كل كائن قادر على الإحساس بالألم، والمعاناة من الميلاد إلى الوفاة. وقد تؤدي الزيادة في مقدار العلاقات المتبادلة والاعتماد المتبادل - في العالم الافتراضي للطفيلية الشريرة - إلى مستوى شديد من حدة المعاناة؛ لذلك.. فإن تعقد الكائنات بهذه الطريقة وتعقد الاعتماد المتبادل لا يمكن أن يكونا في الفلسفة البيئية T جيدين في ذاتهما.

ومن وجهة نظر علم الأحياء، فإن التعقد يتضمن سلوكًا وعمليات جشتالتية؛ حيث يمكن تحقيق التعقد المتزايد للكل الواعي ذي الخبرة، ولكننا نجد هنا أيضًا أن مجرد مثل هذا التعقد لا يمكن أن يحدث زيادة في تحقيق الذات. ومفهوم التعايش- الحياة معًا - يدخل إطار العمل، كما يمدنا وجود الاعتماد المتبادل، والذي يتشارك فيه كل الشركاء في علاقة ثرية بفكرة حاسمة، بالإضافة إلى التنوع والتعقيد.

وبالانتقال من البيئة غير البشرية إلى البيئة البشرية، نجد أن فكرة التعايش يمكن توضيحها بالنسبة للطرق المتنوعة لتحقيق نظام اجتماعي. وعندما كان غاندي يتحدث أحيانًا عن نظام اجتماعي، فإنه كان يقصد نظامًا مثاليًّا، يقوم فيه الوالدان بتعليم الأطفال، ويعملون معًا وهم يكبرون .. لا توجد مدارس. وتتداخل المهنة المفيدة لكل أسرة وتكون معتمدة على الأسر المتخصصة، في أنواع أخرى من الخدمات في الجماعة ككل، وقد تم تشجيع التفاعل بين الطبقات من هذا النوع ، لا منعه. ويجب أن يكون وضع كل من هذه الطبقات مماثلًا من ناحية الكرامة،

والاحترام، ومستوى المعيشة المادي - المساواتية بين الطبقات، وتوضيح التعايش بين المجموعات في الجماعة. وقد كره غاندي الحالة الفعلية لنظام الطبقات القائم في الهند.. إنها بالفعل انتهكت معيار التعايش.

في أي نوع من الجماعة نعرفه، توجد صراعات وكفاح بدرجات متنوعة. ومعايير الفلسفة البيئية T هي خطوط إرشادية، وإذا تم التوسع فيها إلى نظام شامل، فإنها ستشمل معايير لحل النزاع (انظر الفصل السادس الخاص بمعايير غاندي)، ومن غير الواقعي أن نتنبأ بالانتهاء الكامل للنزاعات العميقة للمجموعة، أو حتى نتمنى هذا الانتهاء. وهذا يتشابه مع ظروف الحياة على الأرض؛ حيث إن الزيادة في تحقيق الذات تعتمد على النزاعات، وما يهم هو الزيادة التدريجية في وضع وتطبيق عدم العنف في النزاعات الجماعية.

إن *تنظيم* إجراءات قانون الفلسفة البيئية T هو عمل داخل سياق النزاع؛ وفي اعتقادي أن كثيرًا من القرارات - التي تدعو للأسف في النزاعات البيئية في النرويج وأماكن أخرى - قد تم اتخاذه في حالة من الغيبوبة الفلسفية. وفي هذه الحالة، فإن الأشخاص في السلطة يخلطون بين الأهداف السطحية الضيقة ، والأهداف الأساسية الواسعة المشتقة من المعايير أساسية.

(هـ)اشتقاق معايير الجماعة المحلية

إن المبادئ الفلسفة البيئية التالية التي يجب أن نضمها هنا، هي: الكفاية الذاتية، واللامركزية، والاستقلالية.. وهذه المبادئ الاجتماعية يجب أن تربط أولًا بنظيراتها البيولوجية.

يتم تحقيق الحد الأقصى من النجاح في تحقيق الذات، من خلال توازن معين من التفاعل بين الكائنات والبيئة، ويجب ألا تكون المثيرات غريبة

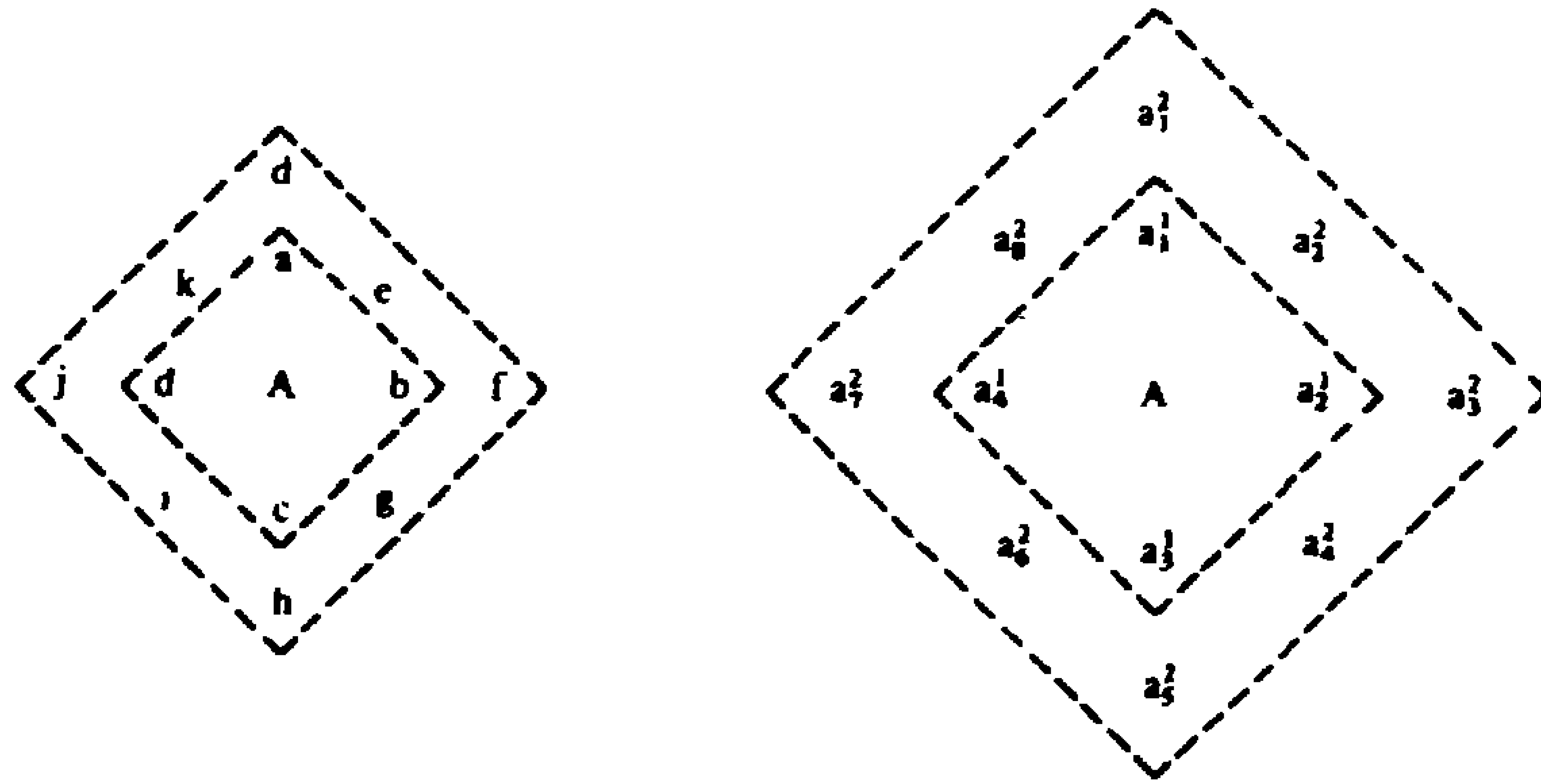
الأطوار أو مملة، كما لا يجب أن تسيطر أعضاء التحكم تمامًا على تأثيرات من الخارج، أو أن تصبح غامرة. وتجعل الإمكانات المحدودة للتحكم، إجمالًا وجود درجة عالية من التحكم في البيئة القريبة المكانية (الشخصية)، أو البيئة التي تشبع فيها الحاجات الأساسية أمرًا مهمًّا. وإذا تم إشباع حاجة أساسية فقط من خلال تفاعل من مراحل متعددة مع مناطق بعيدة، فمن المحتمل أن تكون هناك أشكال أكثر من العقبات الشاذة، وخطورة أكثر أن تنفصل من خلال عمليات الصدفة.

دعنا نوضح ذلك مع نماذج فراغات الحياة من النوع، الذي استخدمه الفيلسوف الجشتالتي كيرت لوين (شكل 1-7).

لنقل أن «ألف» يمثل كائنًا حيًّا في فراغ ثنائي الأبعاد، له أربعة احتياجات حيوية ليشبعها.. إذا قامت الطبيعة المباشرة ، بإشباع الاحتياجات الأربعة على الأقل بطريقة طبيعية، فإن «ألف» يمكن أن يقصر نفسه على محاولة التحكم في مناطق بعيدة، *فقط* إذا حدث شيء غير عادي للأقرب. يرمز الرباعي أ1/1 و أ 4/1 للمصادر الأربعة لإشباع الحاجة.

إذا كانت المصادر، هي: أ 1/2 و أ 3/2 و أ 5/2 و أ 7/2 ومنفصلة عن «ألف» بأجزاء معترضة مختلفة نوعيًّا أ 1/1 إلى أ 4/1 من البيئة، فإن الكائن يعتمد - بشكل حيوي وطبيعي - على التحكم في هذه الأجزاء، وأيضًا على أ 2/2 و أ 4/2 و أ 6/2 و أ 8/2 ، باعتبارها الأجزاء المجاورة للمصادر، مع مجموعة صفات مختلفة نوعيًّا.

يظهر الشكل كيف أن متطلبات التحكم تزداد مع بعد مصادر إشباع الاحتياجات - ويقاس البعد في ضوء المسافات في فراغات الحياة، وليس بالكيلومترات. ومع افتراض وجود وسائل محدودة من التحكم، فإن



شكل (1-7) : شكل تخطيطي للمصادر الأساسية والأجزاء المجاورة لها ، والتي يعتمد عليها الكائن بشكل حيوي وطبيعي .

الزيادة في البعد ترتبط مع الزيادة في الخطر، وعدم ملاءمة قوى المحافظة على الذات؛ ولذلك نجد نقصًا في إمكانات تحقيق الذات. وعن طريق درجة الكفاية الذاتية المحلية والاستقلالية، سنفهم أولًا : الدرجة التي تكون عندها للكائن الحي مصادر إشباع الحاجة الأساسية، أو بصفة عامة مصادر تحقيق الذات، قريبًا في فراغ الحياة، وسنفهم ثانيًا: لأي درجة يكون للكائن تحكم ملائم في هذه المنطقة؛ ليشبع احتياجاته.

وقد تم تقديم النموذج المذكور أعلاه مع الكائنات الحية المفردة، خصوصًا الأشخاص، كوحدات من الحياة. وهذا صحيح من الناحية التعليمية، طالما أنه بلا حجج علمية. ويكون النموذج نفسه مفيدًا عند تعاملنا مع الجماعات، والمناطق المجاورة، والمجتمعات، والقبائل كوحدات للحياة. وفي هذه الحالة، فإننا نحتاج - بوضوح - إلى نموذج، يوضح العلاقات داخل الجماعات أيضًا، ولن نتناول هذا هنا.

وبالتعريف، فإن الأشخاص المنفردين لديهم حدٌّ أقل من الحد الأقصى من التحكم في القرارات السلطة المركزية، وتقترب لديهم إمكانية منهج التحكم من الصفر. وكلما كبر تعدد الأشخاص والمواقف التي يجب التحكم فيها، زاد عدد المستويات اللازمة، وكلما كبر كذلك عدد الوظائف المختلفة النوعية التي يتم التحكم فيها، اقتربت سرعة تحكم الأشخاص المنفردين من الصفر، ويقصد بتعريف المركزية هنا أن يكون من خلال العوامل السابقة.

وباستخدام المنطق المقترح أعلاه، فإن هناك مجموعة من النظريات والمعايير المقترحة؛ من أجل الفلسفة البيئية T:

H8 : الاكتفاء الذاتي والتعاون يدعمان زيادة تحقيق الذات.

H9 : الاستقلال المحلي يزيد من فرص الحصول على الاكتفاء الذاتي المحلي.

H10: المركزية تقلل الاكتفاء الذاتي والاستقلالية.

N6 : الاكتفاء الذاتي المحلي والتعاون!

N7 : المركزية الاستقلالية!

N8 : لا مركزية!

التعليق:

الارتياب رقم 1: ألا يؤدي التحقيق، بعد نطاق نقطة معينة من المعايير الثلاثة N6 وN7 وN8 ، والمفسر - بطريقة فردية - إلى حالة غريبة من الحياة مماثلة في بعض الأحوال «لحالة الطبيعة» الشهيرة والمخيفة، في الفلسفة السياسية لتوماس هوبس؟ الارتياب رقم 2: هل تدعم دروس البيئة المعايير حقًا ؟ وبرفض التفسير الفردي، نواجه بالمهمة الصعبة وهى

جعلها أكثر دقةً بمساعدة التبريرات الأخرى، مع أخذ الاهتمام الجاد بكل من الأفراد والجماعات في الاعتبار.

(و) الحد الأدنى من المقومات والعدالة: طبقات؛ واستغلال

للبشر احتياجات. ويجب لأي سياسة عالمية للانسجام البيئي أن تميز بين الاحتياجات ومجرد الرغبات؛ أي بين الرغبات التي ترتبط مباشرة بالحاجة، والرغبات التي لا ترتبط مباشرة بها.

إن الاحتياجات البيولوجية هي تلك الاحتياجات التي يجب إشباعها دون شرط؛ لكي يستطيع الفرد أو الكائن أن يحيا. إن الحد الأدنى من المعادلة هي «غذاء، وماء، ومنطقة»، وهناك احتياجات ليست ضرورية لكل الكائنات. بينما يعتبر الملبس ونوعًا من المأوى ضروريًّا لمعظم الجماعات البشرية، ولكن ليس للكائنات الأخرى.

علاوة على ذلك: فإن لدينا احتياجات ضرورية للتنظيمات الاجتماعية الأساسية، ونحن الآن نقترب من الحاجات، التي يمكن فقط فصلها عن مجرد الرغبات، على أساس نظام من القيم. معظم المجتمعات هي مجتمعات طبقات، والتي يقال فيها إن الطبقة العليا تحتاج إلى أن تعيش على مستوى مادي أعلى بكثير من الطبقة الأدنى، حتى تتجنب الإذلال (كارثة اجتماعية بارزة!).. ولكن هل هذه رغبات أم احتياجات؟

إن ما يسمى بالاحتياجات الأساسية، التي هي ضرورية للبقاء، لا تعطي إلا مجرد مقادير ثابتة من خلال السحر اللفظي، كما أن «البقاء» مصطلح قليل الفائدة إذا اقتصر على مجرد «عدم الموت»، وتَذَكَّر الكلمات الأخيرة لرئيس سياتل عن التغيير الكبير، الذي سيجلبه الرجل الأبيض للأرض: «نهاية العيش وبداية البقاء».

والانتقال من مناقشة هذه المعايير الأخلاقية الأساسية إلى معايير سياسية أكثر، قد يصاغ بطرق كثيرة.. نقدم لك هنا إحداها:

1. يجب أن تكون لمتطلبات الحد الأدنى من مقومات تحقيق الذات الأولوية قبل أي متطلبات أخرى.
2. وهذه المتطلبات تتضمن الحد الأدنى من إشباع الاحتياجات البيولوجية، والبيئية، والاجتماعية.
3. لكثير من الأفراد والجماعات تحت الظروف الحالية احتياجات بيولوجية، وبيئية، واجتماعية غير مشبعة، بينما يعيش الآخرون في وفرة.
4. إلى الحد الذي يكون ممكنًا موضوعيًّا، فإن الموارد الآن تستخدم لجعل البعض في مستوى أعلى إلى حد بعيد، بدلًا من أن يعاد تخصيص الحد الأدنى؛ من أجل خفض عدد الذين يعيشون تحت المستوى الأدنى، بشكل أكبر ودائم.

ويستطيع الفرد منا أن يقول إن اشتقاق المعايير في الفلسفة البيئية ينقسم إلى اتجاهين مختلفين.. المستوى الأخير الذي أوضحناه يمثل معايير ونظريات الجماعة المحلية، والمثالية المميزة لكثير من الأنظمة اليوتوبية. والآن نحن مستعدون لاتباع جدل تجاه سياسات لتبرير المعايير والنظريات ضد الاستغلال، كما نشأت خلال المناظرات مع الماركسيين في النرويج في أوائل السبعينيات.

H11: يتطلب تحقيق الذات تحقيق كل الإمكانات.

H12: الاستغلال يقلل أو يزيل الإمكانات.

N9 : لا استغلال!

H13: الإخضاع يقلل الإمكانات.

N10: لا إخضاع!

N11: الكل له حقوق متساوية لتحقيق الذات!

H14: المجتمعات الطبقية تنكر الحقوق المتساوية لتحقيق الذات!

N12: لا مجتمعات طبقية!

H15: تقرير المصير يدعم تحقيق الذات

N13: تقرير المصير!

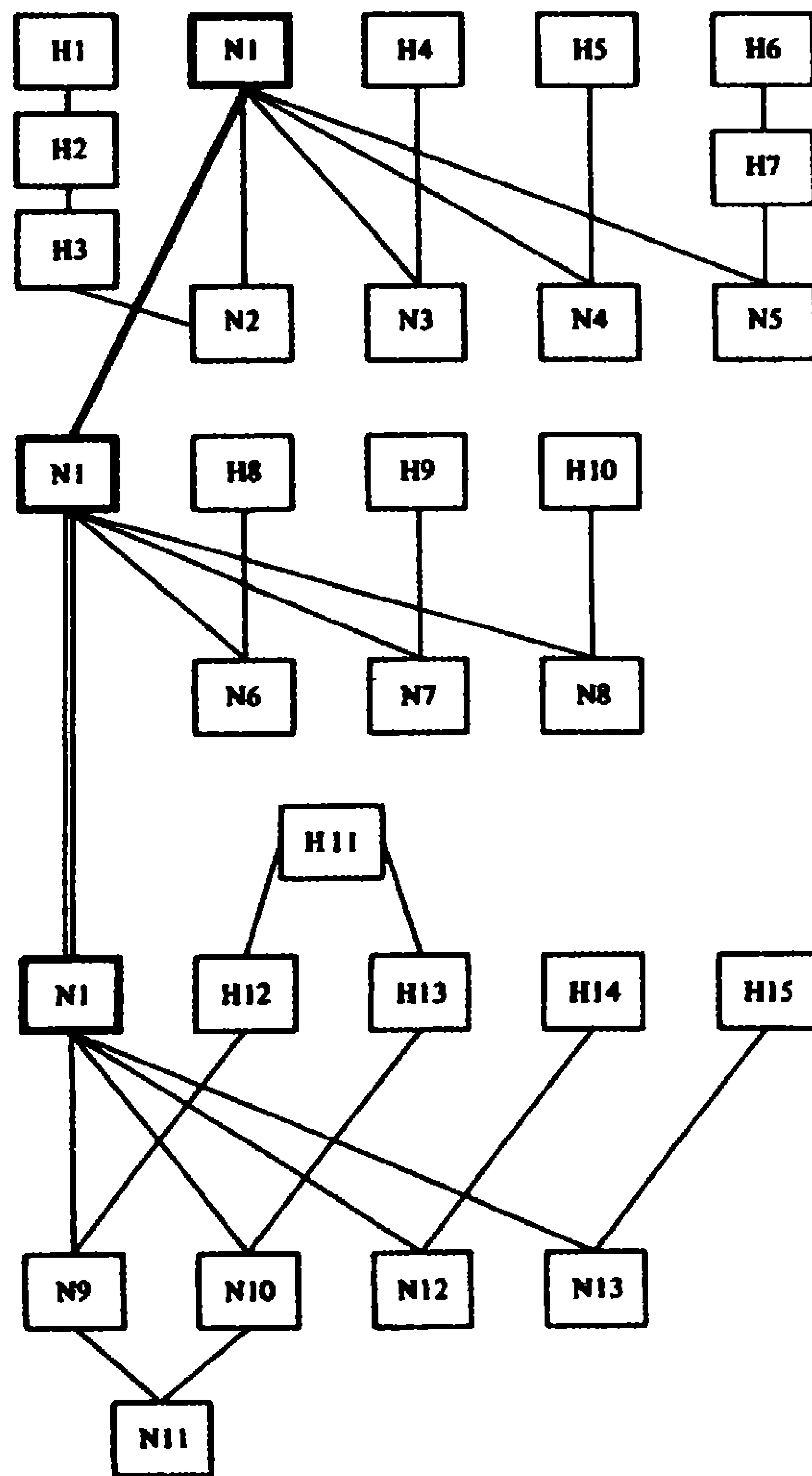
التعليق:

لقد وُضعت الصياغات السابقة - أساسًا - لتُظهر أن المعايير الأساسية لتحقيق الذات لا تتعارض مع معايير زيادة حكم العدالة على الأرض. وعلى العكس، فإن الفروق الطبقية داخل المجتمعات وبين الأمم هي - بوضوح - فروق في مقومات تحقيق الذات. وقد يتم تعريف الاستغلال في ضوء شبه الدائم والدائم لإمكانات بعض الجماعات لصالح آخرين. علاوة على ذلك، فإن الحسابات التي تظهر الفروق في استخدام الطاقة والموارد الأخرى تدعم منهجًا بيئيًّا في محاربة الاستغلال في المجتمعات الطبقية، وتتكون قيمة النموذج جزئيًّا من اشتقاق اتجاه سياسي عام أو موقف، دون استخدام مصطلحات معينة، مثل: «شيوعية»، و «اشتراكية» و«مؤسسة خاصة»، و«ديمقراطية»، والتي تثير - بشكل أو بآخر - ردود فعل آلية إيجابية أو سلبية.

(ز) رؤية كلية للفلسفة البيئية T في شكل رسم بياني

تحتوي كل هذه الصياغات (N1 إلى N13، وH1 إلى H15) على مصطلحات مهمة من الفلسفة الاجتماعية، والسياسية، وفلسفة الحياة، وهي تقترح - فقط - كيف يمكن أن تكون هناك علاقة أكثر دقة لتنظيم المعايير والنظريات، ولا نزعم شيئًا آخر. ويوضح الشكل 2-7 رسمًا بيانيًّا للاشتقاق المنطقي من هذه المستويات الأربعة للفلسفة البيئية T.

ومازالت الصفة التي تشبه الشعار لهذه الصياغات تستحق أن تستخدم في مناظرة بيئية، ولكن هناك اليوم واعيًا واضحًا بقصورها. وفي كثير من الحالات، حاربت الجماعات المحلية سياسات بيئية سليمة، ورحبت بتنمية مدمرة. وبالأحرى، فإن السلطات المركزية القوية مطالبة بتنفيذ السياسات القومية والدولية، التي تقترحها *الإستراتيجية العالمية للحفاظ على البيئة* (1980).



شكل (2-7) : الاشتقاق المنطقي للمستويات الأربعة للفلسفة البيئية T.

وقدتم استقبال الطريقة السابقة لتصوير اشتقاقات منطقية، داخل فلسفة بيئية، باهتمام جزئي في غير موضعه: فقد كان ما يمكن الحصول عليه بنظام معياري للنوع الموضح متواضعًا جدًّا؛ إذ إنه دراسة مسحية - فقط - أفضل لبعض العلاقات المترابطة القليلة، داخل كل ضخم غير قابل للمسح أو التقصي. ومع ذلك.. فإن النظرة الكلية، والفلسفة المتمركزة حول الإنسان -الطبيعة تلمس كثيرًا من الأسئلة المعقدة، التي يمكن للصياغات الواضحة أن تشتمل على جزء صغير منها فقط ؛ خصوصًا عندما تحقق الصياغات مستوى متواضعًا من الدقة، ويتم تجنب شعارات غامضة.

والشخص الذي يستخدم التنظيم الجزئي للفلسفة البيئية T - عادة - ما يجد أسبابًا (من خلال الخبرة المتزايدة للحياة) لتعديل الصياغات، ويمكن أن تعمل صياغات T_0 فقط كخطوط إرشادية، وعادة ما تتكون التعديلات من تغير الدقة المقبولة لهذه الصياغات. وقد يكون شيئًا غريبًا - إلى حد ما - أن تجد صياغة زائفة أو خاطئة، أو باطلة في المستوى T_0 ، وهذا يعنى أن الشخص يجد كل تفسير معقول زائفًا، أو خاطئًا، أو باطلًا.

ويحدث الرفض على أساس من الزيف أو البطلان في مستويات الصياغات الأكثر دقة، كما تكون الصياغات - التي منها مجموعة التفسيرات المعقولة - مجموعة فرعية صحيحة من الصياغات الأصلية، عند مستوى T_0.

لا يمكن بسهولة توسعة الرسم البياني، للاشتقاق المنطقي، لجزء من الفلسفة البيئية T ؛ ليلائم علم الوجود بالكامل؛ لأن التفكير الميداني أو الجشتالتي هو ضد حالة تفرقة بين الإنسان والبيئة. وهنا تضم الفلسفة البيئية T اتجاهات فلسفية معاصرة غير ديكارتية، وإذا نظرنا إلى القرن

القادم، فسوف نجد أن موجات التصادمية للبيئة ستصل إلى حد بعيد جدًّا، وستخترق أمورًا كثيرة لدرجة أن الحياة النباتية - في مصطلحات البيئة - قد تبدو زائدة عن الحاجة. والفلسفات البيئية - على ما أفترض - سيتم استيعابها في التقاليد العامة *لفلسفة الطبيعة*، وقد أكون مخطئا في كل ذلك، ولكن علامات التغيير الداخلي موجودة بالفعل.

(9) مستقبل حركة البيئة العميقة

بدأت الحركة البيئية الدولية - بعيدة المدى تقريبًا - مع راتشيل كارسون في «*الربيع الصامت*»، منذ أكثر من عشرين عاما. وبمجيء عام 1975، ظهر كثير من الكتب، وقرأها عدد ضخم من القراء، وخرجت النسخة النرويجية من «*البيئة، والجماعة، وأسلوب الحياة*» في خمس طبعات، وكان هناك اهتمام كبير من جانب الجمهور ببيئتنا، ولكن دعنا نفحص ما حدث طوال الاثنى عشر عاما الماضية.

كان هناك اعتقاد راسخ في عام 1975 - في كثير من الدول الصناعية - أنه قد يكون من الضروري تغيير أسلوب الحياة الشخصية. وإجمالًا، كان من الواضح للغاية أن أسلوب الحياة البيئي المسئول يستلزم: مقاومة الاستهلاك بشكل عام، وتأكيد الاستهلاك المنخفض للطاقة، والدعم الفاعل على أن «ما هو مصنوع ذاتيًّا فهو مصنوع جيدًا»، وركوب الدراجات، والنقل الجماعي، و*حياة الطبيعة*، وتنظيم الأسرة، والمشاركة في الزراعة الديناميكية الحيوية.. إلخ. ولكن على مدى كامل من القضايا، كانت الهزائم كثيرة ومحبطة :تزايد عدد الذين اضطروا لاستخدام السيارات الخاصة، التي تعد أبسط و- لكن - أكثر أشكال المواصلات غير الملتزمة بيئيًّا. والجدل بأن التأكيد على التأثير البسيط للاستخدام الخاص المنخفض للطاقة - بالمقارنة بالتأثير المستمر للدعم السياسي

للصناعة المتطلبة للطاقة – قد أضعف الدافع. وبمجيء عام 1980 ، لم يكن التوجيه البيئي في ذهن أحد. وعمليًّا، توقفت تمامًا القراءات عن البيئة كجزء من التعليم العام. الأسوأ: لقد أصبح لدى كثيرين الشعور بأنهم – على الرغم من ذلك التوقف – يعرفون كل شيء عن البيئة، ولا يريدون أن يسمعوا أي قصص أخرى مؤلمة.

ماذا سيحدث في الاثنى عشر عامًا القادمة في عالم أسلوب الحياة «البيئي»؟ هناك عامل ايجابي، وهو الوعي العام المتزايد بالفرق بين مستوى المعيشة ونوعية الحياة. والعامل الثاني: أنه قد أصبح مقبولًا بشكل متزايد أن نسبة كبيرة من الأمراض العالية التكلفة يسببها أسلوب الحياة الضار، وقد يختفي الكثير منها إذا عشنا بأسلوب مسئول بيئيًّا.

واستخلاص أن أسلوب حياتنا الفردي مهم يتطلب مقدمات منطقية، ذات نوع أخلاقي واجتماعي عام. لذلك؛ فإن التحدث عن «أسلوب حياة بيئي» هو أمر معتقد للحركة البيئية العميقة، وليست الضحلة. وقد اكتسبت حركة البيئة العميقة بين عام 1975 وعام 1987 قوة هائلة، وكانت النظرة المستقبلية أكثر تفاؤلًا. ولكن القوى المعارضة لتنفيذ سياسات البيئة العميقة اكتسبت قوة أكثر، والنظرة العامة هنا أيضًا مستمرة.

إن واحدًا في المائة زيادة في الناتج القومي الإجمالي اليوم يؤدي إلى إحداث تخريب أكبر للطبيعة، أكثر من واحد بالمائة منذ عشرة أو عشرين عاما مضت؛ لأنها واحد في المائة لمنتج أكبر بكثير. ولازال المكافئ التقريبي للناتج القومي الإجمالي بالنسبة «للناتج القومي للتلوث» قائمًا، وتحدث الجهود لزيادة الناتج القومي الإجمالي ضغطًا هائلًا أكثر على السياسات البيئية كل عام.

إذًا، قد يصبغ التدهور البارز في السنوات القادمة، في الظروف البيئية، بديلًا عن تعميق الوعي البيئي.. لقد ساء الموقف قبل أن يصبح أفضل.

وكان الاتجاه العام بين السياسيين هو أنه إذا لم يتم إثبات أن نوعًا رئيسيًّا من التدخل في النظام هو نوع سيء، فإن هذا يبرر الاستمرار كالمعتاد. ولكن الاهتمام بالأمطار الحمضية ازداد ببطء، وبشكل مستمر، على مدى العقد الماضي. وكانت التحذيرات الصادرة من حكومة لأخرى بعدم تصدير الأمطار الحمضية إلى حد ما صادرة بأسلوب مهذب، وإنه من المتوقع أن تكون اللهجة أكثر قسوة، وأن «المستوردين» الذين يعانون - رغما عن إراداتهم، كما في البلاد الإسكندنافية - سيفعلون الكثير لتوقف مواردها الخاصة الخطيرة نتيجة للتلوث؛ لكي تعطي لشكواها وزنًا أكبر. وعلى أى حال، فإن النظرة المستقبلية مظلمة؛ خصوصًا فيما يتعلق بتصدير الأمطار الحمضية من غرب أوروبا. ومن وجهة نظر حركة البيئة العميقة، فإن الأمطار الحمضية كان لها تأثير ايجابي في مساعدة الناس؛ لكي يفهموا - بوضوح أكثر - أن الحفاظ على الغابات وأماكن صيد السمك يستلزم الحفاظ على عوالم الكائنات الدقيقة، والتربة، ونظم الحياة، التي لم يلاحظها أو يهتم بها معظم الناس من قبل.. لقد تم فتح مدى أوسع من التماثل والدهشة!

وقد يقوي التدهور المستمر لظروف الحياة، إلى أن يعمق الحافز على إيقاف إنتاج الأمطار الحمضية، لدرجة أنه من الممكن اتخاذ بعض الإجراءات السياسية الجذرية ضد المعتدين على البيئة، كما أن هذا قد يؤدى إلى ظهور - أخيرًا - بداية تغييرات رئيسية في الهياكل الاقتصادية، والسياسية، والأيديولوجية.

ويشكل مؤيدو حركة البيئة العميقة أقلية صغيرة، وهم منظمون بشكل سيء جدًّا، بالمقارنة بجماعات الضغط الراسخة، كما أنهم - أحيانًا

لأسباب جيدة - يتقاعسون عن تنظيم وحدات ضخمة، ولكن هناك دروسًا يجب تعلمها. ويبدو أن المظاهرات الكبيرة والأشكال الأخرى من الإجراءات الموسعة، غير العنيفة والمباشرة، تجدي عندما نحاول أن نتواصل، وعندما تأتي الطريقة التي يتخذ بها العمل، كنوع من المفاجأة للجمهور العام، بما يجعل الناس يتوقفون؛ ليفكروا برهة.. فإن الأمر يبدو على أنه مهمة متزايدة الصعوبة، بسبب شعور التكرار المتزايد.

وقد تشهد السنوات القادمة تأكيدًا أكبر على العمل المباشر الموجه إلى مجموعات مهمة بشكل حاسم، مثل: السياسيين ورؤساء المؤسسات المعادية للبيئة. وهناك مجموعات أخرى، يمكن الوصول إليها، مثل: المعلمين، والخبراء، والعلماء، والمتخصصين في الاتصالات الجماهيرية، والتي تكون قد استخدمت بعض الجماعات البيئية، مثل: جماعة السلام الأخضر، لصالحها في دراسة وسائل الإعلام والتعاون مع سادة هذه المهنة.

لقد شهدت أواخر السبعينيات تعاونًا بين حركة السلام وحركة البيئة..ليست هناك كارثة، من وجهة نظر حركة البيئة، يمكن أن تكون أسوأ من الحرب النووية. ويدعم سباق التسلح اليوم المبدأ الضار «كل ما هو كبير فهو جميل»، ويتضمن هذا سوء استخدام ملايين من الشديات في تجارب للأسلحة، وللنشاط الإشعاعي والسموم.

وإذا انتقلنا من المناطق الصناعية الغنية من العالم إلى الأغلبية الأفقر، فإننا نجد أن نظم تخريب الطبيعة نفسها - التي حدثت منذ مئات السنوات في أوروبا وشمال أمريكا - في طريقها الآن إلى بقية العالم؛ وخاصة أفريقيا. ولكنَّ هناك فرقًا رئيسيًّا: إن عملية التخريب في المناطق الأولى كانت ملازمة للزيادة الضخمة في الثروة ومستوى المعيشة، بينما في الأخيرة فإن الوضع بعيدًا تمامًا عن أن يكون كذلك. لذلك، فإن القوى *المحتملة* للمدى الواسع والطويل لسياسة الفلسفة البيئية غائبة.

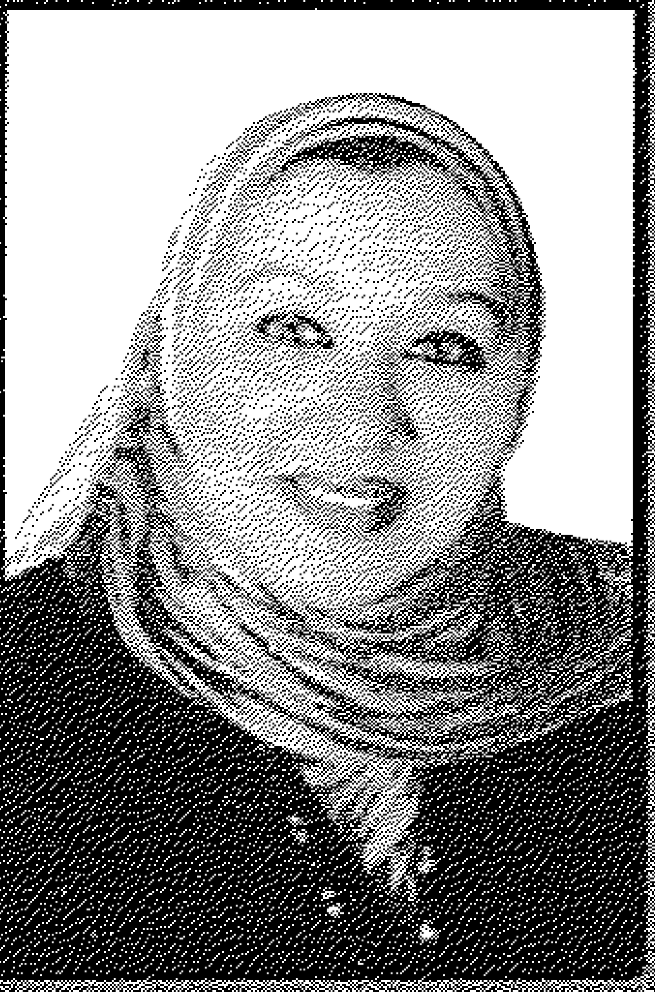
إن المساعدة من الأغنياء أساسية، ولكن يمكن بسهولة إساءة استخدامها؛ لذا يجب أن توجه العناية المفرطة والتعاون المتفاني بين المؤسسات في كلتا المنطقتين من العالم إلى القاعدة. ومن المهم أن نلاحظ أن المعتقدات الثقافية التقليدية والممارسات - في كثير من مناطق العالم - هي مؤيدة لمعايير حركة البيئة العميقة.

وقد حاز مؤخرًا مطلب البيئة العميقة بإنشاء أراضٍ ضخمة بعيدة عن التطور البشري، على القبول. ومن الواضح الآن أن التطور الذي استمر عبر مئات الملايين من السنين للثدييات سوف يتوقف، خصوصًا للحيوانات التي تحتاج إلى أراضٍ ضخمة، إذا لم يتم إنشاء وحماية مناطق برية فسيحة. وقد تم الآن إدراك أن المناطق البرية، التي سبق تصنيفها على أنها «خالية» هي ذات أهمية حيوية وقيمة جوهرية، ويجب أن تستمر كذلك.

لقد تأثرت هذه التخمينات بشأن مستقبل حركة البيئة العميقة، بشكل محتوم، بالآمال والمخاوف. وأأمل أن تقوم الكائنات الممنوحة عقلًا مثلنا - وتطورت عبر مئات الملايين من السنين في تفاعل وثيق مع كل أنواع الحياة - بتدعيم العناية بأسلوب للحياة؛ لا يقتصر بطريقة محدودة، على صالح هذا النوع من الكائنات ، ولكن ليضمن أيضًا صالح كل المحيط البيئي بكل تنوعه وتعقده، ولن يتحول هذا الجزء من المحيط البيئي الممنوح - بشكل متفرد - من هذه الميزة إلى عدوها الأبدي.

المتـــرجم:

د. ليلى عبد الرازق



أستاذ اللغة الإنجليزية والترجمة الفورية بجامعة الأزهر، وعميدة مركز اللغات بالجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات حاليا، وهى عضو لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، وصاحبة أحد عشر مؤلفًا في اللغة الإنجليزية والترجمة، ورئيسة مجموعة المترجمين لقاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي عربي). قامت بالترجمة إلى الإنجليزية لكتابي " شخصية مصر " و " العالم الإسلامي المعاصر " للدكتور جمال حمدان، وكتاب " بريطانيا والوحدة العربية من 1914 إلى 1948" للدكتور يونان لبيب رزق، وكتاب " شرح قانون التحكيم الدولي " للدكتور أحمد شتا، وقصة " قصر الأفراح " للأديب عبد السلام العمري. حاصلة على شهادة تقدير من الأمم المتحدة، لمساهمتها القيمة والدور الذي تقوم به لنهضة المرأة المصرية، ولنشاطها الفاعل في العمل الوطني والشعبي.

علم البيئة والجماعة وأسلوب الحياة

نحن وحدنا القادرون على التعامل مع البيئة باحترام وتقدير كافيين، وجديرَيْن بأن يجعلا البيئة ـ بدورها ـ قادرة على أن تمنحنا ذلك السلام والتواؤم المنشودين، وذلك إذا :

★ كنا أكثر صدقًا ومنطقية في تحديد أولوياتنا واهتماماتنا البيئية.

★ انطلقنا من النظام الأخلاقى ـ بكل مشتملاته وأبعاده ـ في محاولة جادة لإقناع أنفسنا والعالم بتلك القيمة المتنامية للطبيعة وتقديرها.

★ استطعنا إيجاد نظام بيئى يعتمد على "مبادئ البيئة العميقة" كمنطلق له في التعرف على الاحتياجات والاهتمامات اللازمة لنا في التكيف مع البيئة كنمط للحياة..

★ أدركنا بعمق مدى الأزمة التي يعيشها عالمنا، مع استشعارنا الصادق للفراغ في طريقة حياتنا والمسار الذي نتبعه، وكيف يمكننا أن نتفادى ذلك، إذا قمنا بالبحث عن مخرج من الفوضى، نرسم جميعًا ملامحه وسماته، في حرص واضح على عدم جرح الطبيعة بشكل جائر..

★ أعدنا ـ بشكل واع مستنير ـ قراءة فلسفتي سپينوزا وغاندي، بما يجعل علم البيئة وعلم الوجود وعلم الأخلاق العملي، ثلاثة مكونات أساسية، لا انفصام بينها، وهى القادرة وحدها على أن تجعلنا في منأى عن مواجهة أية كارثة..

هذه المتطلبات الخمسة التي يدعو إليها الكتاب عبر فصوله السبعة هى السبيل الأكيد لضمان تحقيق الذات وضمان الحق العالمي في العيش والازدهار وضرورة احترام تفرد الجنس البشري، وتقد... بأدنى حد ممكن من المقومات والعدالة، يكفل السيط... حركة البيئة العميقة..







التصميم : محمد ح...
عن لوحة لهنري رو...



كلمة
KALIMA

الدار المصرية اللبنانية

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة